الوقوف اللازمة في القرآن الكريم وعلاقتها بالمعنى والإعراب

تأليف
الأستاذ الدكتور
حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل
أستاذ اللغويات
في كلية اللغة العربية بالقاهرة
جامعة الأزهر الشريف

الطبعة الثانية

الناشر



٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف ٥١٢٠٨٤٧



٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
ت: ٠١٠١٦٦٦٩٣٨

رقم الإيــداع	٢٠١٠/١٦١٢
الترقيم الدولى	٩-٢٢٩-٣١٥-٩٧٧-٩٧٨

إهـــــداء

إلى من أنزل الله تعالى القرآن على قلبه ليكون للعـــالمين نـــذيرًا ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا **محمد بن عبد الله** ﷺ راجيًا القبول .

ثم إلى روح من حفَّظني القــرآن الكريم الشيخ/ ســلامة شـــريف – رحمه الله رحمة واسعة – .

وإلى من تعلّمت منه أدب البحث ، وروح الصبر والمثابرة ، وفضل الدراسة لأسلوب القرآن الكريم ، أستاذي الأستاذ الدكتور/ عبد العظــيم الشنّاوي – جعل الله قبره روضة من رياض الجنة – .

وإلى من سهرَا الليالي ، وكابدَا المشاق ، وتحمّلاَ المصاعب فـــي سبيل تربيتي وتعليمي ، والديَّ الكريمين – رحمهما الله رحمة واســعة وأسكنهما فسيح جنّاته – .

وإلى من حبّب إليّ الأزهر الشريف ، وأخذ بيــدي إلـــى ســـاحته المباركة أخي الأستاذ/ السيد عبد الفتّاح ، الذي سبقني إلى النهــل مـــن مَعِينِ كلّيّةٍ من أعرق كلّيّات الجامع الأزهر : كلّيّة اللغة العربيّة بالقاهرة – متّعه الله بالصحة والعافية – .

المؤلف

الأستاذ الدكتور

حمدي عبد الفتّاح مصطفى خليل



بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم على قلب نبيّه ورسـوله سـيدنا **محمد** ﷺ ليكون للعالمين نذيرًا .

والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على خاتم أنبيائه ورسله سـيدنا **محمد** ، وعلى آله ، وأصحابه الغر الميامين ، وأزواجه الطـاهرات ، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

وبعد ؛ فهذه هي الطبعة الثانية لكتاب (الوقوف اللازمة في القرآن الكريم وعلاقتها بالمعنى والإعراب) ، هذا البحث الذي كتبتـه عقـب حصولي على درجـة العالميّة (الدكتوراه) – منذ ثلاث عـشرة سـنة تقريبًا – . وقد لاقى – ولله الحمد – قبولاً مـن الدارسـين والبـاحثين والمهتمّين بالدراسات القرآنيّة ، ونفدت النسخ التي طُبعت ، وطَلَبَ منّي بعض أصحاب المكتبات التي توزّع مؤلّفاتي أن أقوم بإعـادة طبعـه ، فأجبتهم إلى ذلك ، معـاودًا النظر فيما كتبـت ، ومـستدركًا بعـض الوقوف ، قاصدًا المشاركة بشيء في سـبيل تبـصير شـباب الأمّـة الإسلاميّة بأهميّة المحافظة على مقدّساتنا الغالية ، وتراثنـا العظـيم ، والتمسّك بثوابت ديننا الحنيف ؛ لأن هذا هـو الطريـق – ولا طريـق سواه – إلى نهضة هذه الأمّة من كبوتها ، لتصل حاضرها بماضـيها ،

وتأخذ مكانها اللائق بين هذه الأمم التي تداعت عليها ، كما تتداعى الذئاب الجياع على الفريسة الضعيفة ، ولا أدلّ على ذلك الآن من هذه الهجمة الشرسة المسعورة على ديننا الإسلامي ، وقرآننا الكريم ، ورسولنا الرحيم ﷺ وسنّته المطهّرة ، وصحابته الأجلاّء ﷺ ، وإذا أمعنت النظر تجد هؤلاء الأعداء الحاقدين قد وزّعوا أدوارهم بدقّة متناهية – سواء أكانوا ممن لبسوا جلود النمور من الكافرين والملحدين في أوربّا وأمريكا ، أم كانوا ممن لبسوا جلود الثعالب من ذيولهم وعملائهم الذين يسيرون في فلكهم ، ويعتقدون أفكارهم ، وهؤلاء هم الأخطر ؛ لأنهم يعيشون بيننا ويتكلّمون بلساننا – حيث ترى عصابة ، أو فردًا نائبًا عنهم يهاجم القرآن الكريم ، ويصل به التبجُّح إلى درجة أنّه ينادي بحرقه ، وتحريم تداوله في بلده[1] ، مع تشدّقهم بقوانين حريّة الفكر والعقيدة ، وحقوق الإنسان ... إلى غير ذلك من الشعارات البرّاقة والمزاعم الكاذبة التي ينخدع بها بعض ضعاف النفوس عندنا .

وتجد عصابة ثانية – أو فردًا متحدّثًا بلسانها – يتطاول على خاتم رسل الله تعالى سيدنا **محمد** ﷺ ببعض الرسوم المسيئة تارة[2] ، وبالإفك والبهتان تارة .

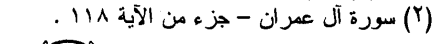
---

(١) حدث ذلك في (هولندا) من نائب بالبرلمان الهولندي ، راجع جريدة (الأهرام) المصريّة ، عدد (٤٤٢٦٠) ، يوم ٢٠٠٨/٢/١٠م ، الصفحة العاشرة ، مقال الأستاذ/ سامح عبد الله .

(٢) حدث ذلك في صحف (الدانمارك) و(السويد) و(فرنسا) و(إيطاليا) و(هولندا) سنة ٢٠٠٧م ، وأعادوا متعمّدين نشرها ثانية سنة ٢٠٠٨م .

وتجد شرذمة أخرى تتقوّل على بعض الصحابة الكرام ﷺ الـذين أكثروا من رواية الحديث الشريف كسيدنا أبي هريرة ﷺ ، بل منهم من تجرّأ وشكّك في الإمام البخاري ﷺ و(جامعه الصحيح) الذي هو أصحّ الكتب – عندنا معاشر المسلمين – بعد القرآن الكريم ، ولم لا ، وهـو الجامع لسُنّة رسول الله ﷺ ؟! ولن أذكر هذه الأسماء التي فعلت ذلك ؛ لأن في ذكرها – من وجهة نظري – تكريمًا لها ، وما هي إلا نكـرات مبهمة ، مكانها اللائق بها زاوية النسيان ، أو طرحها وراء ظهورنا .

وقد قيّض الله تعالى لهؤلاء من ردّ علـيهم ، وألقمهـم أحجـارًا ، بدحض مفترياتهم ، وردّ كيدهم ، كردّ الأزهر الشريف علـى مؤلـف كتاب (جناية البخاري على السُنّة)(1) .

وتلك الأفعال الشنيعة ، وهذه المفتريات الكاذبة ، تـدلّ علـى مـا يحمله هؤلاء الكافرون والملحدون والمغرضـون مـن حقـد دفـين ، وكراهية عمياء ، وبغض أسود للإسلام وأهله ، وصدق الله العظيم الذي كشف لنا أمثال هؤلاء ، وهتك أستارهم في قوله – عز شأنه – : ﴿قَدْ  بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾(2) ، فعلى شـباب هذه الأمّة ، ورجالها ، وشيوخها ، أن يحذروا هؤلاء الأعداء وأذنابهم ، وأن يتمسّكوا بدينهم ، ويعملوا بأوامر ربّهـم ، ويتدارسـوا قـرآنهم ،

---

(1) نشر الردّ على هذا الكتاب في حلقات متتابعة بجريدة (صوت الأزهر) من بداية العدد رقم (٣٩٩) إلى العدد (٤٢١) لسنة ٢٠٠٧م .
(2) سورة آل عمران – جزء من الآية ١١٨ .

ويسيروا على سُنّة نبيّهم ﷺ ، وحينئذ لن يضلّوا أبدًا ، وسيأتيهم وعــد الله تعالى بالنصر ، والتمكين والثبات في الأرض ، وتكون لنا الغلبــة والعُلوّ على الكافرين ، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾[1] ، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾[2] ، وفّقني الله تعالى وإيّاكم إلى الحق والهــدى ، وجعلنا من أهــل القرآن الكريم ، أهل الله تعالى وخاصــته ، ورزقنــا وَعْيَــه ، وحفظه ، وتلاوته ، وتدبّره ، بمَنّه وفضله ، إنه هــو البــر الرحيم ، وصلى الله على سيدنا **محمد** ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

القاهرة في مساء يوم الأحد
٣ من صفر سنة ١٤٢٩هـ
١٠ من فبراير سنة ٢٠٠٨م

وكتبه
الأستاذ الدكتور
حمدي عبد الفتّاح مصطفى خليل
الأستاذ في كلية اللغة العربيّة بالقاهرة
جامعة الأزهر الشريف

---

(١) سورة الروم – جزء من الآية ٦ .
(٢) سورة التوبة – جزء من الآية ١١١ .



مقدمة الطبعة الأولى

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ﴾[1] .

والصلاة والسلام على عبده ورسوله سيدنا **محمد بن عبد الله** الذي أنزل ربّه الفرقان على قلبه ؛ ليكون للعالمين نذيرًا ، وعلى آله وأصحابه الذين وَعَوْا القرآن الكريم في صدورهم ، وشُغِلُوا بتلاوته وحفظه آناء الليل ، وأطراف النهار ، عاملين بحلاله ، ومجتنبين حرامه ، مؤتمرين بأوامره ، ومنتهين عمّا نهى عنه ، ففازوا بخيري الدنيا والآخرة ، وطهرهم ربّهم بذلك تطهيرًا ، وكساهم عزًّا ومهابة وسرورًا ، وجزاهم بذلك جنة وحريرًا ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ؛ فإن القرآن الكريم منذ نزوله ، والدراسات حوله تنمو وتتشعّب ، والعلوم فيه تزيد وتتوسّع ، هادفة إلى الحفاظ عليه من اللّحن والخطأ ، أو التصحيف والتحريف ، وساعية إلى بيان أوجه إعجازه ، وشرح مراده ، كعلوم : النحو ، والبلاغة ، والتفسير ، والقراءات ... إلخ العلوم العربيّة والإسلاميّة التي تدور في فلك القرآن الكريم ، وتصدر عنه ، بل يَنْهَلُ أصحابها منه ويَعُلُّون .

---

(١) سورة الكهف – الآيات ١ – ٣ .



ومن هذه العلوم – بل أجلُّها – علم الوقف والابتداء في كتاب الله ﷻ ، ولا عجب في ذلك ، فقد أمر ربُّنا رسولَهُ سيدنا **محمدًا** ﷺ وأمّته بقوله : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾[1] ، والمراد : إخراج كل حرف من مخرجه حتى تظهر الكلمة واضحة جليّة ، مع الوقوف عند مواضع الوقوف والوصل عند غير ذلك[2] ، لأن الوصل مع موضع الوقف أو العكس يغيّر المراد ، ويشوّش على السامع لعدم وضوح المراد ، وسترى أمثلة ذلك – إن شاء الله – في هذا البحث ، فأنت لو وصلت مثلاً في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[3] ولم تقف على ﴿ قَوْلُهُمْ ﴾ لتبادر إلى ذهن السامع أن قوله : ﴿ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ من قول الكافرين ، وليس كذلك ، بل هي من كلام الله ﷻ ردًّا عليهم ، أو يقف القارئ غير مضطر على قوله تعالى : ﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ من قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ... ﴾[4] وخطأ ذلك أوضح من الشمس في رابعة النهار ؛ لنهيه المؤمنين عن قرب الصلاة ! وحاشا لله أن يأمر المؤمنين بذلك ! أو يقف أيضًا غير مضطر على

---

(١) سورة المزمل – جزء من الآية ٤ .
(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٤٠/٤ تحقيق د/ عبد الجليل شلبي ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٣٤/٤ ، والإتقان للسيوطي ٨٣/١ .
(٣) سورة يس – الآية ٧٦ .
(٤) سورة النساء – جزء من الآية ٤٣ .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾[1] ، أو قوله : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾[2] ... إلخ هذه الوقوف التي تفسد المعنى المراد ، ويأثم صاحبها إن كـــان غير مضطر ، أو قصد ذلك[3] ، ولذا قال ابن النكـــزاوي[4] : " بـــاب الوقف عظيم القـــدر ، جليل الخطر ، لأنّه لا يتـــأتّى لأحـــــد معرفـــة معـــاني القرآن الكريم ، ولا اســـــتنباط الأدلّـــة الـــشـــرعيّة منــــه إلا بمعـــرفة الفواصل " .

ومن هذا المنطلق اهتمّ العلماء بذلك الجانب فـــي كتـــاب الله ﷻ ، وقاموا بتأليف مصنّفات خاصّة به منذ القرن الثاني الهجري علـــى يـــد ضرار بن صُرَد المقرئ الكوفي المتوفى سنة ١٢٩هـ[5] ، ثـــم أخـــذ العلماء بعده في السير على منواله ، فألّفوا في ذلك كتبًا كثيـــرة وصـــل إلينا بعضها كـ (الإيضاح في الوقف والابتداء) لابن الأنباري : محمد ابن القاسم ، المتوفى سنة ٣٢٨هـ ، و(القطع والائتناف) لابن النحاس : أحمد بن محمد ، المتوفى سنة ٣٣٨هـ ، و(المكتفى في الوقف والابتـــداء) للداني : أبي عمرو عثمان بن ســـعيد ، المتـــوفى ســـنة ٤٤٤هـــــ ، و(الاقتداء في الوقف والابتداء) لابن النكزاوي : عبد الله بن جمال الدين ، المتوفى سنة ٦٨٣هـ ، و(منار الهدى في الوقف والابتداء) للأشمونـــي :

(١) سورة البقرة – جزء من الآية ٢٦ .
(٢) سورة الماعون – الآية ٤ .
(٣) انظر : الإتقان للسيوطي ٨٦/١ ، ومنار الهدى للأشموني ص١٣ – ط/ مصطفى الحلبي .
(٤) انظر : الاقتداء لابن النكزاوي ٤٥/١ ، ٤٦ تحقيق د/ محمد سعد .
(٥) انظر : الفهرست لابن النديم ص٣٨ – ط/ طهران – سنة ١٩٧١م .



أحمد بن عبد الكريم من علماء القرن الحادي عشر الهجري[1] .

هذا ، ولمّا كانت الوقوف بهذه المنزلة الجليلة لما لها من أثر في بيان المعنى المراد ، ونظرًا إلى خطأ كثير من الناس فيها ، لوجودها في أواسط الآيات – أي ليست رأس آية – استخرت الله تعالى وقمت بجمع الوقوف اللازمة في المصحف الشريف[2] ، ثم قمت بدراستها وتوضيحها ، وكانت طريقتي في دراستها ما يلي :

أولاً : ذكرت نصّ الآية التي ورد فيها الوقف اللازم مبيّنًا سورتها ورقمها ، ضابطًا إيّاها تبعًا لقراءة حفص عن عاصم .

ثانيًا : قمت ببيان بعض المفردات في الآية ولم أسرف في ذلك ، كيلا يخرج البحث عن هدفه ، ثم أتبعت ذلك ذكر المعنى العام للآية ، ليكون القارئ على بيّنة من ذلك .

ثالثًا : ذكرت موضع الوقف اللازم ، مبيّنًا سرّه من ناحية المعنى والإعراب ، موضّحًا ما يحتاج إلى توضيح من بعض الوجوه الإعرابيّة .

رابعًا : إن كان هناك خلاف في الوقف : ألازم هو أم جائز ؟ ذكرت ذلك ، ورجّحت ما أراه بالدليل .

---

(1) إذا أردت التفصيل فانظر : مقدّمة محقق كتاب (المكتفى في الوقف والابتداء) للداني ص٦٠ – ٧١ ، ومقدّمة محقق الجزء الأوّل من (الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء) لابن النكزاوي ص٤٣ – ٦٦ من قسم الدراسة (دكتوراه) بمكتبة اللغة العربيّة بالقاهرة تحت رقم (١٢٦٥٤) تحقيق د/ محمد سعد البغدادي .

(2) اعتمدت في ذلك على بعض الطبعات الموجودة في مصر ، لأن المصاحف الحاليّة المتداولة تعتمد على جميع أقوال علماء الوقف والابتداء ، وكل قطر يعتمد ما يعده صحيحًا . راجع : مقدّمة محقق (المكتفى) للداني ص٥٦ .



معتمدًا في كل ما سبق على أمّهات كتب الوقف والابتداء ، ومعاني القرآن وإعرابه ، والتفاسير ، والمعاجم اللغويّة ، وكتب النحو واللغة .

وقبل ذلك كلّه مهّدت بتعريف الوقف لغة واصطلاحًا ، ثـم بيـان مراتبه ، ثم علاقة علم الوقف والابتداء بغيره من العلوم الأخـرى ، كالنحو ، والقراءات ، والتفسير ، والفقه .

هذا ، ولم آل جهدًا في دراسة هذه الوقوف ، وبيـان أسـرارها ، قاصدًا بذلك الإدلاء بدلوٍ في خـدمة كتاب الله المجيد ، آمـلاً أن يفيـد منها الباحثون ، بل المسلمون جميعًا ، راجيًا أن تكون خالصة لوجهـه الكريم ، وأن تكون في ميزان حـسناتي ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[١] .

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[٢] .

القاهرة في : ١٢ من ربيع الأول سنة ١٤١٦هـ
الموافق : ٩ من أغسطس سنة ١٩٩٥م

وكتبه
الدكتور
حمدي عبد الفتّاح مصطفى خليل
مدرّس اللغويّات في كلية اللغة العربيّة بالقاهرة
جامعة الأزهر الشريف

---

(١) سورة الشعراء – الآيتان ٨٨ ، ٨٩ .
(٢) سورة الممتحنة – جزء من الآية ٤ .

تعريف الوقف

الوقف لغة : الكف عن الفعل والقول .

واصطلاحًا : قطع الصوت عن آخر الكلمة زمنًا ما ، أو هو قطع الكلمة عمّا بعدها(١) .

والوقف والقطع والسكت بمعنى واحد عند المتقدّمين ، أمّا عند المتأخّرين فيقولون :

- **الوقف** : قطع الصوت عن الكلمة زمنًا يتنفّس فيه عادة بنيّة استئناف القراءة ، لا بنيّة الإعراض ، ويكون في رءوس الآي وأواسطها ، ولا يأتي في وسط الكلمة .
- **والقطع** : قطع القراءة رأسها فهو كالانتهاء ، فالقارئ به كالمُعْرِض عن القراءة ، والمنتقل إلى حالة أخرى غيرها ، وهو الذي يستعاذ بعده للقراءة المستأنفة ، ولا يكون إلا على رأس آية(٢) .
- **والسكت** : قطع الصوت زمنًا ما ، هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفّس(٣) .

مراتب الوقف :

اختلف العلماء في الاصطلاحات التي تطلق على مراتب الوقف – ولا مُشاحّة في الاصطلاح – .

---

(١) انظر : الإتقان للسيوطي ٢٤٣/١ تحقيق أ/ محمد أبو الفضل ، ومنار الهدى لأحمد الأشموني ص٨ ، ولسان العرب والقاموس المحيط والمصباح المنير مادة (و ق ف) .
(٢) انظر : القطع والائتناف لابن النحاس ٢/١ ، ١٥ تحقيق د/ عبد الرحمن المطرودي .
(٣) انظر : الإتقان ٢٤٣/١ ، ٢٤٤ تحقيق أ/ أبو الفضل ، ومنار الهدى ص٨ .



فقال ابن الأنباري[1] : مراتبه ثلاثة : تام ، وحسن ، وقبيح .

وقال ابن النحّاس[2] ، وتبعه الداني[3] : مراتبه أربعة : تام مختار ، وكاف جائز ، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك .

وقال السجاوندي[4] : مراتبه خمسة : لازم ، ومطلق ، وجائز ، ومجوز لوجه ، ومرخّص ضرورة .

وقال ابن النكزاوي[5] : مراتبه أربعة : تام ، وكاف ، ومفهوم ، وما لا ينبغي الوقوف عليه .

وقال ابن الجزري[6] : له مرتبتان : اختياري ، وضروري ؛ لأن

(١) انظر : إيضاح الوقف لابن الأنباري ١٠٨/١ ، والإتقان ٢٣٢/١ تحقيق أ/ أبو الفضل ، ومنار الهدى ص٩ .

(٢) انظر : القطع والائتناف لابن النحّاس ص١٢ ، والإتقان ٢٣٢/١ تحقيق أ/ أبو الفضل ، ومنار الهدى ص٩ .

(٣) انظر : المكتفى في الوقف والابتداء للداني ص١٣٩ تحقيق أ/ يوسف المرعشلي – مؤسسة الرسالة .

(٤) انظر : الإتقان ٢٣٤/١ تحقيق أ/ أبو الفضل ، ومنار الهدى ص٩ . والسجاوندي : محمد بن محمد بن عبد الرشيد بن طيفور ، سراج الدين أبو طاهر السجاوندي الحنفي ، من مؤلفاته : شرح مفصل الزمخشري ، والوقف والابتداء ، وعين المعاني في تفسير السبع المثاني ، توفي في حدود سنة ٦٠٠هـ ، وقيل : ٧٠٠هـ – انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة ٣٥٣/١ ، وهديّة العارفين لإسماعيل باشا ١٠٦/٢ ، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة ٢٣٣/١١ .

(٥) انظر : الاقتداء لابن النكزاوي ٤٠/١ – ٤٥ تحقيق د/ محمد سعد . وابن النكزاوي : الإمام القاضي أبو محمد عبد الله معين الدين بن محمد بن عبد الله بن عمر المقرئ النحوي ، ألّف : الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ، والشامل في القراءات السبع ، والكامل في القراءات ، توفي سنة ٦٨٣هـ – انظر : غاية النهاية ٤٥٢/١ ، وبغية الوعاة ٥٨/٢ ، وهديّة العارفين ٤٦٢/١ ، ومعجم المؤلفين ١٢٩/٦ .

(٦) انظر : النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٢٥/١ – ٢٣٠ تحقيق الشيخ/ الضباع .



الكلام إمّا أن يتم أو لا يتم .

وقال السيوطي[١] – نقلاً عن غيره – : مراتبه ثمانية : تام ، وشبيه به ، وناقص ، وشبيه به ، وحسن ، وشبيه به ، وقبيح ، وشبيه به .

وقال أحمد الأشموني[٢] : " أشرت إلى مراتبه بتام وأتم ، وكـاف وأكفى ، وحسن وأحسن ، وصالح وأصلح ، وقبيح وأقـبح ، فالكـافي والحسن يتقاربان ، والتام فوقهما ، والصالح دونهما في الرتبة ، فأعلاها الأتم ، ثم الأكفى ، ثم الأحسن ، ثم الأصلح ، ويعبر عنه بالجائز " .

هذا ، وقد رجّح الداني[٣] ، وتبعه ابن الجزري[٤] ، ما ذكره ابـن النحّاس في مراتب الوقف ، من كونها أربعة ، لكنّي أميل أنها خمسة ، وهاك بيانها[٥] :

الوقف التام[*] :

وهو الذي لا يتعلّق بشيء مما بعده ، لا لفظًا ولا معنى ، ولا يتعلّق ما بعده به ، ويحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، وسُمّي (تامًّـا) ؛

---

(١) انظر : الإتقان في علوم القرآن ٢٣٦/١ تحقيق أ/ محمد أبو الفضل .
(٢) انظر : منار الهدى لأحمد الأشموني ص١٠ .
(٣) انظر : المكتفى ص١٣٩ .
(٤) انظر : النشر ٢٢٥/١ – ٢٣٠ .
(٥) نقلت تعاريف الوقوف ونماذجها بتصرف من : المكتفى للـداني ص١٣٨ – ١٥٤ ، والنشر لابن الجزري ٢٢٤/١ – ٢٣٠ ، والإتقان للسيوطي ٢٣١/١ – ٢٣٩ تحقيق أ/ أبو الفضل ، ومنار الهدى لأحمد الأشموني ص١٠ – ١٤ .
(*) هذا الوقف هو ما عبّرت عنه في هذا البحث بالوقف اللازم ، وقد اقتصرت على مـا ورد منه في أواسط الآيات وأثنائها ، وكثير منه قد رمز إليه بالحرف (م) في كثيـر من طبعات المصحف الشريف ، كطبعة الشمرلي .

لتمام لفظه بعدم تعلّقه ، وأكثر ما يوجد عند رءوس الآي غالبًا وانقضاء القصص ، كقوله تعالى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ والابتداء بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] ، وقـوله : ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ والابتـداء بـ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2] .

وقد يوجد في أثناء الآية كقوله تعـالى : ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ هنا التمام ؛ لأنّه نهاية كلام (بلقيس) ملكة (سبأ) ، ثم يبتدئ بـ ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[3] لأنّه كلام المولى ﷻ .

وهذا الوقف هو الذي سمّاه السجاوندي بـ (اللازم) ، وقـد يتأكّـد الوقف عليه ويلزم ، لما في الوصل من الإلباس ، أو توهّم غير المراد ، كما في الوقف الذي في : (سورة آل عمران – الآية ١٨١) ، و(سورة يونس – الآية ٦٥) ، و(سورة يس – الآية ٧٦) ، وقد عبّر عنه بعضهم بـ (الواجب)[4] .

الوقف الكافي :

وهو الذي يتعلّق ما بعده بما قبله من جهة المعنى فقط ، لا من جهة

---

(١) سورة الفاتحة – الآيتان ١ ، ٢ .
(٢) سورة البقرة – جزء من الآيتين ٢٩ ، ٣٠ .
(٣) سورة النمل – الآية ٣٤ .
(٤) انظر : الإتقان ٢٣٧/١ تحقيق أ/ محمد أبو الفضل ، ونهاية القول المفيد ص١٥٦ .

اللفظ ، ويحسن الوقف عليه أيضًا ، وسُمّي (كافيًا) لاكتفائه واستغنائه عمّا بعده ، واستغناء ما بعده عنه بألا يكون مُقيّدًا له ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ ثم يبتدئ بـ ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ... ﴾[1] ، وقوله ﷻ : ﴿... وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ ... ﴾ ثم يبتدئ بـ ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ إلى قوله : ﴿أَوْ أَشْتَاتًا ﴾[2] .

وعلامة هذا الوقف أن يكون ما بعده مبتدأ ، أو فعلاً مستأنفًا ، أو مفعولاً لمحذوف ، أو نعتًا ، أو (إن) مكسورة ، أو استفهامًا ، أو (بل) الانتقاليّة ، أو (ألا) المخفّفة ، أو (السين) أو (سوف)[3] .

الوقف الحسن :

وهو الذي يتعلّق ما بعده بما قبله لفظًا لا معنى ، ويحسن الوقف عليه ، ولكن لا يحسن الابتداء بما بعده ؛ لتعلّقه به ، ككونه نعتًا له ، أو بدلاً ، أو حالاً ، أو توكيدًا ، ... ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يحسن الوقف عليه ؛ لأن المراد مفهوم ، لكن لا يحسن الابتداء بقوله : ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4] لكونه نعتًا مجرورًا ، والابتداء بالمجرور

---

(١) سورة المائدة – جزء من الآية ٥ .
(٢) سورة النور – جزء من الآية ٦١ .
(٣) انظر : منار الهدى ص١١ .
(٤) سورة الفاتحة – الآية ٢ .

قبيح[١] ، وقوله – عز شأنه – : ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ يحسن الوقف عليه ، لفهم المراد ، لكن يقبح الابتداء بما بعده وهو : ﴿وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ...﴾[٢] لأنّه سيصير تحذيرًا عن الإيمان بالله ، فلزم الوصل ، لأن ﴿إِيَّاكُمْ﴾ معطوف على ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ ، و﴿أَن تُؤْمِنُوا۟﴾ في تأويل مصدر مفعول لأجله[٣] .

الوقف الجائز :

ما يتجاذب فيه الطرفان : ما بعده مع ما قبله ، وبالعكس ، ويجوز فيه الوقف وتركه ، وذلك كقوله تعالى : ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ يجوز الوقف ، لكن لمّا لم يجب ربَّ العزّة أحدٌ أجاب نفسه بقوله : ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[٤] فجاز الوصل ، وقوله تعالى : ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يجوز الوقف ، ثم الابتداء بـ : ﴿وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[٥] لأن تقديم المفعول على الفعل يقتضي الوقف ، والوقف عليه يفيد معنى ، والتقدير : ويوقنون بالآخرة ، ويجوز الوصل لوجود (واو العطف) التي

---

(١) انظر : المكتفى للداني ص١٤٥ ، ومنار الهدى ص١٢ .
(٢) سورة الممتحنة – جزء من الآية ١ .
(٣) انظر : البحر المحيط ١٥٣/١٠ بعناية الشيخ/ عرفات حسونة ، والنشر ٢٣٠/١ ، ومنار الهدى ص١٢ .
(٤) سورة غافر – جزء من الآية ١٦ .
(٥) سورة البقرة – جزء من الآية ٤ .



تقتضي الوصل[1] .

الوقف القبيح :

وهـو الذي يتّصل ما بعده بما قبله لفظًا ومعنى ، ويقـبح الوقـف عليه ، بل يأثم صاحبه ، إن لم يكن مضطرًّا وقَصَد ذلك ، وهو كقولـه تعالى : ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ يقبح الوقف ثـم الابتـداء بــ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[2] لأنّه سيكون كالإقرار بذلك – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا – ، وقوله – عـز شـأنه – : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ يقـبح الوقف ثم الابتداء بــ : ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[3] لأنّه سيكون كمن يثبت ذلك – سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا – .

هذا ، وهناك نوع يُسمّى بــ **(وقف البيان)** ، وهو أن يبيّن معنى لا يفهم دون الوقف ، وذلـك كقولـه تعـالى : ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يقف هنا للبيان ثـم يبتـدئ بــ : ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[4] وذلك من أجل التفرقة بـين الـضميرين ، لأن الضمير في ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ عائد على خاتم المرسلين سيدنا **محمد بـن**

---

(١) انظر : منار الهدى ص١٢ .
(٢) سورة المائدة – جزء من الآية ٧٣ .
(٣) سورة المائدة – جزء من الآية ٦٤ .
(٤) سورة الفتح – الآية ٩ .



عبد الله ﷺ ، وفي ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ عائد على الذات العليا ، فــالوقف بيّن المراد[1] ، وقوله تعالى : ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ يقف للبيان ، ثم يبتدئ بــ ﴿الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾[2] ليبيّن أن الظرف بعد ﴿عَلَيْكُمُ﴾ وهو ﴿الْيَوْمَ﴾ متعلّق بمحذوف ، لا متعلقًا باسم ﴿لَا﴾ لأنّه لو كان كذلك لكان اسمها حينئذ شبيهًا بالمضاف فيجب نصبه وتنوينه[3] .

****

(١) انظر : البحر المحيط ٤٨٦/٩ .
(٢) سورة يوسف – جزء من الآية ٩٢ .
(٣) انظر : البيان للأنباري ٤٥/٢ ، وإملاء ما مَنّ به الرحمن ٣٦٠/٣ ، ومنار الهدى ص١٠ .

علاقة علم الوقف بعلم النحو وغيره من العلوم

هـذا ، ومن يمعن النظر في هذا العلـم الجليـل : علـم الوقـف والابتداء ، يجد أن الصلة بينه وبين علم النحو صلة قويّة كصلة الروح بالجسد ، لا انفكاك لأحدهما عن الآخر ، وذلك لأنّه لا يجـوز الوقـف على شيءٍ ما له تعلّق بما بعده ، وما بعده من تمامه ، فلا يتم الوقـف على المضاف دون المضاف إليه ، ولا على المنعوت دون نعتـه ، ولا الشرط دون جوابه ، ولا على الموصول دون صلته ، ولا على المبتدأ دون الخبر ، ولا على القسم دون جوابه ... إلخ ، هذه الأمـور التـي يتعلّق ما قبلها بما بعدها[1] ، ولله دَرُّ ابن مجاهد حين قال فيما نقله عنه ابن النحّاس[2] : " لا يقـوم بالتمام فـي الوقـف إلا نحـوي ، عـالم بالقراءات ، عالم بالتفسير ، والقصص ، وتخليص بعضها من بعض ، عالم باللغة التي نزل بها القرآن " ، وزاد غيره[3] : " عالم بالفقه " .

أما احتياجه إلى النحو ، فيدلّ عليـه أن مـن جعـل ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾[4] منصوبًا على الإغراء ، أو الاختصاص ، أو بفعل محذوف وقف على ما قبله وهـو  ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ ، والتقدير : الزموا ملّـة ، أو أعني بالدين ملّة ، أو اتّبعوا ملّة ، ومن جعله معمولاً لما قبله منـصوبًا

---

(١) انظر : الاقتداء ١/٤٥ تحقيق د/ محمد سعد ، والنشر ١/٢٣٠ ، ٢٣١ ، ومنار الهدى ص١٧ .
(٢) انظر : القطع والائتناف ص٨ ، والإتقان ١/٢٤١ تحقيق أ/ أبو الفضل .
(٣) السابق نفسه .
(٤) سورة الحج – جزء من الآية ٧٨ .

بمضمون الجملة قبله لم يقف على ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ ، والتقدير : وسع دينكم توسعة ملّة أبيكم ، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه[1].

وأمّا احتياجه إلى القراءات فيدلّ عليه أن الوقف قد يكون حسنًا على قراءة ، غير حسن على أخرى كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[2] فمن قرأ ﴿أَمَرْنَا﴾ – بالقصر والتخفيف – وهي قراءة العامة ، مأخوذة من الأمر الذي هو ضد النهي والمعنى : أمرناهم بالطاعة فخالفوا الأمر ، فلا يقف على ﴿مُتْرَفِيهَا﴾ ، ومن قرأ ﴿آمَرْنَا﴾ بالمد والتخفيف وهي قراءة خارجة عن نافع ، مأخوذة من قول العرب : " أمر القوم إذا كثروا ، وآمرهم الله ، إذا كثرهم " ، والمعنى : كثرنا مترفيها ، يحسن له الوقف على ﴿مُتْرَفِيهَا﴾ ومن قرأ ﴿أَمَّرْنَا﴾ – بالقصر والتشديد – وهي قراءة عليّ والحسن وعاصم وأبي عمرو ، مأخوذة من الإمارة ، والمعنى : ولينا مترفيهم ، وصيرناهم أمراء ، يحسن له الوقف على ﴿مُتْرَفِيهَا﴾ وهاتان القراءتان شاذتان[3] .

---

(١) انظر : الكشاف للزمخشري ٤١/٣ ، والبحر المحيط ٥٣٩/٧ ، ٥٤٠ ، والإتقان ٢٤٢/١ تحقيق أ/ أبو الفضل .

(٢) سورة الإسراء – الآية ١٦ .

(٣) انظر : السبعة لابن مجاهد ص٣٧٩ ، ومختصر في شواذ القراءات لابن خالويه ص٧٩ ، ومعاني القراءات للأزهري ص٢٥٣ ، ٢٥٤ ، والبحر المحيط ٢٦/٧ ، ٢٧ ، =

وأمّا احتياجه إلى التفسير فيدلّ عليه قول الله تعالى : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾(1) لأنّه إذا وقف على قوله : ﴿سَنَةً ﴾ كان المعنى : أنها محرّمة عليهم هذه المدّة المؤقّتة بأربعين ، ويكون العامل في ﴿أَرْبَعِينَ ﴾ قوله : ﴿مُحَرَّمَةٌ ﴾ ، و﴿يَتِيهُونَ ﴾ مستأنفًا ، وإذا وقف على ﴿عَلَيْهِمْ ﴾ كان المعنى : أنها محرّمة عليهم أبدًا لا يدخلونها ، والتيه مؤقّت بأربعين سنة ، ويكون العامل في ﴿أَرْبَعِينَ ﴾ الفعل ﴿يَتِيهُونَ ﴾(2) .

وأمّا احتياجه إلى الفقه فيدلّ عليه قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(3) فمن لم يقبل شهادة القاذف أبدًا ، وإن تاب كالإمام أبي حنيفة وأصحابه ، وابن المسيّب ، وابن جبير ، والحسن الثوري ﷺ يقف على قوله : ﴿ أَبَدًا ﴾ ومن يقبل شهادته إن تاب كالإمامين : مالك ،

= ومنار الهدى ص١٢ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢/١٩٥ .

(1) سورة المائدة – جزء من الآية ٢٦ .

(2) انظر : البحر المحيط ٤/٢٢٣ ، والإتقان ١/٢٤٢ تحقيق أ/ أبو الفضل ، وحاشية الجمل ١/٤٧٩ .

(3) سورة النور – الآيتان ٤ ، ٥ .

والشافعي – رضي الله عنهما[1] – لا يقف على قـوله : ﴿ أَبَدًا ﴾ وذلك لأن قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ﴾ في محل رفع مبتدأ أخبر عنه بثلاث جمل : **الأولى** : ﴿ فَٱجْلِدُوهُمْ ﴾ ، **والثانية** : ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا۟ ﴾ ، **والثالثة** : ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ ثم جاء بعد ذلك الاستثناء ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ... ﴾ فاتّفقوا على رجوعه إلى الجملة الأخيرة ، وعلى عدم رجوعه إلى الأولى ، واختلفوا في رجوعه إلى الثانية ، فمنهم من منع ، وهو الإمام أبو حنيفة ، ومنهم من أجاز ، وهو الإمام مالك والإمام الشافعي ﷺ[2] .

****

---

(١) انظر : مجمع البيان للطبرسي ١٢/٥ ، ١٣ ، والجامع لأحكـام القـرآن للقرطبـي ١٧٩/١٢ – ط/ دار الكتب المصريّة ، والاقتداء لابن النكـزاوي ٤٦/١ تحقيـق د/ محمد سعد ، والبحر المحيط ١٤/٨ ، والإتقان للسيوطي ٢٤٢/١ تحقيق أ/ أبو الفضل .
(٢) انظر : حاشية الجمل ٢٠٨/٣ .

الوقف الأوّل

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (سُورَةِ البَقَرَةِ – الآية ٢٦)

المفردات :

﴿لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ : لا يترك ولا يستنكف ، فليس المراد به التغيّر والانكسار ، لأن هذا من صفات الحوادث – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا –[١] .

﴿مَثَلًا﴾ : المَثَل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبيّن أحدهما الآخر ويوضّحه ويصوّره ، ومنه قيل للصور المنقوشة : تماثيل ، ويطلق المثل أيضًا على القول السائر الذي يشبه مضربه بمورده[٢] .

﴿بَعُوضَةً﴾ : نوع من الذباب صغير الحجم يؤذي الإنسان والحيوان بلدغه ، يشبه الفيل في الخِلْقة إلا أنّه أكثر أعضاء منه ، فللفيل

(١) انظر : مفردات الراغب الأصفهاني مادة (ح ي ي) .
(٢) انظر : مفردات الراغب ، ولسان العرب لابن منظور مادة (م ث ل) ، ومجمع الأمثال للميداني ١/٧ ، ٨ – ط/ عيسى الحلبي .



أربعة أرجل وخرطوم وذَنَب ، وللبعوضة مثل ذلك ورِجْلان زائـدتان وأربعة أجنحة ، وخرطوم الفيل مصمت ، وخرطومها مجـوف نافـذ للجوف تستقي به الدم من الإنسان والحيوان[١] .

﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ : أي : أكبر منها في الجثة كالذباب والعنكبـوت ، أو أقل منها كجناحها لغرض التمثيل به[٢] كما في الحديث : « لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ »[٣] .

﴿الْفَاسِقِينَ﴾ : الخارجين عن طاعة الله بارتكاب المعاصي والمنكرات مشتق من قولهم : " فسقت الرُّطبة من قشرها " أي : خرجت[٤] .

المعنى العام :

لما سمع المشركون بعض آي القرآن الكريم التـي فيهـا ضـرب الأمثال للناس بالعنكبوت[٥] والذباب[٦] وغيرهما قالوا : أما يستحي رَبّ محمد أن يضرب المثل بالمحقرات ؟[٧] فردّ الله عليهم مقولتهم تلـك ،

---

(١) انظر : حياة الحيوان للدميري ١/١٧٩ ، ١٨٠ – ط/ مصطفى الحلبي ، والمستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي ٢/١١٦ – نشر : مكتبة الحياة – بيروت .

(٢) انظر : البحر المحيط لأبي حيّان ١/١٩٩ بعناية عرفات حسونة – ط/ دار الفكـر – سنة ١٩٩٢م ، وحاشية الجمل على الجلالين ١/٣٣ .

(٣) رواه الترمذي – كتاب الزهد – باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ﷻ – ٤/٥٦٠ . ورواه الحاكم في المستدرك – كتاب الرقاق – ٤/٣٠٦ وقال : " صحيح الإسناد " .

(٤) انظر : مفردات الراغب ، ولسان العرب مادة (ف س ق) .

(٥) هي الآية ٤١ من سورة العنكبوت ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ...﴾ .

(٦) هي الآية ٧٣ من سورة الحج ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا ...﴾ .

(٧) انظر : أسباب النزول للواحـدي ص١٢ ، ١٣ – ط/ مصطفى الحلبي ، وحاشيـة =

مؤكدًا ﷺ أنّه لا يترك ولا يستنكف أن يضرب الأمثال بأقل شيء من خَلْقِه – في نظرهم – وهي البعوضة ، بل بما هو أصغر منها وهو جناحها ، ولا عجب في ذلك ، فالجميع خَلْق الله تعالى يشهد بقدرته وإبداعه ، وهذه البعوضة الصغيرة تسبح الله تعالى بلغتها ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[1] وربّما قتلت هذه البعوضة – مع صغر حجمها – حيوانًا كبيرًا كالفيل والجمل[2] ، وقد ثبت أن الملك الجبّار عاقب بها أحد الجبابرة الطغاة فدخلت من أنفه إلى أمّ رأسه وظلّت تعذّبه حتّى مات[3] ، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[4] .

ولذا فحين يضرب الله تعالى هذه الأمثال ، ويسمعها المؤمنون ، يزدادون إيمانًا مع إيمانهم ؛ لعلمهم بأن كل ما يأتي به ربّنا حقّ ، وأمّا الكافرون والمنافقون والفاسقون فحين يسمعونها لا يفهمون المراد منها لعمى بصائرهم فلا يعقلون منها إلا ظاهرها فيستهزئون بها ويتعجّبون من المراد بها ، فيردّ الله تعالى كيدهم إلى نحورهم واستهزاءهم إلى

= الجمل ١/٣٢ .
(١) سورة الإسراء – جزء من الآية ٤٤ .
(٢) انظر : حياة الحيوان للدميري ١/١٨٠ .
(٣) هو نمرود بن كنعان الذي حاجّ سيدنا إبراهيم – عليه وعلى نبيّنا السلام – انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٣١٣ ، ٣١٤ – نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة ، وحاشية الجمل على الجلالين ١/٢١٠ ، وحياة الحيوان للدميري ١/١٨٢ .
(٤) سورة المدثر – جزء من الآية ٣١ .



نفوسهم ، بأنّه ﷻ ضرب مثل ذلك لهداية كثير من المؤمنين ، وإضلال كثير من الفَسَقَة والكافرين .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه : قوله : ﴿بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ وهو من كلام الكافرين المحكى عنهم على سبيل الاستفهام ، وهنا يلزم الوقف عليه لأنّه نهاية كلامهم ، ثم الابتداء بجملة ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ...﴾ وهي من كلام المولى ﷻ ردًّا على سؤالهم السابق ، ولو وصل لصارت هذه الجملة من كلام الكافرين المحكى عنهم ، وهذا غير واقع ، فلزم الوقف[1] .

وعليه فـ (ما) اسم استفهام مبتدأ و(ذا) اسم موصول بمعنى (الذي) خبر المبتدأ ، وجملة ﴿أَرَادَ﴾ صلة الموصول لا محل لها من الإعراب ، والعائد محذوف وتقديره : أراده ، أو ﴿مَاذَآ﴾ كلمة واحدة اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدّم لـ ﴿أَرَادَ﴾ ، و﴿مَثَلًا﴾ تمييز ، أو حال من ﴿هَٰذَا﴾ ، أي متمثّلاً به ، أو حال من اسم الجلالة أي متمثّلاً ، وأجاز الكوفيّون نصبه على القطع وكأن الأصل : ماذا أراد الله بهذا المثل ؟ فلما لم يَجْرِ على إعراب ما قبله نصب على القطع ،

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٣/١ – نشر الهيئة المصريّة ، والقطع والائتناف لابن النحّاس ٤٧/١ تحقيق د/ المطرودي ، والاقتداء في معرفة الوقف والابتداء لابن النكزاوي ٩٤/١ تحقيق د/ محمد سعد ، ومنار الهدى في الوقف والابتداء لأحمد الأشموني ص٣٧ – ط/ مصطفى الحلبي .



و﴿ يُضِلُّ ﴾ مضارع مرفوع لتجرّده عن الناصب والجازم ، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة ، والفاعل ضمير مستتر عائد على اسم الجلالة ، والجار والمجرور ﴿ بِهِۦ ﴾ متعلّق بالفعل ﴿ يُضِلُّ ﴾ ، و﴿ كَثِيرًا ﴾ مفعول به منصوب ، والجملة الاستئنافيّة جواب الاستفهام لا محل لها من الإعراب[1] ، هذا هو الرأي الراجح في هذا الوقف ؛ لأن بعض العلماء – ومنهم العكبري[2] ، وأحمد الأشموني[3] – يرون أن الوقف ليس بلازم بل جائز ؛ لأنّه يصحّ عندهم أن تكون جملة ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ من جملة الكلام المحكي عن الكفّار ، لا من كلام المولى ﷻ ، ويرى ابن عطيّة[4] أن الجملة الأولى فقط ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ من كلام الكفّار ، أما الثانية ﴿ وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ فمن كلام الله ﷻ .

وعلى هذه الآراء تكون الجملتان ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى

(١) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢١٥/١ ، ٢١٦ تحقيق د/ عبد الأمير الورد ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٠٥/١ تحقيق د/ عبد الجليل شلبي ، والبيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ٦٦/١ ، ٦٧ تحقيق د/ طه عبد الحميد ، وإملاء ما مَنّ به الرحمن للعكبري ٨٣/١ – مطبوع على هامش حاشية الجمل ، والبحر المحيط ٢٠٠/١ – ٢٠٢ ، وشرح الجمل الكبير لابن عصفور ٤٧٨/٢ تحقيق د/ أبو جناح ، والمغني لابن هشام الأنصاري ص٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ تحقيق د/ مازن المبارك .

(٢) انظر : إملاء ما مَنّ به الرحمن ٨٣/١ .

(٣) انظر : منار الهدى ص٣٧ .

(٤) انظر : المحرر الوجيز ١٥٤/١ – ط/ فاس – سنة ١٩٩٢م ، وحاشية الجمل ٣٣/١ .



﴿بِهِۦ كَثِيرًا﴾ في محل نصب صفة لـ ﴿مَثَلًا﴾ أي : مثلاً يفترق الناس به إلى ضالّين ومهتدين ، أو تكون الجملتان حاليتين من اسم الله ﷻ ، أي : مضلاً به كثيرًا من الناس وهاديًا به كثيرًا[1] .

هذا ، وقد رجّح الرأي الأول وأن الوقف لازم كثير من العلماء ، منهم أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى[2] حيث ذكر أن جملة ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ من الكلام المحكى عن الكافرين ، وجملة ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ من كلام الله ﷻ ردًّا عليهم ، وابن النكزاوي[3] ، وأبو حيّان الأندلسي[4] حيث ردّ الرأي الثاني قائلاً : " وهذا الوجه ليس بظاهر ، لأن الذي ذكر أن الله لا يستحيي منه هو ضربُ مَثَل ما – أي : أيَّ مثل كان : بعوضة أو ما فوقها – ، والذين كفروا إنّما سألوا سؤال استهزاء ، وليسوا معترفين بأن هذا المثل ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ " ، وابن هشام الأنصاري[5] حيث ذكر اختلاف العلماء في إعراب جملة ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ...﴾ فقال : " صفة لـ ﴿مَثَلًا﴾ أو مستأنفة " ، ثم عقب قائلاً : " والصواب الثاني [أي : مستأنفة من

---

(١) انظر : إملاء ما مَنّ به الرحمن ٨٣/١ ، وحاشية الجمل ١٣٣/١ .
(٢) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨/١ تحقيق د/ محمد فؤاد سزكين .
(٣) انظر : الاقتداء لابن النكزاوي ٩٤/١ تحقيق د/ محمد سعد .
(٤) انظر : البحر المحيط ٢٠٢/١ .
(٥) انظر : مغني اللبيب ص٧٧٣ ، ٧٧٤ .



كلام الله ﷻ] لقوله تعالى في سورة المدثّر : ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ ﴾[1] .

وأرى – مع هؤلاء العلماء – ترجيح الرأي الأوّل ؛ لأن هذا الرأي الثاني في أن الوقف جائز غير قوي ؛ لحدوث اللبس في التركيب ؛ لأن الكلام إما أن يجري على أنّه من كلام الكفّار ، أو يجري على أنّه من كلام الله ﷻ ، أمّا أن يجري بعضه على أنّه من كلام الكفّار ، وبعضه من كلام الله تعالى من غير دليل على ذلك ، فإنّه يكون إلباسًا في التركيب ، وكلام الله تعالى منزّه عن ذلك[2] ، ولكون الاستفهام والإجابة حينئذ سيكونان صادرين عن الكفّار ، وهذا مناقض لما ورد في سبب نزول الآية ، كما سبق من سؤال المشركين واستهزائهم ، فردّ الله تعالى عليهم مقولتهم تلك ، يزيد على هذا أن المعهود في أسلوب الاستفهام أن يكون السؤال من المستفهِم والجواب من المستفهم منه ، لا أن يكون السؤال والجواب معًا من المستفهِم ، ولا يعقل أن يكون الاستفهام هنا قد خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي ، بحيث لا يحتاج إلى جواب عنه[3] ؛ لأن سياق الآية لا يرتضيه ، إذن لابد من جواب عنه كقوله

---

(١) سورة المدثر – جزء من الآية ٣١ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٢٠٣/١ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٢٣٢/١ تحقيق د/ أحمد الخراط ، وحاشية الجمل ٣٣/١ .

(٣) انظر : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح للشيخ/ عبد المتعال الصعيدي ٤٧/٢ وما بعدها – نشر مكتبة الآداب .



تعالى على لسان الكفّار : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ فردّ الله تعالى عليهم : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ... ﴾[1] يؤكّد هذا أن في جعل ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ من كلام الكافرين ، يكون الكافرون قد أقرّوا على أنفسهم بالضلال والكفر ، وبأن هذه الأمثال قد ضربها الله تعالى لإضلالهم ، وهذا غير واقع .

****

(١) سورة الزخرف – الآيتان ٣١ ، ٣٢ ، وانظر : حاشية الجمل ٨٣/٤ .

الوقف الثاني

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (سُورَةِ البَقَرَةِ – الآية ٣٤)

المفردات :

﴿إِبْلِيسَ ﴾ : اسم أعجمي ، منع من الصرف للعلمية والعجمة ، وقيل : مشتق من الإبلاس ، وهو اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى ، والراجح الأوّل ؛ لأنّه لو كان عربيًّا لصرف كما صرف (إزميل) و(إكليل) و(إغريض)[١] .

المعنى العام :

يذكر الله ﷻ في القرآن الكريم لرسوله سيدنا **محمد** ﷺ بعض ما وقع في عالم الغيب ، ومن ذلك : أمره ﷻ الملائكة بالسجود لسيدنا آدم – عليه وعلى نبيّنا السلام – سجود تحيّة وطاعة لله ﷻ فيما أمر ، فأطاعوا وأجابوا ، ففازوا وربحوا ، إلا إبليس ، فإنّه أبى استنكافًا ، وامتنع تكبرًا أن يسجد لمخلوق خلقه الله تعالى من طين ، زاعمًا أنّه خير منه ؛ لأنّه خُلق من نار ، فخاب وخسر ، وصار مطرودًا من رحمة الله ، رَبّ العالمين ، وكذا كل من سفّه أمرًا من أوامر الله تعالى ،

(١) انظر : لسان العرب (ب ل س) ، والبحر المحيط ٢٤٤/١ ، والدر المصون ٢٧٥/١ ، ٢٧٦ .

أو أمر رسوله ﷺ كان حكمه كحكم إبليس .

موضع الوقف وسرّه :

قوله : ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ ، وذلك أنّه ﷻ يذكر أمره للملائكة الكرام بالسجود لآدم عليه السلام فأطاعوا وسجدوا ، وكان من المخاطبين معهم بهذا الأمر (إبليس) فلم يطع ، وأبى وعاند ، وهنا يلزم الوقف على ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ والابتداء بالجملتين بعده ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ ؛ لأنهما جملتان مستأنفتان ، جوابًا عن سؤال مقدّر تقديره : فما فعل ؟[1] ولو وصل لصارت هاتان الجملتان في موضع نصب على الحال من ﴿إِبۡلِيسَ﴾ ويكون التقدير : إلا إبليس ترك السجود كارهًا مستكبرًا عنه ، ويكون الوقف على هذا عند ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ وهذا رأي العكبري[2] ، لكن الراجح ما ذكره السمين الحلبي والأشموني من لزوم الوقف على ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ للتقدير السابق[3] .

****

---

(١) انظر : الدر المصون ٢٧٦/١ ، ومنار الهدى ص٣٨ .
(٢) انظر : التبيان ٥١/١ .
(٣) انظر : الدر المصون ٢٧٦/١ ، ومنار الهدى ص٣٨ .



الوقف الثالث والرابع

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

(سُورَةِ البَقَرَةِ – الآيتان ١٠٢ ، ١٠٣)

المفردات :

﴿ بِبَابِلَ ﴾ : بابل : بلدة قريبة من الكوفة بأرض العراق ، قيل : سُمّيت بذلك لتبلبل ألسنة الخلائق بها[١] .

﴿ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ : اسما ملكين نزلا لتعليم الناس السحر[٢] .

---

(١) انظر : البحر المحيط ٥٢٨/١ ، وحاشية الجمل ٨٧/١ . وراجع : معجم البلدان ٣٠٩/١ - ٣١١ .

(٢) انظر : الكشاف ٨٥/١ – ط/ دار المعرفة ، والبحر المحيط ٥٢٧/١ .

﴿خَلَٰقٍ﴾ : النصيب الوافر من الخير ، وقيل : ما يكتسبه الإنسان من الفضيلة بخُلُقه[1] .

المعنى العام :

يخبر الله تعالى نبيّه سيدنا **محمدًا** ﷺ عن بعض صفات اليهود الحقيرة ، وخُبثهم الشديد ، ومكرهم الكبير ، وكذبهم على أنبياء الله عليهم السلام حيث اتّبعوا ما تَقَوّلَته الشياطين على نبي الله سليمان عليه السلام من ادّعائهم أنه ساحر ، وأنه ملَكَ الإنس والجن بذلك ، فردّ الله تعالى عليهم مقولتهم تلك ، وزعمهم هذا ، بأن نبي الله سليمان عليه السلام لم يكن ساحرًا ، إنما كان ملِكًا نبيًّا ، والذي حدث أنه حين رأى الناس قد انشغلوا بتعليم السحر جمع هذه الكتب التي يتعلّمون منها ، ودفنها تحت كرسيه ، فلما مات استخرجتها الشياطين ، وادّعت عليه ذلك ، وردّدته اليهود . وكان الله ﷻ قد أنزل ملكين يعلّمان الناس السحر ليفرقوا بتعليمه بين السحر والمعجزة ، أو ليدفعوا بتعلّمه ضرر السّحَرَة عنهم ، وقد كانوا يُحذّرون من يعلمونه مَغَبّة استعمال ذلك في الشر ، كالتفريق به بين الرجل وزوجه . ولقد علمت اليهود أنهم بهذا السحر الذي توارثوه لا يضرّون به أحدًا إلا بعلم الله تعالى وقدرته ، وأنهم بذلك اشتروا الحياة الدنيا ، وفضّلوها على الآخرة التي لن يجدوا لهم فيها مقدارًا من الخير ينفعهم ، ولو كان عندهم أدنى عقل وتدبّر لسارعوا إلى الإيمان بخاتم الرسل سيدنا

---

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/١٨٦ ، ومفردات الراغب (خ ل ق) .

محمد ﷺ ، وتركوا ما هم عليه من الكفر والكذب على أنبياء الله .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه : قوله : ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ﴾ في الآية الأولى ، و﴿خَيْرٌۚ﴾ في الآية الثانية ، وذلك أنّه ﷻ يخبر عن بعض صفات اليهود ، وكذبهم على نبي الله سليمان عليه السلام ووَصْفِه بالسحر ، فيردّ الله تعالى عليهم ذلك ، ويخبر بحقيقة ما حدث من نزول الملكين لتعليم الناس السحر اختبارًا وامتحانًا ، وأن من تعلّم ذلك لقصد الفساد فبئس ما صنع ، وهنا يلزم الوقف على ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ والابتداء بجملة ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ؛ لأنّه لو وصل لتوهّم أن ذم صنيعهم هذا متوقّف على شرط ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ وليس كذلك ، فصنيعهم مذموم ، علموا ذلك أو لم يعلموه . ومثله الوقف الثاني ؛ لأنّه لو وصل لتوهّم أن ثوابهم على الإيمان والتقوى متوقّف على علمهم بذلك . وعليه فـ ﴿عَلَىٰ مُلْكِ﴾ يصح أن تكون ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى (في) ، والتقدير : على عهد ملك سليمان ، أي : في زمن مُلكِه ، و﴿تَتْلُوا۟﴾ بمعنى (تقرأ) ، أو ﴿عَلَىٰ﴾ ليست بمعنى (في) إنّما ضمنت ﴿تَتْلُوا۟﴾ معنى (تَتَقَوّل) كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾[1] ، وجملة ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ

---

(١) سورة الحاقة – الآية ٤٤ .. وانظر : البحر المحيط ١/٥٢٢ ، ٥٢٣ .

﴿ٱلسِّحْرَ﴾ الضمير في ﴿يُعَلِّمُونَ﴾ إما أن يكون عائدًا على ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ وإما أن يكون عائدًا على (الّذين اتّبعوا ما تتلوا الشياطين) ، وعلى الأوّل فالجملة : إمّا استئنافيّة لا محل لها من الإعراب ، وإمّا في محل نصب على الحاليّة من الضمير في ﴿كَفَرُواْ﴾ ، أي : كفروا معلّمين الناس السحر ، وإمّا حالاً من ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ على أن ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ فيها رائحة الفعل ، وإمّا في محل رفع خبرًا ثانيًا لـ ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ بعد الخبر الأوّل جملة ﴿كَفَرُواْ﴾ ، وإمّا بدلاً من جملة ﴿كَفَرُواْ﴾ بدل الفعل من الفعل ، لأن تعليم السحر كفر في المعنى .

وعلى التقدير الثاني للضمير ، فالجملة : إمّا استئنافيّة للإخبار عنهم ، وإمّا حالاً من فاعل ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ ، و﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ : ﴿مَا﴾ إمّا أن تكون اسم موصول بمعنى (الذي) في محل نصب عطفًا على ﴿ٱلسِّحْرَ﴾ وسوغ ذلك تغايرهما في اللفظ ، أو عطفًا على ﴿مَا﴾ في ﴿مَا تَتْلُواْ﴾ ، وإمّا أن تكون في موضع جر عطفًا على ﴿مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ ونقدّر مضافًا محذوفًا قبلها تقديره : وعلى عهد الذي أنزل على الملكين ، و﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ : المضارع المنصوب بـ (أن) مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ ، و﴿حَتَّىٰ﴾ غاية لما قبلها

بمعنى (إلى أن) ، وأجاز العكبري[1] أن تكون هنا بمعنى الاستثناء ، أي : إلا أن يقولاً ، كقول الشاعر :

لَيسَ العَطَاءُ مِنَ الفُضُولِ سَمَاحَةً ∴ حَتى تَجُودَ وَمَا لَدَيكَ قَلِيلُ[2]

أي : إلا أن تجود .

﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾ : الجملة استئنافيّة لا محل لها من الإعراب ، أو المضارع معطوفًا على فعل مقدّر يفهم من السياق تقديره : يأتون فيتعلّمون ، أو معطوفًا على ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ أي : يعلّمونهم فيتعلّمون ، أو معطوفًا على ﴿ يُعَلِّمَانِ ﴾ ، ولا يقال : إنه معطوف على منفي ؛ لأنّه وإن كان منفيًّا في الظاهر فهو مثبت في المعنى ؛ لأن المعنى : يعلّمان الناس السحر بعد قولهما : إنّما نحن فتنة .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴾ : ﴿ عَلِمُوا۟ ﴾ عُلّقت عمّا بعدها لوجود (لام الابتداء) بعدها في ﴿ لَمَنِ ﴾ و(من) اسم موصول بمعنى (الذي) في محل رفع مبتدأ ، و﴿ ٱشْتَرَىٰهُ ﴾ صلته ، و﴿ لَهُۥ ﴾ جار ومجرور متعلّق بمحذوف خبر مقدّم ، و﴿ خَلَـٰقٍ ﴾ مبتدأ مؤخّر ، والجملة من المبتدأ والخبر في محل رفع خبر

---

(١) انظر : إملاء ما منّ به الرحمن ٢١٥/١ ، والبحر المحيط ٥٢٩/١ ، وحاشية الجمل ٨٨/١ .

(٢) البيت من الكامل ، للمقنع الكندي ، ورد في : المساعد لابن عقيل ٧٩/٣ ، والجنى الداني ص٥٥٥ ، وهمع الهوامع ٩/٢ ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ٣٧٢/١ ، وشرح الأشموني ٢٩٧/٣ ، وحاشية الخضري على ابن عقيل ١١٤/٢ .

المبتدأ (من) ، و﴿ مِنْ ﴾ التي قبل ﴿ خَلَٰقٍ ﴾ صلة (زائدة) لتأكيد النفي ، و﴿ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ جار ومجرور متعلّق بمحذوف في محل نصب حال ، والجملة كلّها ﴿ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ ... ﴾ في محل نصب سادّة مسدّ مفعولي ﴿ عَلِمُوا۟ ﴾ .

﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ : ﴿ لَوْ ﴾ شرطيّة وجوابها محذوف تقديره : لو كانوا يعلمون حقيقة ما سيصيرون إليه من العذاب ما تعلّموا السحر .

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ﴾ : ﴿ لَوْ ﴾ شرطيّة أيضًا ، والجملة بعدها من (أن) واسمها وخبرها في محل رفع فاعل لفعل محذوف تقديره : ولو ثبت أو وقع إيمانهم ، هذا عند المبرد[1] ، ويرى سيبويه[2] أن المصدر المؤول في محل رفع بالابتداء وخبره محذوف تقديره : ولو إيمانهم ثابت ، وجواب ﴿ لَوْ ﴾ هذه محذوف تقديره : لأثيبوا ، وقد دلّ عليه ﴿ لَمَثُوبَةٌ ﴾ ، و(مثوبة) مبتدأ نكرة ، وجاز الابتداء به لتخصّصه بالصفة بعده ﴿ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ وخبره ﴿ خَيْرٌ ﴾ ، ﴿ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ : شرطيّة كالأولى جوابها محذوف تقديره : لآمنوا[3] .

---

(١) انظر : المقتضب ٣/٧٦ ، ٧٧ ، والمغني ص٣٥٦ ، وحاشية الجمل ١/٨٩ .
(٢) انظر : الكتاب ٣/١١ ، والمغني ص٣٥٦ ، وحاشية الجمل ١/٨٩ .
(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ١/٦٣ – ٦٩ ، ومعاني القرآن للأخفش ١/٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/١٨٢ – ١٨٧ ، والكشاف للزمخشري ١/٨٥ ، ٨٦ ، والبيان للأنباري ١/١١٣ – ١١٦ ، وإملاء ما منّ به الرحمن ١/٢١٢ – ٢١٩ ، والبحر المحيط ١/٥٢٢ – ٥٣٨ ، وحاشية الجمل ١/٨٤ – ٩٠ .

الوقف الخامس

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ (سُورَةِ البَقَرَةِ – الآية ١١٦)

المفردات :

﴿قَانِتُونَ﴾ : خاضعون طائعون منقادون لا يمتنعون منه ﷻ[١] .

المعنى العام :

يخبر الله تعالى نبيّه سيدنا **محمدًا** ﷺ والمؤمنين معه عن بعض أكاذيب اليهود والنصارى وافتراءاتهم على الذات العليا ، حيث قالت يهود : عزير ابن الله ، وقالت نصارى : المسيح ابن الله ، فأكذبهم الله تعالى في ذلك منزّهًا ذاته عن اتّخاذ الشريك والولد ؛ لأنّه ﷻ يملك مُلك قهر وجَبْر كُلّ ما في السماوات وما في الأرض ، والجميع خاضعون منقادون إليه ﷻ ، ومنهم عزير والمسيح ، فكيف يدّعي هؤلاء المفترون بعد ذلك أنهم أولاد الله تعالى ؟! .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿وَلَدًا ۗ﴾ ، وذلك أنّه ﷻ يخبر عن بعض أكاذيب اليهود والنصارى حاكيًا ما قالوه زورًا وبهتانًا ، وهنا يلزم

---

(١) انظر : الكشاف ١/٩٠ – ط/ دار المعرفة ، ومفردات الراغب (ق ن ت) .

الوقف على ﴿وَلَدًاۘ﴾ والابتداء بجملة ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ بعدها ؛ لأنّه لو وصل لتوهّم أن جملة ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ من كلامهم ، وهـذا مستحيل ، لأنهم كيف ينسبون إليه الولد ثم ينزّهونه في وقت واحد ؟ إنّما هي من كلام الله ﷻ ردًّا عليهم ، وتكذيبًا لهم في زعمهم ، وعليه فـ ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ اسم وضع موضع المصدر منصوب بفعل محذوف تقديره : نسبّحه سبحانه ، و﴿بَل﴾ للإضراب ، و﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ جملة من مبتدأ وخبر ومعطوف ، و﴿كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ : ﴿كُلّٞ﴾ مبتدأ ، وهو مقطوع عن الإضافة ، والمضاف إليه محذوف تقديره : كل ما في السماوات والأرض ، و﴿قَٰنِتُونَ﴾ خبر المبتدأ وجمع حملاً على المعنى ، لأن ﴿كُلّٞ﴾ إذا قطعت عن الإضافة جاز فيها مراعاة المعنى – وهو الأكثر – كهذه الآية ، وكقوله تعالى : ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾(1) ،  ﴿وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ﴾(2) ، وجاز مراعاة اللفظ كقوله تعالى : ﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾(3) ، و﴿ٱتَّخَذَ﴾ التي في أول الآية إمّا أن تكون بمعنى (صنع) فتنصب مفعولاً واحدًا هو ﴿وَلَدًا﴾ ، وإمّا أن تكون بمعنى (صير) فتنصب مفعولين : أولهما

(1) سورة يس – جزء من الآية ٤٠ .
(2) سورة النمل – جزء من الآية ٨٧ .
(3) سورة الإسراء – جزء من الآية ٨٤ .

محـذوف تقديره : صـير الله بعض مخلوقاته ، وثانيهما ﴿وَلَدًا﴾ ، إلا أنّه لما كثر ورود هـذا التركيب اكتفـي معـه بـذكر المفعـول الواحـد كقوله تعالى : ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾[1] ، ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[2][3] .

****

(١) سورة المؤمنون – جزء من الآية ٩١ .
(٢) سورة مريم – جزء من الآية ٩٢ .
(٣) انظر : الكشاف ٩٠/١ – ط/ دار المعرفـة ، والبحـر المحـيط ٥٨٠/١ – ٥٨٢ ، وحاشية الجمل ٩٨/١ ، ٩٩ .



الوقف السادس

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (سُورَةِ البَقَرَةِ – الآية ١١٨)

المفردات :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ : قيل : إنهم اليهود ، وقيل : إنهم النصارى ، وقيل : هم مشركو العرب ، وهو الراجح[١] ؛ لأن سياق الآية يشبههم باليهود والنصارى ، وهم الذين من قبلهم ، ويؤكد ذلك نظيره من الآيات التي تحكي ما قاله مشركو العرب : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾[٢] ، ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴾[٣] .

﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم ﴾ : هم اليهود والنصارى[٤] ، حيث حكى

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١٦١/١ ، ١٦٢ ، وحاشية الجمل ١٠٠/١ .
(٢) سورة الفرقان – الآية ٢١ .
(٣) سورة الأنعام – جزء من الآية ١٢٤ .
(٤) انظر : تفسير ابن كثير ١٦١/١ ، ١٦٢ ، وحاشية الجمل ١٠٠/١ .

القرآن عنهم : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْـرَةً ﴾[1] ، ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾[2] .

﴿ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ : أي : في الكفر والنفاق ، والعمى والعناد ، والتجبّر والتعنّت[3] .

﴿ يُوقِنُونَ ﴾ : اليقين : من صفة العلم فوق المعرفة والدراية ، وهو نقيض الشك ، والمقصود به : سكون الفهم مع ثبوت الحكم[4] .

المعنى العام :

تعنّت المشركون كثيرًا ، وطلبوا من حضرة النبي ﷺ مطالب متنوّعة وشروطًا كثيرة ، لكي يؤمنوا – وما هم بمؤمنين – كطلبهم بأن يفجّر لهم الأنهار في بلادهم القاحلة ، أو يصيّر لهم الجبال ذهبًا ، أو يأتي لهم بالملائكة عِيانًا تكلّمهم ، أو يكلّمهم رب العزة ﷻ من غير واسطة ، أو بواسطة الوحي ، فشقّ ذلك على النبي ﷺ ، فأخبره ربّه مسلّيًا له ، ومخبرًا بأن هؤلاء الكفرة لن يؤمنوا مهما أوتوا من آيات طلبوها ، لأن الله تعالى قد طمس على قلوبهم ، وأعمى بصائرهم ، وهم ليسوا أوّل من تعنّت مع أنبياء الله تعالى ، فقد سبقهم إخوانهم في الكفر

(١) سورة البقرة – جزء من الآية ٥٥ .
(٢) سورة الذاريات – الآية ٥٢ .
(٣) انظر : حاشية الجمل ١/١٠٠ .
(٤) انظر : مفردات الراغب ، ولسان العرب (ي ق ن) .

والجحود من اليهود والنصارى ، حيث سألوا رسلهم عن رؤية الله تعالى جهرة فعاقبهم الله تعالى وعذّبهم ، وهؤلاء تشابهت قلوبهم في الكفر والجحود ، والطمس والعمى ، فلن يفهموا ما يأتيك الله تعالى به من آيات ، إنما يؤمن بها ، ويعقلها المؤمنون الصادقون في الإيمان ، الخاضعون للرحمن ، المصدّقون بالقرآن ، الراغبون في الجنان ، الخائفون من النيران .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ وذلك أن قوله : ﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ من جملة الكلام المحكي عن الكفّار واليهود والنصارى ، في أن المتأخّرين منهم قالوا كلامًا مثل ما قاله السابقون منهم ، ثم عقب المولى ﷻ بأن هؤلاء تشابهت قلوبهم في الكفر ، واتّفقت في الجحود ، فلابد من الوقف على ﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ وإلا كانت جملة ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ من كلام الكافرين أيضًا ، وهذا غير واقع[1] .

وعليه ، فـ (الكاف) في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في موضع نصب نعت لمصدر محذوف منصوب متقدّم على الفعل ، والتقدير : قالوا قولاً مثل قول اليهود والنصارى ، و﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ : بدل من ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أو

---

(1) انظر : القطع والائتناف ١/٧٧ ، والاقتداء لابن النكزاوي ١/١٥٩ تحقيق د/ محمد سعد ، ومنار الهدى ص٤٨ .



عطف بيان ، أو مفعول لـ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ أو لـ ﴿قَالَ﴾ ، ويجوز أن تكون (الكاف) في موضع رفع بالابتداء ، والجملة بعده خبر عنه ، والعائد على المبتدأ محذوف ، وتقديره : كذلك قاله[1] ، و﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ : صفة لمصدر محذوف ، أو مفعول لـ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ، وعلى هذا الإعراب لا يصح أن تكون ﴿مِّثْلَ﴾ مفعولاً لـ ﴿قَالَ﴾ لأن ﴿قَالَ﴾ قد أخذ مفعوله ، وهو العائد المحذوف[2] .

وعلى كلا الإعرابين فـ ﴿تَشَٰبَهَتْ﴾ فعل ماض ، و(التاء) للتأنيث ، و﴿قُلُوبُهُمْ﴾ فاعل ، و(هم) ضمير مبني على السكون في محل جر مضاف إليه ، والجملة استئنافيّة لا محل لها من الإعراب .

هذا وقد ردّ الإعراب الثاني – وهو كون (الكاف) في موضع مبتدأ والجملة بعده خبر والعائد محذوف تقديره : قاله – ابن الشجري حيث قال : " وأقول : لا يجوز أن يكون موضع (الكاف) في الموضعين رفعًا كما زعم ، لأنك إذا قدرتها مبتدأ احتاجت إلى عائد الجملة ، وليس في الجملة عائد ، فإن قلت : أقدر العائد محذوفًا ، كتقديره في قراءة من قرأ : ﴿وَكُلٌّ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[3] أي : وعده الله فأقدر : كذلك قاله الذين

---

(١) انظر : مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ١٠٩/١ تحقيق د/ حاتم صالح الضامن .

(٢) انظر : البيان لأبي البركات الأنباري ١٢٠/١ ، وإملاء ما منّ به الرحمن ٢٣٤/١ ، ٢٣٥ ، والبحر المحيط ٥٨٧/١ ، والمغني لابن هشام ص٢٣٧ .

(٣) سورة الحديد – جزء من الآية ١٠ . وانظر : إتحاف فضلاء البشر ٥٠٢/٢ .

لا يعلمون ، وكذلك قاله الذين من قبلهم ، لم يجز هـذا ، لأن ﴿قَالَ﴾ قد تعدى إلى ما يقتضيه من منصوبه ، وذلك قوله ﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ ولا يتعـدى إلى منصوب آخـر "[1] ، وقد أجاب ابن هشام عن ذلك قائلاً : " وليس بشيء ، لأن ﴿مِّثْلَ﴾ حينئذ مفعـول مطلق أو مفعـول بـه لـ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ والضمير المقدر مفعول به لـ ﴿قَالَ﴾[2] .

****

(١) الأمالي الشجريّة ١٦٩/٣ تحقيق د/ الطناحي .
(٢) انظر : المغني ص٢٣٧ .

الوقف السابع

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(سُورَةُ البَقَرَةِ - الآيتان ١٨٣ ، ١٨٤)

المعنى العام :

ينادي الله تعالى عباده الّذين رضوا به ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبسيدنا **محمد** ﷺ نبيًّا ورسولاً ، فيخاطبهم بلفظ الإيمان ، ليحرك فيهم جَذْوَته ، ثم يبيّن أنّه كتب عليهم – كما كتب على الأمم السابقة عليهم – صيام شهر في العام لتصفو نفوسهم ، وتتطهّر قلوبهم ، وقد أباح فطره لمن لا يقدر عليه لعذر من سفر أو مرض ، بشرط أن يقضيه بعد زوال العذر ، أما من كان مريضًا مرضًا مزمنًا يمنعه من أداء الصيام طوال حياته ، فعليه أن يفدي عن كل يوم يفطره ، بأن يطعم مسكينًا ، ومن زاد كان خيرًا له ، ومن صام كان أفضل له من الفطر .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، *قوله تعالى* : ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ وذلك لأنّه ﷻ بيّن حكم

الصيام ، وعلى من يجب ، وحكم من لا يقدر عليه ، وأن الصيام خير من الفطر لما فيه من ثواب جزيل وخير كبير ، وهنا يلزم الوقف على ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾ والابتداء بقوله : ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ؛ لأنّه لو وصل ؛ لتوهّم أن كون الصيام خير لهم متوقّف على علمهم ذلك ، وهذا غير مراد ، فالصيام خير علموا ذلك أو لم يعلموه ، وعليه فـ ﴿إن﴾ شرطيّة جوابها محذوف وتقديره : لَمَا تركتم الصيام .

****



الوقف الثامن

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

(سُورَةُ البَقَرَةِ – الآية ٢١٢)

المفردات :

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ : يستهزئون ويضحكون[1] .

المعنى العام :

زيّن الله ﷻ وحسّن الدنيا في عيون الكفّار ، حتى اطمأنّوا لها ، وركنوا إليها ، ومنعوا حقوق الله تعالى فيها ، فلم يخرجوا زكاة ، ولم يقيموا صلاة ، بل سخروا من المؤمنين المتّقين الذين جعلوا الدنيا وراء ظهورهم ، والآخرة أمامهم ، فأنفقوا الأموال في الزكاة والصدقات ، وأسهروا الأبدان في الذكر والصلوات ، ولذا جعلهم الله يوم القيامة في أعلى الدرجات ، وجعل الكافرين في أسفل الدركات ، وهذا فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء ، وهو ﷻ يعطي المؤمنين المتّقين عطاء كبيرًا ، وخيرًا عميمًا بغير حساب .

---

(١) انظر : لسان العرب ، والمصباح المنير (س خ ر) .

موضع الوقف وسرّه :

موضــــعه ، قوله تعالى : ﴿ وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ وهـــو كـــــلام المولى ﷻ عن الكافرين بأن زيّن الحياة الدنيا في أعينهم ، حتى ركنوا إليها ، وسخروا من المؤمنين الذين ابتعدوا عن زخارف الدنيا ، فهـــذا كلام محكي عن الكافرين ، لابد من الوقف عليه ، ثم استئناف الكــــلام والبدء بهذا الحكم الجديد عقيب الكلام السابق ، وهو أن المؤمنين المتّقين هم الفائزون ، وهم الأعلون يوم القيامة ، ولو لم يقف ووصل لتوهّم أن الكافرين سيسخرون أيضًا من الذين اتّقوا يوم القيامة ، وهذا غير واقع ، فلزم الوقف[1] .

وعليه فـــ ﴿ وَيَسْخَرُونَ ﴾ مضارع مرفوع وعلامة رفعـــه ثبـــوت (النون) ، و(واو الجماعة) فاعل ، والفعل معطوف على ﴿ زُيِّنَ ﴾ من عطف المفردات ، لعدم اتّحاد الزمان ، ويجوز أن يكون من باب عطف الجملة الفعليّة علـــى نظيرتهـــا ، وقيـــل : يجـــوز أن تكـــون جملـــة ﴿ وَيَسْخَرُونَ ﴾ في محل رفع خبر لمبتدأ محـــذوف ، تقـــديره : وهـــم يسخرون ، وتكون (الواو) استئنافيّة ، والجملة معطوفة على ما قبلها ، من عطف الاسميّة على الفعليّة ، وقيل : يجوز أن تكون هـــذه الجملـــة

(١) انظر : إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ص٥٤٩ ، والقطع والائتناف ٩٧/١ ، والمكتفى للداني ص١٨٣ ، والاقتداء لابن النكزاوي ٢٠٥/١ تحقيق د/ محمد سعد ، ومنار الهدى ص٥٨ .



حاليّة ، لتوفّر الشروط فيها ، وهي : كونها بدئت بمضارع مثبت بعد (واو) ، فوجب تقدير مبتدأ بعد (الواو) ، على حد قول ابن مالك في (الخلاصة الألفيّة) :

وَذَاتُ وَاوٍ بَعْدَهَا انْوِ مُبْتَدَا ∴ لَهُ الْمُضَارِعَ اجْعَلَنَّ مُسْنَدَا[1]

ومن ذلك قولهم : " قمتُ وأصكُّ عينه "[2] ، أي : وأنا أصك ، وقول الشاعر :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ ∴ نَجَوْتُ وَأَرْهَنُهُم مَالِكَا[3]

و﴿مِنَ﴾ جارّة ، ومعناها : ابتداء الغاية ، كأنهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم ، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بـ ﴿مِنَ﴾ والجار والمجرور متعلّق بالفعل ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ ، و﴿ءَامَنُوا۟﴾ فعل وفاعل ، والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب ، و﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ (الواو) استئنافيّة ، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم

(١) انظر : الخلاصة الألفيّة لابن مالك ص٣٣ . وانظر أيضًا : شرح الألفيّة للمرادي ١٦٦/٢ تحقيق الدكتور/ عبد الرحمن سليمان ، وشرح المكودي على الألفيّة ص٩١ – ط/ مصطفى الحلبي ، وشرح الأشموني ١٨٧/٢ – ط/ عيسى الحلبي .

(٢) ورد هذا القول في : دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر ص٢٠٦ تحقيق الشيخ/ شاكر ، وشرح الرضى على الكافية ٢١٢/١ دون تحقيق ، وارتشاف الضرب ٣٦٧/٢ تحقيق د/ مصطفى النماس ، والهمع ٢٤٦/١ ، وشرح الأشموني ١٧٨/٢ .

(٣) البيت من المتقارب ، لعبد الله بن همام ، وهو في : شرح ابن عقيل على الألفيّة ص١٨٣ ، والهمع ٢٤٦/١ ، وشرح الأشموني ١٨٧/٢ ، وشرح شواهد ابن عقيل لعبد المنعم الجرجاوي ص١٣٧ – ط/ عيسى الحلبي .



موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ ، و﴿ٱتَّقَوۡا۟﴾ فعل وفاعل ، والجملة لا محل لها من الإعراب صلة الموصول ، و﴿فَوۡقَهُمۡ﴾ منصوب على الظرفيّة المكانيّة ، متعلّق بمحذوف خبر المبتدأ ، و(هم) مضاف إليه ، وهذه الفوقيّة ، وهذا الاستعلاء ، إما فوقيّة مكانيّة ، لأن أصحاب الجنة في الدرجات العلا ، وأصحاب النار في الدركات السفلى ، وإما فوقيّة رتبيّة ، أي : رتبتهم فوق رتبة الكفّار ، أو فوقيّة استعلائيّة وقهريّة[1] .

****

(1) انظر : البيان للأنباري ١/١٤٩ ، وإملاء ما منّ به الرحمن للعكبري ١/٤٠٧ ، ٤٠٨ ، والبحر المحيط ٢/٣٥٤ ، وحاشية الجمل على الجلالين ١/١٦٨ .



الوقف التاسع

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

(سُورَةُ البَقَرَةِ – الآية ٢١٧)

المفردات :

﴿ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ : المراد به رجب ، والأشهر الحرام أربعة : أحدها رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجّة ، والمحرّم[١] .

﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ : في الأصل : إدخال الذهب النار ، لتظهر جودته من رداءته ، ثم استعملت هنا في الابتلاء ، وإبعاد الناس عن دين الله[٢] .

﴿حَبِطَتْ﴾ : أصل الحَبَط : أن تكثر الدابة أكلاً حتى ينتفخ بطنها ، والمراد : ضياع أعمالهم هباء منثورًا وعدم إغنائها عنهم شيئًا[٣] .

---

(١) انظر البحر المحيط ٣٨٢/٢ .
(٢) انظر : مفردات الراغب ، ولسان العرب (ف ت ن) .
(٣) انظر : مفردات الراغب ، ولسان العرب (ح ب ط) .

المعنى العام :

حين أخرج المشركون رسول الله ﷺ ومن آمن معه من بلدهم مكّة المكرّمة ، وأرغموهم على الهجرة منها أذن الله تعالى لهم بالدفاع عن أنفسهم ، والثأر من عدوّهم ، وكان من ذلك : أن بعث رسول الله ﷺ سريّة بقيادة عبد الله بن جحش الأسدي ، لتغير على قافلة لقريش قادمة من الطائف ، وكان ذلك في آخر شهر جمادى الآخرة ، فاشتبه عليهم بأوّل رجب الشهر الحرام ، فعيّرهم المشركون بذلك ، وأنهم انتهكوا حرمة الشهر الحرام ، لأنهم كانوا قد قتلوا أحد المشركين ، وأسروا اثنين ، وغنموا القافلة ، فتأثّر المسلمون لذلك ، من كونهم قد قاتلوا في الشهر الحرام[1] ، فنزلت هذه الآية الكريمة تبيّن أنما فعله المشركون من الصدّ عن دين الله تعالى ، وعن مسجده الحرام ، وإرغام الناس على الكفر ، وإخراج المؤمنين من بلدهم أعظم وأكبر من القتال في الشهر الحرام .

ثم بيّن ﷻ للمؤمنين أن عليهم التمسّك بدينهم ؛ لأن المشركين لا يألون جهدًا في فتنتهم عن دينهم ، وإبعادهم عن الإسلام ، ومن فعل ذلك من الارتداد بعد الإيمان فقد حبط عمله ، وذهب أجره ، ويوم القيامة يكون في جهنّم خالدًا فيها .

---

(١) انظر : أسباب النزول للواحدى ص٦١ تحقيق.أيمن شعبان .



موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿فِيهِ كَبِيرٌ﴾ وذلك لأن المسلمين أو المشركين حين سألوا عن حكم القتال في الشهر الحرام ؟ أجيبوا بأن القتال فيه إثمه كبير ، ووزره عظيم إذا كان ذلك مقصودًا متعمّدًا ، أما ما فعله المسلمون فكان بناء على الظن وعدم التعمّد ، وهنا يلزم الوقف على ﴿فِيهِ كَبِيرٌ﴾ الذي هو جواب السؤال ، ثم الابتداء بقوله : ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لأن هذا الكلام مستأنف للردّ على المشركين الّذين استعظموا القتال في الشهر الحرام ، وعيّروا المسلمين بذلك ، فردّ عليهم ، وبيّن لهم أن ما تفعلونه من الصدّ عن سبيل الله تعالى ، والكفر بالإسلام ، ومحاربة المسلمين ، وإخراجهم من وطنهم ، أعظم جرمًا مما حدث[1] .

ولو وصل لتوهّم أن ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾ تابع لإجابة سؤال : حكم القتال في الشهر الحرام ، بأنّه كبير وصدّ عن سبيل الله وكفر به ، وهذا لا يعقل ، ولم يقل أحد : إن القتال في الشهر الحرام على سبيل الظن والخطأ كفر بالله تعالى[2] ، يؤكّد هذا أن قوله : ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ بعد الكلام السابق يؤكّد الوقف ، وأنه لو وصل

---

(1) انظر المكتفى للداني ص١٨٤ ، ومنار الهدى ص٥٨ ، ٥٩ .
(2) انظر : القطع لابن النحّاس ص٩٩ ، ١٠٠ .



لصار الإخراج من المسجد الحرام أكبر من الكفر ، وهذا لا يعقل[1] .

وعليه فـ ﴿قِتَالٍ﴾ الأولى بدل اشتمال من ﴿ٱلشَّهۡرِ﴾ ، لوقوع القتال فيه ، و﴿قِتَالٌ﴾ الثانية مبتدأ ، وجاز الابتداء به مع كونه نكرة لوصفه بـ ﴿فِيهِ﴾ ، و﴿كَبِيرٌ﴾ خبره والجملة في محل نصب مقول القول .

و﴿وَصَدٌّ﴾ (الواو) استئنافيّة ، و(صد) مبتدأ ، و﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ صفة له أو متعلّق به ، وما بعده من قوله : ﴿وَكُفۡرُۢ بِهِۦ﴾ و﴿وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ﴾ معطوفات عليه ، وخبر الثلاثة قوله : ﴿أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وأفرد الخبر ؛ لأنّه أفعل تفضيل مجرّد من (أل) والإضافة فيلزم الإفراد والتذكير[2] .

أما قوله : ﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ فالجيّد فيه أن يكون متعلّقًا بفعل محذوف دلّ عليه (الصدّ) تقديره : ويصدّون عن المسجد ، خلافًا لمن قال : إنه معطوف على ﴿ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ لضعف ذلك ، لأنهم لم يسألوا عن المسجد الحرام ، لعدم شكّهم في تعظيمه وحرمته ، إنّما سألوا عن القتال في الشهر الحرام ، كوقوع القتال منهم فيه من غير أن يشعروا ،

---

(1) انظر : القطع لابن النحّاس ص٩٩ ، ١٠٠ ، والبيان للأنباري ١/١٥٢ .
(2) انظر : البحر المحيط ٢/٣٨٩ ، وحاشية الجمل ١/١٧٣ .



وكذا يضعف أن يكون معطوفًا على (الهاء) في ﴿بِهِۦ﴾ عند البصريّين[1] لأنهم يشترطون إعادة حرف الجار معه ، وكذا يضعف أن يكون معطوفًا على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لأنّه معمول المصدر ، والعطف بقوله : ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ يفرق بين الصلة والموصول ، وهذا لا يجوز .

****

(١) انظر : البيان للأنباري ١/١٥٢ ، ١٥٣ ، والتبيان للعكبري ١/١٧٤ ، ١٧٥ ، والبحر المحيط ٢/٣٨٥ ، ٣٨٦ .



الوقف العاشر

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ... ﴾ (سُورَةُ البَقَرَةِ - جزء من الآية ٢٥٣)

المعنى العام :

يخبر الله ﷻ أنّه بحكمته - وعلى حساب ما اقتضته مشيئته - فضّل بعض رسله على بعض ، فمنهم الذي كلّمه من وراء حجاب كموسى عليه السلام ، ومنهم من كلّمه من غير حجاب كنبيّنا **محمد** ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ، ومنهم من رفعه إليه ﴿ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ كإدريس عليه السلام ، ومنهم من اصطفاه الله تعالى ، وفضّله على جميع الأنبياء والمرسلين ، وهو خاتم المرسلين سيدنا **محمد بن عبد الله** ﷺ ، ومنهم من آتاه الله تعالى الحجج القاطعات ، والبراهين الساطعات ، والمعجزات الباهرات كعيسى عليه السلام بل أيّده الله تعالى بروح القدس ، ومع هذا فقد اختلف القوم المرسَل إليهم ، واقتتلوا ، وانقسموا فريقين : مؤمنين ، وكافرين ، وهذا كلّه بِقَدَرِ الله تعالى وحكمته ، فهو ﷻ فعّال لما يريد .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله تعالى : ﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ وذلك لأنّه ﷻ أخبر أنّه فضّل بعض أنبيائه على بعض ، ذاكرًا ذلك على سبيل العموم ، ثم استأنف كلامًا في تفصيل بعض هذه الخصائص التي

اختصّ كل نبيّ بإحداها ، فذكر أن منهم من كلّمه الله تعالى ، كموسى ، ومنهم من رفعه الله تعالى مكانًا عليًّا ، ومنهم من آتاه الله تعالى الدلائل البيّنات ، ومنهم من فضّله الله تعالى عليهم أجمعين ، كسيّدنا **محمد بن عبد الله** ﷺ ، وهنا يلزم الوقف على ﴿عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ ، ولو وصل لكانت جملة ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ وما عطف عليها صفة لـ ﴿بَعۡضٍ﴾ فينصرف الضمير في بيان المفضّل بالتكليم ، وهو موسى إلى كلمة ﴿بَعۡضٍ﴾ فيكون (موسى) من هذا البعض المفضّل عليه غيره لا من البعض المفضّل على غيره بالتكلّم ، وهذا غير واقع ، لأن التكليم خاصيّة موسى ، كما قال : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾[1] ، فلزم الوقف[2] .

وعليه فـ ﴿تِلۡكَ﴾ اسم إشارة مبتدأ ، و(اللام) للبعد ، و(الكاف) حرف خطاب ، و﴿ٱلرُّسُلُ﴾ خبر المبتدأ ، وجملة ﴿فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ﴾ حال من ﴿ٱلرُّسُلُ﴾ ، والعامل فيها اسم الإشارة ، ويجوز أن يكون ﴿تِلۡكَ﴾ مبتدأ ، و﴿ٱلرُّسُلُ﴾ صفة لـ ﴿تِلۡكَ﴾ أو عطف بيان ، وجملة ﴿فَضَّلۡنَا﴾ في محل رفع خبر المبتدأ .

(١) سورة النساء – جزء من الآية ١٦٤ .

(٢) انظر : الاقتداء لابن النكزاوي ٢٣١/١ تحقيق د/ محمد سعد ، ومنار الهدى ص٦٢ ، ٦٣ .

و﴿مِّنْهُم﴾ جار ومجرور متعلّق بمحذوف خبر مقدّم ، و﴿مَّن﴾ اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخّر ، و﴿كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ جملة لا محل لها من الإعراب صلة الموصول ﴿مَّن﴾ ، والعائد محذوف تقديره : كلمه الله ، وهذه الجملة كلّها ﴿مِّنْهُم مَّن ...﴾ استئنافيّة لا محل لها من الإعراب ، وقيل : يجوز أن تكون بدلاً من موضع جملة ﴿فَضَّلْنَا﴾ على الإعراب الثاني ، التي هي فيه خبر المبتدأ ﴿تِلْكَ﴾[1] .

هذا ، وقد اعترض بعض العلماء على الإعراب الثاني لموقع جملة ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ وهو كونها بدلاً من جملة ﴿فَضَّلْنَا﴾ ، قائلاً : " إن الجملة المبدلة اسميّة ، والمبدل منها فعليّة ، وهذا لا يجوز "[2] ، وردّ ابن هشام بجواز ذلك لعدم وجود دليل على امتناعه[3] .

****

(١) انظر : البيان للأنباري ١/١٦٧ ، وإملاء ما منّ به الرحمن للعكبري ١/٤٨٤ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٢/٥٣٦ ، وحاشية الجمل ١/٢٠٥ .

(٢) انظر : المغني لابن هشام ص٧٦١ ، ولم يعيّن من هو المعترض ، إلا أنّه قال : إنه من المتأخّرين .

(٣) السابق نفسه .



الوقف الحادي عشر

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

(سُورَةِ البَقَرَةِ – الآية ٢٧٥)

المفردات :

﴿يَتَخَبَّطُهُ﴾ : الخَبْط : الضرب على غير استواء ، كخَبْطِ البعير الأرض بيده ، و: الرجل الشجر بعصاه ، ومنه قيل : الخُباط : مرض كالجنون وليس به[1] .

المعنى العام :

يبيّن ﷻ حالة آكلي الربا ومُستحلّيه ، وأنهم يوم القيامة يُعرفون بهيئة معيّنة ، هي أنهم لا يستطيعون القيام من كِبَر بطونهم ، وكلّما قاموا سقطوا كما يسقط المصروع ، وذلك جزاء وفاقًا لما اقترفوه ، واستحلوه من الربا وأكل أموال الناس بالباطل ، وقولهم : " لا وجه لحرمة الربا " ، والله ﷻ بحكمته أحلّ البيع بين الناس ، وحرّم الربا لما فيه من ضرر فادح بالفرد والمجتمع ، فعلى المؤمن حقًّا أن يترك مثل

---

(١) انظر : مفردات الراغب (خ ب ط) ، وحاشية الجمل ٢٢٧/١ .



هذه الأمور ، ويبتعد عن هذه المحرّمات ، ومن يفعل ذلك مستحلاً لـــه فهو من أصحاب النار خالدًا فيها .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾ ، وذلك لأنه بعد أن بيّن ﷻ حالة آكلي الربا يوم القيامة ذكر أن ذلك جزاء لهم على استحلالهم ما حـــرّم الله تعالى ، وقولهم ﴿ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ، وهنا يلـــزم الوقـــف علـــى ﴿مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾ والابتداء بجملة ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ لأنه من كـــلام الله ﷻ ردًّا عليهم حين ساووا بين الأمرين ، والحكم في الأشياء إنما هـــو إلى الخالق ﷻ لا يُعارض في حكمه ، ولا يُخالف في أمـــره[1] ، ولـــو وصل لتوهّم أن جملة ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ من كلامهم ، وليس كـــذلك ، بل هي من كلام الله ﷻ ردًّا عليهم ودحضًا لقياسهم الفاسد .

وعليه فجملة ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ مبتدأ ، و﴿لَا يَقُومُونَ﴾ في محل رفع خبره ، و(الكاف) في ﴿كَمَا﴾ في موضع نصب صـــفة لمصدر محذوف ، والتقدير : إلا قيامًا مثل القيام الذي يتخبّطه ، وجملة ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ في محل نصب مقول القول ، وجملة ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ استئنافيّة لا محل لها من الإعراب[2] .

---

(١) انظر : القطع لابن النحّاس ص٢١٧ ، والمكتفى للداني ص١٩٢ ، والبحر المحـــيط ٧٠٨/٢ ، ومنار الهدى ص٦٦ ، وحاشية الجمل ٢٢٧/١ .

(٢) انظر : البيان للأنباري ١٨٠/١ ، والتبيان للعكبري ٢٢٣/١ .

الوقف الثاني عشر

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سُورَةِ البَقَرَةِ – الآية ٢٨٠)

المعنى العام :

بعد أن بيّن ﷻ لعباده المؤمنين حرمة الربا ، وجزاء آكليه ، وأن عليهم تركه وأخذ رأس مالهم فقط ، حثّهم على عمل جليل هو إنظار المعسر إلى حين اليسر ، والتصدّق على المدين ببعض المال ، وهذا من الأعمال الصالحة والفضائل الحسنة .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وذلك لأنّه ﷻ بعد أن بيّن لهم أن عليهم إنظار المعسر ، حثّهم على التصدّق على المدين والفقير ببعض المال ، وهذا خير لهم في الدنيا والآخرة ، وهنا يلزم الوقف على ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ثم الابتداء بجملة ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وذلك لأنّه لو وصل لتوهّم أن صدقتهم خير لهم مرتبطة بكونهم يعلمون ذلك ، وهذا غير مراد ، فصدقتهم خير لهم علموا ذلك أو لم يعلموه .

وعليه فـ ﴿إِن﴾ شرطيّة جوابها محذوف تقديره : لبادرتم إلى الإنفاق والتصدّق .

الوقف الثالث عشر

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (سورة آل عمران – الآية ٧)

المفردات :

﴿ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ : واضحات الدلالة لا يعرض لها شبهة من حيث اللفظ أو المعنى[١] .

﴿أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ : أصله : المعتمد عليه في الأحكام[٢] .

﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ : لا ينبئ ظاهرها عن المراد منها ، كالحروف المقطّعة في أوائل السور ، وقيل : ما أشكل تفسيره لمشابهته لغيره من حيث اللفظ أو المعنى ، أو اللفظ والمعنى معًا[٣] .

﴿فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ : أي : في صدورهم ميل عن الحقّ الواضح إلى الباطل[٣] .

---

(١) انظر : مفردات الراغب ، واللسان (ح ك م) ، وحاشية الجمل ٢٤٢/١ .
(٢) انظر : حاشية الجمل ٢٤٢/١ .
(٣) انظر : مفردات الراغب (ش ب هـ) ، وحاشية الجمل ٢٤٣/١ .

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ المتمكّنون فيه ، المطمئنّون إليه ، الذين تحقّقت فيهم هذه الشروط : التقوى فيما بينهم وبين الله تعالى ، والمجاهدة فيما بينهم وبين أنفسهم ، والتواضع فيما بينهم وبين الناس ، والزهد فيما بينهم وبين الدنيا[1] .

﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ : أصحاب العقول الزكيّة ، والبصائر المضيئة التي تفهم المراد ، وتتّعظ بكل ما تسمع[2] .

المعنى العام :

الله ﷻ – عزّ شأنه – هو الذي أنزل عليك يا رسول الله الفرقان الحكيم ، وجعل منه آيات واضحات ، يدل ظاهرها على المراد منها ، وهي أكثر آيات القرآن الكريم ، وجعل منه قسمًا متشابهًا ، أشكل تفسيره على الناس ؛ لأنّه ﷻ قد استأثر بعلمه ، فيجب عليكم أن تؤمنوا به ، وتَكِلوا أمره إلى الله ﷻ ؛ لا تكونوا كاليهود والنصارى والصابئين وغيرهم من الكفرة الذين يتركون الحقّ الواضح ، ويتتبّعون هذه الآيات المتشابهات ، لا لشيء إلا ابتغاء الفتنة ، وطلبًا للفرقة ، وحثًّا على الاختلاف ، كقولهم بأن لله يدًا – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا – استدلالاً بقوله تعالى : ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾[3] ، وتركهم قوله تعالى :

---

(١) انظر : مفردات الراغب ، واللسان (ر س خ) ، وحاشية الجمل ٢٤٣/١ .

(٢) انظر : مفردات الراغب ، واللسان (ل ب ب) .

(٣) سورة الفتح – جزء من الآية ١٠ .

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١) ، وقولهم : إن عيسى روح الله ، استدلالاً بقوله تعالى : ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ﴾(٢) ، ويتركون قوله تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾(٣) ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٤) ، ولذا فالراسخون في العلم الثابتون فيه من المؤمنين لا يخوضون في المتشابه منه ، بل يؤمنون به ، ويَكِلون أمره إلى الله تعالى ، وهذا شيء لا يقدر عليه ولا يتّعظ به إلا أصحاب العقول الزكيّة(٥) .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله تعالى : ﴿إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ وذلك لأن المعنى : في القرآن الكريم آيات محكمات واضحات ، وأُخر متشابهات ، تحتاج إلى فهم خاص ، لمخالفة ظاهر اللفظ للمقصود منها ، ولا يعلم تأويلَها أو المراد منها أحدٌ إلا الله ﷻ وحده ، وإذا سمع الراسخون في العلم مثل هذه المتشابهات لم يخوضوا فيها ، أو يتأوّلوها ، بل ردّوا علمها إلى مُنَزِّل الفرقان ومحكم القرآن ﷻ .

---

(١) سورة الشورى – جزء من الآية ١١ .
(٢) سورة النساء – جزء من الآية ١٧١ .
(٣) سورة الزخرف – الآية ٥٩ .
(٤) سورة آل عمران – الآية ٥٩ .
(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٣٤٤/١ ، وحاشية الجمل ٢٤٢/١ – ٢٤٤ .

وهنا يجب الوقف ، وإلا كان المعنى : أن الراسخين في العلم يعلمون المتشابه أيضًا[1] .

وعليه فـ ﴿وَمَا﴾ نافية ، و﴿يَعْلَمُ﴾ فعل مضارع مرفوع ، و ﴿تَأْوِيلَهُۥٓ﴾ مفعول به مقدّم ، و(الهاء) مضاف إليه ، و﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء ملغاة ، لا عمل لها ، واسم الجلالة فاعل مؤخّر ، و﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ (الواو) استئنافيّة ، و﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه (الواو) نيابة عن الضمّة لأنه جمع مذكّر سالم ، و﴿فِي ٱلْعِلْمِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ ، و﴿يَقُولُونَ﴾ مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون ، و(واو الجماعة) فاعل ، و﴿ءَامَنَّا﴾ فعل وفاعل ، و﴿بِهِۦ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿ءَامَنَّا﴾ ، وجملة ﴿ءَامَنَّا﴾ في محل نصب مقول القول ، والجملة كلّها في محل رفع خبر المبتدأ ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾[2] .

وهذا الوقف هو الذي عليه كثير من العلماء والمفسّرين ، وروي عن

---

(1) انظر : معاني القرآن للفراء ١٩١/١ ، وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ص٥٦٥ - ٥٦٨ ، والقطع والائتناف ١٢٤/١ ، ١٢٥ ، والاقتداء لابن النكزاوي ٢٧٣/١ تحقيق د/ محمد سعد ، وتفسير ابن كثير ٣٤٧/١ ، وجمال القرّاء للسخاوي ٥٧٢/٢ ، ٥٧٣ ، والإتقان ٥/٣ - ١٠ تحقيق أ/ أبو الفضل ، وحاشية الجمل ٢٣٤/١ ، ومنار الهدى ص١٠ ، ٧٠ .

(2) انظر : المصادر السابقة في الحاشية المتقدّمة . وانظر أيضًا : البيان للأنباري ١٩٢/١ ، وإملاء ما منّ به الرحمن ٢٧/٢ ، والبحر المحيط ٢٨/٣ - ٣٠ .



بعض الصحابة كابن عباس رضي الله عنهما ، وابن مسعود ، وأبيّ بن كعب ، وعائشة رضي الله عنهم ، بل روى ابن مسعود أن النبيّ ﷺ كان يقف عليه[1] ، كما روي عن بعض التابعين كالحسن ، وأبي نهيك ، والضحاك ، وقال به أيضًا عمر بن عبد العزيز ، وعروة بن الزبير رضي الله عنهم .

وقال به من القرّاء : نافع ، ويعقوب ، والكسائي .

وقال به من النحويّين : الأخفش ، والفراء ، وابن كيسان[2] .

وذلك لأن بعض العلماء من المفسّرين ، والأصوليين ، والمعربين ، كالعكبري ، والراغب الأصفهاني ، يرون أن موضع الوقف هو ﴿فِي ٱلْعِلْمِ﴾ ، ويكون المعنى : أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه أيضًا[3] ، واحتجّوا لقولهم بعدة أدلّة ، أهمها :

الدليل الأوّل : لو لم يعلمه الراسخون لكان في القرآن بعض آيات فيها خطاب للمؤمنين بما لا يفهم ، وهذا بعيد .

الدليل الثاني : ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله : " أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله "[4] ، ودعاء النبيّ ﷺ له : « اللَّهُمَّ

---

(١) انظر : البحر المحيط ٢٨/٣ ، ومنار الهدى ص٧٠ ، وتفسير ابن كثير ٣٤٧/١ ، وحاشية الجمل ٢٤٣/١ .

(٢) انظر : القطع والائتناف ١٢٤/١ ، ١٢٥ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٢٨/٣ ، ومنار الهدى ص٧٠ ، وتفسير ابن كثير ٣٤٧/١ ، وحاشية الجمل ٢٤٣/١ . وانظر أيضًا : إملاء ما منّ به الرحمن ٢٧/٢ ، ومفردات الراغب (ش ب هـ) .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٣٤٧/١ .



فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ »[١] .

وعليه فـ ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ معطوف على اسم الجلالة ، وجملة ﴿يَقُولُونَ﴾ في محل نصب حال من ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ ، أي : قائلين : آمنّا به[٢] .

فإن اعترض بأن الحال جـاءت من المعطـوف دون المعطـوف عليه ، أجيب بأن ذلك جائز ، وله نظائر ، كقوله تعالى : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[٣] ، أي : والملائكة صفوفًا صفوفًا .

هذا ، ويبدو أن الراجح هو الوقف الأول على ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وذلـك لأنه يمكن أن يُردّ على أصحاب الرأي الثاني بالآتي :

الـردّ الأول : قولكم : " لو لم يعلمه الراسخون لكان فـي القـرآن خطاب ما لا يفهم " غير مسلم ؛ لأن وجود مثل هذا في القرآن الكـريم ليس بحجّة لكم ، بل عليكم ، لأن مثل هذا من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، بمعنى : أن هذا من جنس كلامكم أيها المخاطبون ، ومع ذلك لا تستطيعون فهمه ، أي : المراد منه ، لأنه مما استأثر الله بعلمه[٤] .

---

(١) السابق نفسه . وانظر أيضًا : مسند الإمام أحمد ٢١٤/١ ، ٣٢٨ ، وصحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل ابن عباس رضي الله عنهما – ١٩٢٧/٤ تحقيق محمد فؤاد ، والحاكم في المستدرك – كتاب معرفة الصحابة – ١٣٤/٣ .

(٢) انظر : البيان للأنباري ١٩٢/١ ، وإملاء ما منّ به الرحمن ٢٧/٢ ، وحاشية الجمل ٢٤٣/١ ، وتفسير ابن كثير ٣٤٧/١ .

(٣) سورة الفجر – الآية ٢٢ . وانظر : مشكل إعراب القرآن لمكـي ٨١٧/٢ ، والـدر المصون ٧٩١/١٠ ، وحاشية الجمل ٤٣٤/٤ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٣٥/١ ، ٣٦ .

الردّ الثاني : ما استشهدتم به من قول ابن عباس رضي الله عنهما ، وحديث النبيّ ﷺ غير قوي ؛ لاحتمال أن يكون المراد بالتأويل هنا : التفسير ، والبيان ، لا معرفة المتشابه ، كقوله تعالى في قصّة يوسف عليه السلام : ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١) .

الردّ الثالث : لو وقف على ﴿ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ لكان الراسخون في العلم يعلمون المتشابه كنزول مثل عيسى ابن مريم عليه السلام ، وقيام الساعة ، والمدة التي بيننا وبينها ، وغير ذلك مما استأثر الله تعالى بعلمه ، وهذا غير واقع ، ولو وقع لكان أولى الناس به النبيّ ﷺ الذي خاطبه ربّه بقوله : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢) .

الردّ الرابع : لو كان الراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه لما كان في تخصيصهم بالإيمان وجه قوي ؛ لأنه حينئذ يكون الإيمان به كالإيمان بالمحكم سواء بسواء ، فلا يكون في الإيمان به خاصّة مزيد مدح لهم(٣) .

الردّ الخامس : أن ﴿ ٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ في موضع ﴿ أَمَّا ﴾ وأن أصل

---

(١) سورة يوسف – جزء من الآية ٣٦ . وانظر : لسان العرب مادة (أ و ل) .
(٢) سورة الأعراف – الآية ١٨٧ .
(٣) انظر : التفسير الكبير للرازي ١٧٧/٧ ، والبحر المحيط ٢٨/٣ ، وحاشية الجمل ٣٤٣/١ .

الكلام : وأمّا الراسخون في العلم فيقولون : آمنا به ، كلٌّ من عند ربّنا ، يدل على ذلك أنه لا تكاد توجد ﴿أَمَّا﴾ التفصيليّة في القرآن الكريم إلا وتثلّث أو تثنّى ، كقوله تعالى : ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ ... ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ ... ﴿٨٠﴾ ...... ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ ... ﴾[1] ، وقوله : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[2] .

وهنا قال : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ ولم يقل بعده : (وأمّا) فدلّ على أن قوله ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ مستأنف منقطع عما قبله ، وأن أصله : وأمّا الراسخون في العلم ، أو أصله : وأمّا غيرهم فيؤمنون به ويَكِلون معناه إلى ربّهم ، ثم حذف ذلك ، ودلّ عليه ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ ... ﴾ وهذا جائز في (أمّا) التي هي حرف شرط وتفصيل ، حيث ترك تكرارها استغناء بكلام يذكر بعدها يدلّ على ذلك القسم المحذوف كما في الآية ، وقد يترك تكرارها استغناء بذكر أحد القسمين عن الآخر ، كقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[3] ، فالتقدير : وأمّا الذين كفروا

---

(١) سورة الكهف – جزء من الآيات ٧٩ – ٨٢ .
(٢) سورة الضحى – الآيات ٩ – ١١ .
(٣) سورة النساء – الآيتان ١٧٤ ، ١٧٥ .



بالله فلهم عذاب كذا وكذا وكذا ، ولهذا رجّح ابن هشام الوقف على ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] ، يؤكّد ذلك المعنى قراءة ابن عباس ، وأُبيّ ﷺ : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَيَقُولُ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[2] ، وقراءة ابن مسعود ﷺ : ﴿إِنْ تَأْوِيلُهُۥٓ إِلَّا عِندَ ٱللَّهِ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[2] .

وربما يعترض على الردّ السابق بأنه لو كان على تقدير : (أمّا) لوجبت (الفاء) في الجواب ، حيث يقال : والراسخون في العلم فيقولون ، ولكنها لم تأت .

ويُردّ بأن (الفاء) حذفت من الجواب هنا ، والأصل : فيقولون ، وهذا الحذف له نظائر ، فمنه في القرآن الكريم : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[3] ، أي فيقال : أكفرتم ، وفي الحديث : « أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَانْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ – يعني نفسه ﷺ – وَأَمَّا مُوسَى فَرَجُلٌ آدَمُ جَعْدٌ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ مَخْطُومٍ بِخُلْبَةٍ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ إِذْ انْحَدَرَ فِي الْوَادِي يُلَبِّي »[4] والأصل : فكأني ، وقول الحارث المخزومي :

---

(١) انظر : المغني ص٨١ ، ٨٢ ، وجواهر الأدب للإربلي ص٥١٣ تحقيق د/ حامد نيل ، وشرح الرضى على الكافية ٤/٤٦٦ ، ٤٦٧ تحقيق أ.د/ يوسف عمر ، وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ص٥٦٧ ، والاقتداء لابن النكزاوي ١/٢٧٤ ، ٢٧٥ تحقيق د/ محمد سعد .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ١/١٩١ ، والبيان للأنباري ١/١٩٢ ، والبحر المحيط ٣/٢٩ ، وتفسير ابن كثير ١/٣٤٧ ، وفيها هذه القراءات .

(٣) سورة آل عمران – جزء من الآية ١٠٦ .. وانظر : الدر المصون ٣/٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٤) رواه البخاري في كتاب الحج – باب التلبية إذا انحدر في الوادي – ١/٥٦٣ تحقيق =

فأمّا القتالُ لا قتالَ لديكمُ ∴ ولكنّ سيرًا في عِراضِ المواكبِ[1]

والأصل : فلا قتال .

هذا ، ويرى بعض العلماء أنه لا مانع من الوقف على ﴿فِي ٱلْعِلْمِ﴾ إذا كان المراد بالتأويل : التفسير والبيان والتعبير ، كقوله تعالى : ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾[2] ، أمّا إذا كان المراد بالتأويل : حقيقة الشيء وما يؤول إليه أمره ، فيمتنع الوقف على ﴿فِي ٱلْعِلْمِ﴾ ، ويجب الوقف على اسم الجلالة لما سبق بيانه[3] ، والله تعالى أعلى وأعلم .

****

= سعيد ألبغا . ورواه الإمام أحمد في مسنده ٢٧٧/١ .

(١) البيت من الطويل ، للحارث المخزومي ، وهو في : المقتضب ٧١/٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٣٤/٧ ، ١٢/٩ ، وارتشاف الضرب ٥١/٢ ، ٦٦ تحقيق أ.د/ مصطفى النماس ، والمغني لابن هشام ص٨٠ ، والتصريح بمضمون التوضيح ٢٦٢/٢ ، وشرح الأشموني ١٩٦/١ ، ٢٢٤ .

(٢) سورة يوسف – جزء من الآية ٣٦ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٣٤٧/١ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٢٩/٣ ، ومفردات الراغب (ش ب هـ) ، واللسان (أ و ل) .

الوقف الرابع عشر

﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(سورة آل عمران – الآية ٢٩)

المعنى العام :

أمر الله ﷻ عباده المؤمنين بعدم اتّخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ولا يجوز ذلك إلا في الأحوال الاضطراريّة التي يحدّدها الشرع ؛ لما لهؤلاء الكافرين من خطر شديد ، وحقد دفين على الإسلام وأهله ، وحذّر ﷻ عن مخالفة ذلك ، وبيّن أنّه يعلم ما تخفيه صدورهم ، وما يستتر في ضمائرهم ، لا يتفاوت علمه بين ذلك وبين ما ظهر على ألسنتهم ، أو بدا في أفعالهم ، وسبحانه يعلم ما في السماوات وما في الأرض ، وهو العليّ العظيم ، القادر وحده على محاسبتهم حين يرجعون إليه محاسبة عادلة ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشرّ .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ﴾ وذلك لأن الله ﷻ بعد أن نهى عن اتّخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، حذّر من يفعل ذلك بالعقاب الشديد ، وإن أخفى ذلك ؛ لأنّه – عز شأنه – يعلم ما تُكِنّه صدورهم ، وما تبديه ألسنتهم وأفعالهم ، فالأمران سواء ، وهنا يلزم الوقف على

﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ ؛ لاستئناف ما بعده ؛ لأنّه لو وصل لعطف على جواب الشرط ، أي : لعطف ﴿وَيَعْلَمُ﴾ على ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ ، وهذا غير مراد ؛ لأن علمه ﷻ بما في السماوات وما في الأرض غير متوقّف على شرط ، فلذلك جيء به مستأنفًا ، ولزم الوقف على ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾[(١)] .

وهذا ما رجّحه أكثر العلماء ، كابن النحّاس ، والداني ، وابن النكزاوي ، والسمين الحلبي ، الذين قالوا بأن درجته هو التام[(٢)] ، المساوي للاّزم ، إلا أحمد الأشموني فقد قال عنه : إنه وقف كاف[(٣)] ، ويضعف ما ذهب إليه الأشموني قوله نفسه : " كاف ؛ لاستئناف ما بعده ، وليس معطوفًا على جواب الشرط ؛ لأن علمه ﷻ بما في السماوات وما في الأرض غير متوقّف على شرط " ، وهذا يُرجّح لزوم الوقف ، ويرقّيه من الكافي الذي ذكره إلى التام اللازم الذي قال به أكثر العلماء .

****

(١) انظر : القطع والائتناف لأبي جعفر النحّاس ١٣١/١ ، والمكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني ص١٩٩ ، والاقتداء في معرفة الوقف والابتداء لابن النكزاوي ٢٨٥/١ تحقيق د/ سعد المرسي ، والدر المصون للسمين الحلبي ١١٣/٣ ، ١١٤ .
(٢) انظر : المصادر السابقة .
(٣) انظر : منار الهدى لأحمد الأشموني ص٧٥ .



الوقف الخامس عشر

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

(سُورَةُ آل عِمْرَان – الآية ٥٥)

المعنى العام :

يذكر الله ﷻ لنبيّه سيدنا **محمد** ﷺ بعض ما كان من أمر سيدنا عيسى عليه السلام ، حيث بشّره ﷻ بأنه هو الذي يتوفّاه ، فليس لأعدائه من يهود أو غيرهم من سبيل عليه ، أو تسلّط ، أو إيذاء ، وأنه – عز شأنه – سيرفعه إليه تكريمًا له وتقديرًا ؛ ليكون مع المصطفين الأبرار ، والملائكة الأخيار ، وأنه ﷻ سيبعده ويطهره من أذى المشركين الأنجاس ، فلن يستطيعوا أن يمسّوا ثوبه ، ثم انتقل الخطاب – على سبيل الالتفات – لنبيّنا وسيدنا **محمد** ﷺ فبشّره الله ﷻ بأنه سيجعل لأتباعه السائرين على طريقه وهداه الغلبة والعلوّ على الكافرين إلى يوم القيامة ما ظلّوا على طريقه وهداه ، ثم في النهاية يرجع الجميع إلى الله تعالى ، ليحكم بينهم فيما كان بينهم من خلاف أو تشاجر .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، لما ذكر الله ﷻ بعض ما بشّر به سيدنا عيسى عليه السلام من



أنه هو الذي يتوفّاه ، وسيرفعه إليه ، ويطهّره من أذى المشركين ، ولن يستطيعوا إيذاءه بشيء ما ، وهنا يلــزم الوقــف علـــى ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ والابتداء بـــ ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ...﴾ لأن المخاطب بذلك نبيّنا وسيّدنا **محمــد** ﷺ ، ويكون الكلام مــستأنفًا ، منقطعًا عمّا قبله ، ويكون على سبيل الالتفات ، يؤكّد ذلك حديث رسول الله ﷺ : « **وَلاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لاَ يَضُرُّهُمْ مَــنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ** »[1] ، ويكون التقدير : وجاعل الذين اتّبعوك يا محمد فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، وعليــه فتكــون (الــواو) للاستئناف ، لا للعطف ، و﴿وَجَاعِلُ﴾ بمعنى (مصيّر) فتنصب مفعولين فقط : **أولهما** : ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ ، **وثانيهما** : ﴿فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾[2].

وهذا الوقف قــال به أكثر العلماء الذين اطلعت علــى أقــوالهم ، كابن النحّــاس ، والداني ، والقرطبي ، وابن النكــزاوي ، والــسمين الحلبي ، والأشموني[3] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الاعتصام بالسُّنّة – باب قول النبيّ ﷺ : « لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ ... » . انظر : فتح الباري لابن حجر ٣٠٦/١٣ – دار الريّان بالقاهرة – ط/ أولَى – سنة ١٩٨٧م .

(٢) انظر : الدر المصون ٢١٣/٣ .

(٣) انظر : القطع لابن النحّاس ١٣٧/١ ، ١٣٨ ، والمكتفى للــداني ص٢٠١ ، ٢٠٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٢/٤ ، والاقتداء لابن النكزاوي ٢٩٧/١ تحقيق د/ محمــد سعد المرسي ، ومنار الهدى ص٧٨ .

وهناك قول ثانٍ[1] يرى أن المخاطب في ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ...﴾ هو سيدنا عيسى عليه السلام ، وعليه فلا يلزم الوقف على ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ، بل يلزم الوصل ، ولم أر – فيما اطلعت عليه – من علماء الوقف والابتداء من انتصر لهذا القول أو رجّحه ، والحال المشاهدة تؤكّد القول الأول .

****

(١) انظر : مفاتيح الغيب للرازي ٢٤٢/٤ – نشر دار الغد ، والبحر المحيط ١٧٨/٣ ، والدر المصون ٢١٣/٣ .



الوقف السادس عشر

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ (١١٢) لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾

(سورة آل عمران – الآيتان ١١٢ ، ١١٣)

المفردات :

﴿ٱلذِّلَّةُ﴾ : الذُّلّ : ما كان عن قهر ، يقـــال : ذَلّ يَـذِلّ ذُلاً ، والذِّلّ : ما كان بعد تصعب وشماس من غير قهر(١) .

﴿ثُقِفُوٓا۟﴾ : الثقف : الحِذْق في إدراك الشيء وفعله ، والمــراد : أُدرِكوا(٢) .

﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ : ساعاته ، الواحـد منها (أَنَــى) كـــ (عــصا) ، و(إِنَى) كـ (مِعًى) ، و(أَنْي) كـ (ظَبْي) ، و(إِنْيٌ) كـ (نِحْي) ، و(إِنْو) كـ (جِرْو)(٣) .

---

(١) انظر : مفردات الراغب ، واللسان (ذ ل ل) .
(٢) انظر مفردات الراغب (ث ق ف) .
(٣) انظر مفردات الراغب (أ ن ي) ، والدر المصون ٣/٣٥٦ .

المعنى العام :

يبيّن الله ﷻ ما عاقب به اليهود الملعونين على ما اقترفته أيديهم ، واعتقدته قلوبهم ، وفاهت به ألسنتهم ، من : قتل الأنبياء بغير حـــقّ ، واعتقادهم الكفر والفسوق ، وافترائهم الكذب على الله ﷻ وعلى رســـله عليهم السلام ، فكان جزاؤهم في الدنيا أنه أُلصقت بهـــم الذِّلَّـــة ، وصـــارت ملازمة لهم ضاربة أطنابها في رحالهم ، وغضب الله لا يفارقهم أينمـــا حلّوا ، وحينما ارتحلوا ، والفقر والفاقة محيط بهم ، والمحـــن الـــشديدة تعضهم ، والهوان والصَّغار ثيابهم ، ودثارهم في كل زمان ومكـــان ، وفي الآخرة العذاب الشديد ، والنكال الأليم في جهنّم ، وبئس القرار .

ولا يخرج عن دائرة هذه الأحكام ، وتُرفع عنه تلك العقوبات ، إلا من آمن بالله ربًّا ، وبسيدنا محمد ﷺ نبيًّا ورســـولاً ، وأقـــام أركـــان الإسلام ، وقرأ القرآن ، وسجد للرحمن كعبد الله بن سلام وأمثاله ممن آمن وصدق ، ففاز وربح .

موضع الوقف وسرّه :

حين تحدّث المولى ﷻ عـــن بعض ما عاقب به اليهود المعانـــدين من : ضرب الذِّلّة والهوان عليهم ، واستحقاقهم غـــضب الله ولعنتـــه ، ومجازاتهم بالصَّغار والهوان ؛ لما فعلوه من : قتل الأنبياء بغير حقّ ، وكفرهم ، وافترائهم على الله ﷻ وعلى رسله عليهم السلام ، وهذا الحكم ليس عامًّا لا يُستثنى منه أحد ، بل يخرج منه من آمن بالله ، وصـــدق بمـــا

أنزل على سيدنا **محمد** ﷺ ، وهنا يلزم الوقف على ﴿لَيْسُوا سَوَآءً﴾[1] ، لأنها جملة تامّة مكوّنة من (ليس) واسمها الذي هو (واو الجماعة) وخبرها ﴿سَوَآءً﴾[2] ، ثم الابتداء والاستئناف بجملة ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ ، وهي جملة مستقلّة لا ارتباط لها بما قبلها ، و﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في محل رفع خبر مقدّم ، و﴿أُمَّةٌ﴾ مبتدأ مؤخّر ، و﴿قَآئِمَةٌ﴾ نعت للمبتدأ[3] .

وهذا الوقف هو رأي : نافع ، ويعقوب ، والأخفش ، وأبي حاتم[4]، ورجّحه من علماء الوقف والابتداء : ابن النحّاس ، والداني ، وابن النكزاوي ، والأشموني[5] .

وخالف في ذلك : أبو عبيدة ، وقال[6] : " إن (الواو) ليست ضميرًا ، بل هي علامة جمع ، واسم (ليس) : ﴿أُمَّةٌ﴾ ، و﴿قَآئِمَةٌ﴾ صفتها ، وكذا جملة ﴿يَتْلُونَ﴾ ، و﴿سَوَآءً﴾ خبر (ليس) ، ويكون ذلك

---

(١) انظر : القطع والائتناف لابن النحّاس ١/١٤٥ ، والمكتفى للداني ص٢٠٦ ، والاقتداء لابن النكزاوي ١/٣١٣ تحقيق د/ محمد سعد المرسي ، ومنار الهدى ص٨٦ .
(٢) انظر : التبيان ١/٢٨٦ ، والدر المصون ٣/٣٥٤ .
(٣) انظر : البيان ١/٢١٥ ، والتبيان ١/٢٨٦ ، والبحر المحيط ٣/٣٠٨ ، ٣٠٩ .
(٤) انظر : القطع ١/١٤٥ ، ومنار الهدى ص٨٦ .
(٥) انظر : القطع ١/١٤٥ ، والمكتفى ص٢٠٦ ، والاقتداء ١/٣١٣ تحقيق د/ محمد سعد المرسي ، ومنار الهدى ص٨٦ .
(٦) انظر : مجاز القرآن ١/١٠١ ، والدر المصون ٣/٣٥٤ .



على لغة : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار " المنسوبة إلى أزد شنوءة وبلحارث بن كعب .

وقال الفراء[1] : " إن الوقف لا يتم على ﴿سَوَآءً﴾ ؛ لأن (الواو) اسم (ليس) ، و﴿سَوَآءً﴾ خبرها – كما قال الجمهور – ، و﴿أُمَّةٌ﴾ مرتفعة بـ ﴿سَوَآءً﴾ ارتفاع الفاعل ، أي : ليس أهل الكتاب مستويًا منهم أمّة قائمة موصوفة بما ذكر ، وأمّة كافرة ، فحذفت الجملة المعادلة لدلالة القسم الأوّل عليها ، ولهذا نظائر من كلام العرب .

وقد ردّ كثير من العلماء على الفراء ، منهم : ابن النحّاس ، حيث قال[2] : " وهذا تعسّف شديد ؛ لأن حذف الكلام ، ورفع بما ليس جاريًا على الفعل ، وأشد من هذين إن خبر (ليس) لم يعد منه شيء على اسمها " ، وتابعه في ذلك مرجّحًا أن الوقف اللازم يكون على ﴿سَوَآءً﴾ العكبري ، حيث قال[3] : " رفع ﴿أُمَّةٌ﴾ بـ ﴿سَوَآءً﴾ ضعيف في المعنى والإعراب ؛ لأنه منقطع مما قبله ، ولا يصح أن تكون الجملة خبر (ليس) " ، وأبو حيّان ، حيث يقول[4] : " والإعراب الأول هو الظاهر ، وهو أن يكون ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ﴾ مستأنف بيان لانتفاء

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ١/٢٣٠ ، ٢٣١ ، والبحر المحيط ٣/٣٠٨ ، والدر المصون ٣/٣٥٤ .
(٢) انظر : القطع والائتناف ١/١٤٥ .
(٣) انظر : التبيان ١/٢٨٦ .
(٤) انظر : البحر المحيط ٣/٣٠٩ .

التسوية ، كما جاء ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بياناً لقوله : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[1] " ، والسمين الحلبي حيث يرى[2] أن الوجه أن يكون ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾ جملة تامة ، وقوله : ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ ...﴾ جملة برأسها ، وقوله : ﴿يَتْلُونَ﴾ جملة أخرى مبينة لعدم استوائهم ... " .

كما ضعف بعض العلماء ما ذهب إليه أبو عبيدة ، كابن عطيّة الذي عقّب على كلام أبي عبيدة بأنه خطأ مردود[3] ، فضلاً عن ضعفه ؛ إذ ليس الغرض بيان تفاوت الأمّة القائمة التالية لآيات الله تعالى ، بل الغرض : أن من أهل الكتاب مؤمنًا وكافرًا[4] .

****

(١) سورة آل عمران – جزء من الآية ١١٠ .
(٢) انظر : الدر المصون ٣/٣٥٦ .
(٣) انظر : المحرر الوجيز ١/٤٩٢ تحقيق أ/ عبد السلام .. ولم يبيّن ابن عطيّة وجه هذا الخطأ ، ولعلّه يقصد أن تنظير أبي عبيدة الآية بقول العرب : " أكلوني البراغيث " غير دقيق ؛ لأنه قد تقدّم ذكرهم في الآية ، وفي " أكلوني البراغيث " لم يتقدّم لهن ذكر . راجع : إعراب القرآن لابن النحّاس ١/١٧٦ ، والجامع للقرطبي ٤/١٧٦ .
(٤) انظر : التبيان للعكبري ١/٢٨٦ .

الوقف السابع عشر

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ (سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ – الآية ١١٨)

المفردات :

الـ ﴿بِطَانَةً﴾ : مصدر يُسمّى به الواحد والجمع ، يقال : بَطَـن فلانٌ بفلان يَبْطُن به بَطْنًا وبِطانة ، إذا كان خاصًّا به داخلاً في أمره ، وبِطانة الرجل : خاصّته الذين يَطَّلِعون على أسراره[1] .

﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ﴾ : يقال : ألا في الأمر يألُو ، إذا قصر فيـه ، ثـم استعمل مُعدى إلى مفعولين في قولهم : لا آلوك نصحًا ، و: لا آلـوك جهدًا ، على التضمين ، والمعنى : لا أمنعك نصحًا ولا أنقصكه[2] .

﴿خَبَالٗا﴾ : فسادًا ، والخَبال أو الخَبْل يكون في الأفعال والأبدان والعقول ، وفي الأصل : ما يلحق الحيوان فيورثه اضطرابًا كـالجنون والمرض المؤثّر في العقل[3] .

﴿عَنِتُّمۡ﴾ : العنت : دخول المشقّة على الإنسان ، ولقـاء الـشدّة

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب ٤١٨/٤ – نشرة دار الغد ، واللسان (ب ط ن) .
(٢) انظر : الكشاف ٢١٢/١ ، ٢١٣ – نشر دار المعرفة ، واللسان (أ ل و) .
(٣) انظر : المفردات ، واللسان (خ ب ل) ، والجامع للقرطبي ١٨٠/٤ .



والهلاك ، وفي الأصل : كسر العظم بعد جبره[1] .

﴿أَفْوَاهِهِمْ﴾ : جمع (فم) ، وأصله (فوْه) كـ (سوط) ، فـ (لامه) (هاء) بدليل جمعه على (أفواه) ، وتصغيره على (فُوَيه) والنسب إليه على (فوهى)[2] .

المعنى العام :

ينادي الله ﷻ المؤمنين الذين آمنوا بالله ربًّا ، وبسيدنا **محمد** ﷺ نبيًّا ورسولاً ، وبالقرآن الكريم منهجًا ودستورًا ، لكي يقبلوا عليه ، ويستمعوا إلى ما يُوجّه إليهم من أوامر ونواه تنفعهم في دينهم ودنياهم إذا اتّبعوها ، وفي هذه الآية الكريمة ينهاهم ﷻ عن اتّخاذ غير المؤمنين أولياء وخواصًّا يطلعونهم على أسرارهم ، ويستشيرونهم في معضلاتهم ؛ لأن هؤلاء الكافرين والمنافقين والملحدين – وخالقهم هو الأعلم بما في نفوسهم – لا يقصّرون في محاولات إفساد دينكم وأبدانكم وأموالكم ، فإن عجزوا ودّوا إلقاءكم في أشد أنواع الضرر والمشقّة ، فإن لم يستطيعوا لم يزل عن قلوبهم حب عنتكم وإهلاككم ، يدلّكم على ذلك ما يظهر على قسمات وجوههم ، وتفوه به ألسنتهم من بغض لكم ، وحقد عليكم ، وغيظ منكم ، وهو ﷻ يبيّن لكم ذلك لتتّبعوه إن كنتم تعقلون عاقبة ذلك .

---

(١) انظر : المفردات ، واللسان (ع ن ت) .
(٢) انظر : لسان العرب (ف و هـ) ، والدر المصون ٣٦٧/٣ .



موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ وذلك لأنّه - عز شأنه - نهى المؤمنين عن اتّخاذ أولياء وخواصّ من غير المؤمنين ؛ لأن هؤلاء الكافرين لا يقصّرون في السعي لإفساد دين المسلمين وإهلاكهم وإلقائهم في أشدّ أنواع الضرر والمشقّة ، يدلّ على ذلك ما ظهر في فلتات ألسنتهم من بغضاء عمياء ، وحقد أسود على الإسلام وأهله ، وما تُكِنّه أفئدتهم أكبر وأشدّ .

وهنا يلزم الوقف على ﴿أَكْبَرُ﴾(١) ثم الاستئناف والابتداء بجملة ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ...﴾ المكوّنة من ﴿قَدْ﴾ التي هي حرف تحقيق ، و﴿بَيَّنَّا﴾ فعل وفاعل ، و﴿لَكُمُ﴾ متعلّق بـ ﴿بَيَّنَّا﴾ ، و﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾ مفعول لـ ﴿بَيَّنَّا﴾ ، وأمّا الجملة التي قبلها : ﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ فيجوز في (ما) أن تكون بمعنى (الذي) والعائد محذوف ، أي : تخفيه ، فحذف هذا العائد ، وأن تكون مصدريّة ، والتقدير : وإخفاء صدورهم ، وعلى كلا التقديرين فـ (ما) في محل الرفع مبتدأ ، و﴿أَكْبَرُ﴾ خبره ، والمفضل عليه محذوف والتقدير : أكبر من الذي أبدوه بأفواههم(٢) .

---

(١) انظر : القطع لابن النحّاس ١/١٤٥ ، والمكتفى للداني ص٢٠٦ ، والاقتداء لابن النكزاوي ٣١٧/١ تحقيق د/ محمد سعد المرسي .
(٢) انظر : الدر المصون ٣٦٨/٣ .



الوقف الثامن عشر

﴿لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾

(سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ – الآية ١٨١)

المفردات :

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ : بعض رؤساء اليهود ، كحُيَي بن أخطب ، وفنحاص بن عازوراء ، وكعب بن الأشرف[١] .

﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ : عذاب النار التي تحرق الأجساد وتذيب الأبدان[٢] .

المعنى العام :

دأب اليهود على المجادلة والشقاق مع المسلمين ، فحين نزل قول الله تعالى : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[٣] استهزأ اليهود بذلك ، وقال أحدهم – وهو فنحاص – لأبي بكر ﷺ حين قال له : " اتّق الله وأسلم ، فإنّك تعلم أن محمدًا

---

(١) انظر : حاشية الجمل ٣٤١/١ .
(٢) انظر : مفردات الراغب ، واللسان (ح ر ق) .
(٣) سورة البقرة – جزء من الآية ٢٤٥ .

رسول الله " ، فردّ عليه مستهزئًا : " ما بنا إلى الله من حاجة ، وإنه إلينا لفقير ، وإنا عنه لأغنياء ، ولو كان الله غنيًّا ما استقرض منّا كما يزعم صاحبكم " ، فغضب أبو بكر غضبًا شديدًا لله تعالى ، وضرب وجه فنحاص ضربًا مبرّحًا ، حتى أثّر في وجهه ، فجاء فنحاص شاكيًا أبا بكر إلى رسول الله ﷺ ، فسأل أبا بكر عن سبب ذلك ؟ فحكى له ما حدث ، ولكن فنحاص أنكر ذلك ، فنزلت هذه الآية تبيّن صدق أبي بكر ، وكذب فنحاص وأهله ، وتهدّدهم وتوعدهم بأن ما قالوه مُسجّل عليهم في صحائف أعمالهم ، وسيلقون بسببه عذابًا شديدًا في نار جهنّم التي تحرق أجسادهم ، وتذيب شحومهم ، وكلّما نَضِجَت جلودهم بُدّلوا جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب ، ولا تحزن يا رسول الله من أفعالهم القبيحة ، لأنهم جُبِلُوا على ذلك ، ورَضوا بالأفعال الشنيعة التي فعلها آباؤهم ، كقتلهم الأنبياء الذين أُرسلوا إليهم ، وتكذيبهم[1] .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، *قوله تعالى* : ﴿وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ وذلك لأن هذا نهاية مقولة بعض اليهود ، ثم يبتدأ بـ ﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾ لأنها كلام الله ﷻ ردًّا عليهم وتهديدًا لهم ، ولابد من الوقف ، وإلا دخلت جملة

(١) انظر : أسباب النزول للواحدى ص٧٦ ، ٧٧ ، وتفسير ابن كثير ٤٣٣/١ ، ٤٣٤ ، وحاشية الجمل ٣٤١/١ ، وصفوة التفاسير للشيخ/ الصابوني ٢٣١/١ ، ٢٣٢ ، وتفسير القرآن الحكيم للأستاذ الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي ١١٢/٤ – نشر مكتبة النجاح .



﴿سَنَكْتُبُ﴾ في مقولة اليهود ، وليس كذلك[1] .

وعليه ، فجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ في محل نصب مقـول القول الثاني ﴿قَالُوٓاْ﴾ لا الأول – المصدر المضاف – ﴿قَوْلَ﴾ ، لأن إعمال الفعل أقوى من إعمـال المـصدر ، و﴿سَنَكْتُبُ﴾ (الـسين) للاستقبال ، و(نكتب) فعل مضارع مرفوع لتجرّده عن الناصب والجازم ، و﴿مَا﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به ، وجملة ﴿قَالُوٓاْ﴾ فعل وفاعل صلة الموصول ، لا محـل لهـا مـن الإعراب ، و﴿وَقَتْلَهُمُ﴾ معطوفة على محل المفعول بـه ﴿مَا﴾ ، و(قتل) مضاف ، و(هم) في محل جر مضاف إليه[2] .

****

(١) انظر : القطع والائتناف ١/١٥٥ ، والاقتداء لابن النكزاوي ١/٣٣٤ تحقيق د/ محمد سعد ، ومنار الهدى ص٩٣ .

(٢) انظر : البيان للأنباري ١/٢٣٣ ، وإملاء ما مـنّ بـه الـرحمن ٢/١٦١ ، ١٦٢ ، والبحر المحيط ٣/٤٥٦ ، وحاشية الجمل ١/٣٤١ .

الوقف التاسع عشر

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ .... فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (سُورَةُ النِّسَاءِ - الآية ١١)

المعنى العام :

هذه الآية الكريمة تبيّن أحكام المواريث وأنصبة بعض أصحاب الفروض : فللابن من الميراث مثل نصيب البنتين إذا كانوا ذكورًا وإناثًا ، فإن كنّ إناثًا فقط فللبنتين فأكثر ثلثا التركة ، وإن كانت بنتًا واحدة فلها نصف التركة ، وللأب السدس ، وللأم السدس من تركة المتوفى إن كان له ولد (ذكر أو أنثى) ، فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فقط ، أو معهما أحد الزوجين ، فللأم ثلث المال ، أو ثلث الباقي بعد فرض أحد الزوجين والباقي للأب ، فإن وُجد مع الأبوين إخوة للميّت (اثنان فأكثر) فالأم ترث حينئذ السدس فقط ، والباقي للأب ، وهذه القسمة بعد إنفاذ وصيّة الميّت وقضاء ديونه ، وعلى المسلمين وجوب تنفيذ هذه الأحكام ؛ لأنهم لا يعلمون أين توجد المصلحة ، أو تكون المنفعة ؟ والله ﷻ العليم بذلك ، الحكيم فيما شرع وفرض[1] .

---

(١) انظر : الجامع للقرطبي ٥/٥٥ – ٧٥ ، وصفوة التفاسير للشيخ/ الصابوني ١/٢٤٧ .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ وذلك لأن العليم الحكيم الذي خلق كل شيء ، وقدّره تقديرًا ، بيّن لعباده المؤمنين أحكام المواريث التي يجب عليهم تطبيقها في كل زمان ومكان ، وحدّد لهم نصيب كل وارث من تركة المتوفّى ، وذلك بعد قضاء ديونه ، وتنفيذ وصاياه ، وهنا يلزم الوقف على ﴿أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ لانتهاء المعنى المراد[1] ، والاستئناف بجملة ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ﴾ .

وعليه فـ ﴿ءَابَآؤُكُمۡ﴾ مبتدأ ، و﴿وَأَبۡنَآؤُكُمۡ﴾ معطوف عليه ، و﴿لَا تَدۡرُونَ﴾ - وما في حيّزه - في محل رفع خبر المبتدأ ، و﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ فيها وجهان :

الوجه الأول - وهو المشهور - : أن يكون ﴿أَيُّهُمۡ﴾ اسم استفهام مبتدأ ، و﴿أَقۡرَبُ﴾ خبره ، والجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب بـ ﴿تَدۡرُونَ﴾ ؛ لأنها من أفعال القلوب ، لكن علّقت عن العمل لفظًا ، لوجود اسم الاستفهام ، لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله في غير الاستئناف .

---

(1) انظر : المكتفى للداني ص٢١٨ ، والاقتداء لابن النكزاوي ٣٤٧/١ تحقيق د/ محمد سعد المرسي ، ومنار الهدى ص٩٧ .

الوجه الثاني : أن يكون ﴿أَيُّهُمْ﴾ اسم موصول مبني على الضم في محل نصب مفعول أول لـ ﴿تَدْرُونَ﴾ ، و﴿أَقْرَبُ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هو أقرب ، وهذا الضمير عائد الموصول ﴿أَيُّهُمْ﴾ ، وجاز بناؤها هنا ، لوجود شرطي البناء ، وهما : أن تضاف لفظًا ، وأن يحذف صدر صلتها[1] ، وتكون هذه الآية نظير آية ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾[2] ، ويكون التقدير : لا تدرون الذي هو أقرب ، ويكون المفعول الثاني لـ ﴿تَدْرُونَ﴾ محذوفًا[3] ، و﴿نَفْعًا﴾ تمييز منصوب ، و﴿فَرِيضَةً﴾ يحتمل أن يكون مصدرًا مؤكدًا لمضمون الجملة السابقة من الوصيّة ؛ لأن معنى ﴿يُوصِيكُمُ﴾ فرض الله تعالى عليكم ، فيصير المعنى : يوصيكم الله تعالى وصيّة فرض ، وأن يكون مصدرًا لفعل محذوف من لفظه ، أي : فرض الله تعالى ذلك فريضة[4] .

---

(١) هذا على مذهب سيبويه . انظر : الكتاب ٢/٣٩٩ – ٤٠١ ، والبحر المحيط ٣/٥٤٤ ، والمغني لابن هشام ص١٠٧ ، ١٠٨ ، والتصريح للشيخ/ خالد ١/٤٣٨ تحقيق د/ عبد الفتاح بحيري .

(٢) سورة مريم – الآية ٦٩ .

(٣) انظر : التبيان ١/٣٣٥ ، والجامع ٥/٧٤ ، ٧٥ ، والبحر المحيط ٣/٥٤٤ ، والدر المصون ٣/٦٠٤ – ٦٠٦ ، وحاشية الجمل ١/٣٦٢ .

(٤) انظر : الكشاف ١/٢٥٤ ، والتبيان ١/٣٣٥ ، والجامع ٥/٧٥ ، والبحر المحيط ٣/٥٤٤ ، والدر المصون ٣/٦٠٦ .

الوقف العشرون

﴿ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴾

(سُورَةُ النِّسَاءِ - الآيتان ١١٧ ، ١١٨)

المفردات :

﴿ شَيۡطَٰنٗا ﴾ : كلّ عاتٍ متمرّد من الجن ، والمقصود هنا (إبليس) اللعين[١] .

﴿ مَّرِيدٗا ﴾ : متمرّدًا بلغ الغاية في العُتُوّ والفجور ؛ لخروجه عن طاعة الله تعالى ، أو متمرّدًا متجرّدًا عن الخيرات[٢] .

﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ : طرده من رحمته في الدنيا ، وسخط عليه ، وعذّبه في الآخرة[٣] .

﴿ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴾ : جزءًا معيّنًا ومقدارًا معلومًا ، قيل : من كل ألف : تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار ، وواحد إلى الجنّة ، وأمّة سيدنا **محمد** ﷺ حينئذ كالشعرة البيضاء في الثور الأسود[٤] .

---

(١) انظر : مفردات الراغب ، واللسان ، ومختار الصحاح (ش ط ن) ، وحاشية الجمل ٣٢٤/١ .
(٢) انظر : مفردات الراغب ، واللسان (م ر د) ، وصفوة التفاسير ٢٨٩/١ .
(٣) انظر : مفردات الراغب ، والمصباح المنير (ل ع ن) .
(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٥٦/١ ، وحاشية الجمل ٤٢٦/١ .

المعنى العام :

بعد أن ذكر الله ﷻ أنه يغفر كل الذنوب إلا الإشراك به ﷻ ، بيّن أن المشركين ما يعبدون إلا أصنامًا من الحجارة ، لا تنفع ولا تضر ، نحتوها بأيديهم ، وصنعوها على أعينهم ، ثم سمّوها بأسماء إناث كـ : (اللات) ، و(العزى) ، و(مناة) ، ثم زيّن لهم الشيطان عبادتها ، فأطاعوه وساروا في ركابه ، وهذا الشيطان متمرّد ، لم يطع ربّه في أن يسجد لآدم ﷺ ، فلذا طرده ربّه ، وأخرجه من رحمته ، وتوعّده بالعذاب والهلاك ، فعليكم أيها المؤمنون أن تحذروا منه ومن إغوائه ؛ لأنه حين طرده ربّه أقسم أن يضل كثيرًا من خلق الله تعالى ، وأن يَعِدَهم بالأماني الكاذبة ، والبروق الخادعة ، ويزيّن لهم المعاصي ، ويحبّب إليهم الشهوات ، فمن يَسِرْ معه فهو داخل في حزبه ، ولا شك أن ﴿حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[1] .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله تعالى : ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ وذلك لأن جملة ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ صفة ثانية لـ ﴿شَيْطَٰنًا﴾ بعد الصفة الأولى ﴿مَّرِيدًا﴾ بالدعاء والطرد من رحمة الله تعالى ، وهنا يلزم الوقف على اسم الجلالة ، والابتداء بـ ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ...﴾ التي يُحكى فيها عن

---

(1) سورة المجادلة – جزء من الآية ١٩ .



الشيطان ما قاله في حقّ الإنسان[1] .

وعليه فجملة ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ التي تتكوّن من الفعل والفاعل والمفعول في محل نصب صفة ثانية لـ ﴿شَيْطَٰنًا ﴾ ، أو هي جملة استئنافيّة لا محل لها من الإعراب ، جاءت لغرض الدعاء عليه ، أو الإخبار بذلك ، وجملة ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ﴾ استئنافيّة لا محل لها من الإعراب ، غير معطوفة على ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ ، و﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾ جواب قسم محذوف ، و﴿مِنۡ عِبَادِكَ ﴾ جار ومجرور ، إمّا متعلّق بالفعل قبله ، أو بمحذوف على أنه حال من ﴿نَصِيبًا﴾ ، لأنه في الأصل صفة نكرة قدم عليها[2] ، على حد قول الشاعر :

لِمَيَّـةَ موحِشًا طَلَـلُ ∴ يلـوح كأنـه خِلَـلُ[3]

حيث جاءت (موحِشًا) حال من (طَلَل) وهو نكرة ، ويسوغ ذلك تقدّمها عليه .

هذا ، وبعض العلماء كالعكبري[4] يرى أن الوقف هنا غير واجب

---

(١) انظر : المكتفى للداني ص٢٢٤ ، والاقتداء لابن النكزاوي ٣٧١/١ تحقيق د/ محمد سعد ، ومنار الهدى ص١٠٧ .

(٢) انظر : إملاء ما منّ به الرحمن ٣٢٤/٢ ، وحاشية الجمل ٤٢٦/١ .

(٣) البيت من مجزوء الوافر ، لكثير عزة ، وهو في : الكتاب ١٢٣/٢ ، والخصائص ٤٩٤/٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٥/٢ ، والمغني لابن هشام ص١١٨ ، ٥٧١ ، ٨٦٥ ، والتصريح ٣٧٥/١ ، ١٢٠/٢ ، وشرح الأشموني ١٧٤/٢ .

(٤) انظر : إملاء ما منّ به الرحمن ٣٢٤/٢ .



بل جائز ، فيجوز الوصل ، وعليه فهذه الجملة ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ﴾ يجوز أن تكون في محل نصب صفة ثالثة لـ ﴿شَيْطَانًا﴾ أو هي معطوفة على ﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ ، وفاعل ﴿وَقَالَ﴾ ضمير الشيطان أيضًا ، أو هي جملة في محل نصب حال على إضمار (قد)[1].

وأرى أن الوقف هنا لازم لا جائز ، وذلك لضعف هذه الأعاريب التي وُجِّه بها جواز الوصل وعدم الوقف ، وتضعيفها هكذا :

أولاً : أمّا الإعراب الأوّل وهو أن جملة ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ﴾ صفة ثالثة لـ ﴿شَيْطَانًا﴾ فهذا ضعيف ؛ لأن جملة المنعوت بها كجملة الخبر ، لا يجوز أن تدخل عليها (الواو) ، خلافًا للزمخشري الذي أجاز ذلك[2] ، وفي هذا يقول ابن مالك :

وَنَعَتُوا بِجُمْلَةٍ مُنَكَّرَا ∴ فَأُعْطِيَتْ مَا أُعْطِيَتْهُ خَبَرَا

ثانيًا : وأمّا الإعراب الثاني في كون جملة ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ﴾ معطوفة على جملة ﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ ، فهذا أيضًا ضعيف ؛ لأن فيه عطف الخبريّة على الإنشائيّة ، وهذا غير جائز عند جمهور النحاة[3] .

---

(١) انظر : السابق ، وحاشية الجمل ٤٢٦/١ .

(٢) انظر : ارتشاف الضرب ٥٨٤/٢ ، وشرح الألفيّة للمرادي ١٤٢/٣ ، وشرح الأشموني ٦٤/٣ .

(٣) انظر نتائج الفكر ص٥٦ ، والمغني لابن هشام ص٦٢٧ .

ثالثًا : وأمّا الإعراب الثالث ، وهو أن الجملة في محل نصب حال على إضمار (قد) فهو غير واضح في الآية ؛ لأن المعنى على الحـــال سيكون : لعنه الله حال كونه قال : كذا وكذا ، والواضح أن الله تعالى قد لعنه منذ أن امتنع عن السجود ، وقبل أن يقول ما حكي عنه في الآية .

****



الوقف الحادي والعشرون

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

(سُورَةُ النِّسَاءِ – الآيتان ١٥٧ ، ١٥٨)

المعنى العام :

يخبر الله ﷻ عن بعض جرائم اليهود ، وقبائحهم الشنيعة ، كافترائهم على مريم عليها السلام ، وادّعائهم أنهم قتلوا عيسى عليه السلام وهم في الحقيقة لم يقتلوه ، وإنما قتلوا من أُلقي عليه شبَه عيسى عليه السلام فصلبوه وعذّبوه ، أمّا عيسى عليه السلام فنجّاه الله تعالى من مكرهم ، ورفعه إليه بقدرته ؛ لأنه ﷻ منيع الجناب لا يُرام جَنابه ، ولا يُضام من لاذ ببابه ، وله الحكمة البالغة في كل ما يفعله ، والحجّة الدامغة ، ومع كونهم لم يقتلوه حقيقة فسيعاقبهم الله تعالى على ذلك عقاب من قتل نبيًّا لأنهم قصدوا ذلك ، وتبجّحوا بصنعه .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله تعالى : ﴿عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ وذلك أنه ﷻ يحكي مقولة اليهود بعد ادّعائهم قتل عيسى عليه السلام الذي كانوا يتّهمونه بالكذب والسحر ، وهنا يلزم الوقف على قوله : ﴿ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ لأنه نهاية كلام

اليهود المحكى عنهم ، والابتداء بجملة ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ لأنه لو وصل بما قبله لتبادر إلى ذهن السامع أنه تتمّة كلام اليهود ، وليس الأمر كذلك ، فهو من كلام المولى ﷻ مدحًا لعيسى عليه السلام وردًّا لهؤلاء في زعمهم أنه ليس بنبيّ(١) .

وعلى هذا فـ ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ مفعول به لفعل محذوف وجوبًا تقديره : أعني أو أمدح ، والجملة استئنافيّة لا محل لها من الإعراب جاءت لغرض مدح عيسى عليه السلام ، أو هي من باب وضع الذكر الحسن من الله ﷻ عن عيسى عليه السلام ، مكان ذكرهم القبيح(٢) .

هذا ، ويرى بعض العلماء أن الوقف هنا غير لازم بل الوصل أولى ، وذلك لأن جملة ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ من كلام اليهود أيضًا .

فإن قيل : كيف يقولون عنه : رسول الله ، وهم قد كفروا به وسبّوه ؟

أجيب بأنهم قالوا عنه : إنه رسول الله ، على سبيل الاستهزاء والتهكّم به على حدّ قول مشركي مكّة عن سيدنا **محمد** ﷺ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾(٣) ، وقول فرعون عن موسى عليه السلام : ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾(٤) .

---

(١) انظر : القطع والائتناف لابن النحّاس ١/١٩١ تحقيق د/ المطرودي ، والمكتفى للداني ص٢٣١ ، ومنار الهدى للأشموني ص١١١ .

(٢) انظر : إملاء ما منّ به الرحمن ٢/٣٥٥ ، وحاشية الجمل ١/٤٤٢ ، ٤٤٣ .

(٣) سورة الحجر – جزء من الآية ٦ .

(٤) سورة الشعراء – جزء من الآية ٢٧ . وانظر : المكتفى للداني ص٢٣١ ، =

وعليه ، فـ ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ بدل أو عطف بيان ، أو صفة لـ ﴿عِيسَى﴾ ، كما أن ﴿عِيسَى﴾ بدل من ﴿ٱلْمَسِيحَ﴾ ، وكذا ﴿ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ بدل ، أو صفة[1] .

وأرى أن كلا الرأيين جائز ، فمن قال بلزوم الوقف ، له حجّته ، وكذا من قال بالوصل .

****

= والكشاف ٣١١/١ ، والبحر المحيط ١٢٥/٤ ، ومنار الهدى ص١١١ ، وحاشية الجمل ٤٤٢/١ ، ٤٤٣ .

(١) انظر : البيان للأنباري ٢٧٣/١ ، وإملاء ما منّ به الرحمن ٣٥٥/١ .



الوقف الثاني والعشرون

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ (سُورَةُ النِّسَاءِ – الآية ١٧١)

المفردات :

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ : المراد هنا : النصارى ، وأهل الكتاب تشمل اليهود والنصارى[١] .

﴿لَا تَغۡلُواْ﴾ : الغُلُو : مجاوزة حدّ الاعتدال في كل شيء[٢] .

المعنى العام :

يأمر الله ﷻ أهل الكتاب ، وبخاصّة النصارى ، ألا يجاوزوا حدّ الاعتدال ، ويغالوا كثيرًا في أنبيائهم بأن يقولوا : عيسى ابن الله ، أو هو أحد الآلهة الثلاثة ... إلى غير ذلك من تُرّهاتهم وأباطيلهم ، ثم بيّن لهم ﷻ أن المسيح ما هو إلا عبد الله ، خلقه الله تعالى على غير

(١) انظر : البحر المحيط ١٤٢/٤ .
(٢) انظر : مفردات الراغب ، والقاموس (غ ل ا) .



المعروف لهم ، بأن جاء من غير أب ، ولا عجب ، فأبو البشر آدم ﷺ جاء من غير أب ولا أم ، إنما خلقهما الله تعالى بـ ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1] ، فيجب عليكم أن تنتهوا عن تلك المزاعم ، وتعتقدوا خيرًا ، فتنزّهوا الله تعالى عن الشريك والولد ؛ لأنه ﷻ أحدٌ فردٌ صمدٌ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[2] ، وهو ﷻ يملك جميع ما في السماوات وما في الأرض ، وعيسى ﷺ جزء من ذلك ، فكيف يكون شريكًا له ؟!

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ وذلك لأن هذه الجملة من الآية تنزّه الله تعالى عن قول النصارى : " إن الله ثالث ثلاثة " ، أو : " المسيح ابن الله " ، فنهاهم الله تعالى عن ذلك ، وبيّن لهم أن عيسى ﷺ رسول الله ، خلقه الله تعالى بقدرته من غير أب ، وهنا يلزم الوقف على كلمة ﴿وَلَدٌ﴾ ولا يجوز وصله بما بعده ؛ لأنه لو وصل لصار ما بعده صفة له ، فيكون المنفي ولدًا موصوفًا بأنه يملك ما في السماوات والأرض ، وهذا غير مراد ، إنما المراد : نفي

---

(١) سورة آل عمران – الآية ٥٩ .
(٢) سورة الإخلاص – الآيتان ٣ ، ٤ .

الولد مطلقًا[1] .

وعلى هذا ، فـ ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف ، وهو علَمٌ على (التسبيح)[2] ، وجملة ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ المكوّنة من ﴿يَكُونَ﴾ واسمها وخبرها في موضع نصب لحذف حرف الجر ، والتقدير : سبحانه عن أن يكون ، أو: من أن يكون ، وجملة ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ استئنافيّة لتعليل التنزيه وتقريره بمعنى أنه ﷻ يملك جميع ما في السماوات والأرض ، ومن جملتها عيسى ابن مريم عليه السلام فكيف يتوهّم كون عيسى ولدًا له ؟[3]

****

(١) انظر : المكتفى للداني ص٣٢٢ ، والاقتداء لابن النكزاوي ٣٨٩/١ تحقيق د/ محمد سعد ، والإتقان للسيوطي ٨٤/١ ، ومنار الهدى ص١٩٣ .
(٢) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٣٣/١ ، واللسان (س ب ح) ، والهمع ١٩٠/٢ .
(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٩٦/١ ، والبيان للأنباري ٢٨٠/١ ، وحاشية الجمل ٤٥٢/١ .



الوقف الثالث والعشرون

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (سُورَةُ المَائِدَةِ – الآية ٢)

المفردات :

﴿شَعَٰٓئِرَ﴾ : جمع شَعيرة ، أي : ما يُهدى إلى بيت الله ، وسُمّيت بذلك لأنها تُشْعَر (أي : تعلم) بأن تدمى بشعيرة[١] (أي : حديدة ونحوها) ، وقيل : لا تصطادوا في حالة الإحرام ، بأن تحلّوا ما حرّمه الله[٢] .

﴿ٱلۡهَدۡيَ﴾ : ما أُهدي إلى الحرم من النَّعَم[٣] .

﴿ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾ : جمع قِلادة ، والمراد : الحيوانات ذات القلائد ؛ لأن العرب كانوا يقلّدون حيواناتهم من لحاء أشجار الحرم ؛ ليأمنوا بذلك من الاعتداء عليهم ، وقيل : كانوا يقلّدون أنفسهم أيضًا[٤] .

---

(١) انظر : مفردات الراغب (ش ع ر) .
(٢) انظر : حاشية الجمل ٤٥٨/١ .
(٣) انظر : مفردات الراغب (هــ د ي) ، وحاشية الجمل ٤٥٨/١ .
(٤) انظر : لسان العرب (ق ل د) ، وحاشية الجمل ٤٥٨/١ .



﴿ءَآمِّينَ﴾ : قاصدين[1] .

﴿شَنَـَٔانُ﴾ : يقال : شَنَئْته شنَآنًا ، بمعنى : أبغضته بُغضًا ، فهو مصدر على (فَعَلان) كــ : غَلَى غلَيانًا ، و: نَزا نزَوانًا[2] .

المعنى العام :

ينادي الله تعالى عباده المؤمنين ليقبلوا عليه ؛  لينهــاهم عــن التعدّي على حرمات الله تعالى التي حدّدها ، وذلك بألاّ يعتدوا على مــا أُهدي لبيت الله الحرام من الهَدْي المقلّد بلحاء أشجار الحــرم للأمــان ، وألا يعتدوا على أحدٍ ما في الشهر الحرام ولو كان كافرًا ، ولا على من قصد بيت الله الحرام لأداء عمرة أو حج ، فلا يحملنّكم بغضكم إيّــاهم على ارتكاب القتال ، أو القتل في الشهر الحرام ، أو البيت الحرام ، بل يجب عليكم التريّث وعدم الاندفاع ، فإذا تحلّلتم من الإحرام فاصــطادوا ما يحل لكم ، ويجب عليكم أن تتعاونوا على فعــل الخيــرات وعمــل الصالحات ، فهي التي تدخلكم الجنّات ، وترفع لكم الدرجات ، واتّقــوا الله تعالى وخافوه في كل أعمالكم ، لأنه ﷻ شديد العقاب لمــن تعــدّى على حرمات الله تعالى .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿أَن تَعۡتَدُواْ﴾ لأن معنى هذه : أن الله ﷻ ينهى

(١) انظر : لسان العرب (ق ص د) ، وحاشية الجمل ٤٥٨/١ .
(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٤٣/٢ ، ومفردات الراغب (ش ن أ) .

المؤمنين عن الاعتداء على حرمات الله تعالى مهما كانت درجة البغض لهؤلاء المعتَدى عليهم من الكفّار .

وهنا يلزم الوقف ؛ لأنه ﷺ بعد ذلك يأمر بالتعاون على البر والتقوى وفعل الخيرات في قوله : ﴿وَتَعَاوَنُوا﴾ ، وهنا يجب الابتداء ، لأنه غير معطوف على ما قبله ، لأنه أمر وما قبله نهي[1] .

وعلى هذا فـ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ بمعنى : لا يحملنّكم ، فيتعدّى إلى مفعول واحد ، وهو ضمير (كم) ، و﴿شَنَآنُ﴾ مصدر مضاف إلى مفعوله ، وهو الظاهر ، ويحتمل أن يكون مضافًا إلى فاعله ، والتقدير : بغض قوم إيّاكم ، و﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ في محل نصب مفعول له ، و﴿أَن تَعْتَدُوا﴾ في محل نصب على نزع الخافض وهو (على) ، والأصل : على أن تعتدوا .

وقيل : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ بمعنى (لا يكسبنّكم) فيتعدّى إلى مفعولين ، **أولهما** : ضمير المخاطبين (كم) ، **والثاني** : ﴿أَن تَعْتَدُوا﴾ أي : ولا يكسبنّكم بغضكم لقوم الاعتداء عليهم ، وجملة ﴿تَعَاوَنُوا﴾ ابتدائيّة لا محل لها من الإعراب[2] .

---

(1) انظر : إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ص٦١١ ، والقطع والائتناف ١/١٩٦ ، والمكتفى لأبي عمرو الداني ص٢٣٤ ، والاقتداء لابن النكزاوي ١/٣٩٤ تحقيق د/ محمد سعد ، ومنار الهدى ص١١٥ .

(2) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/١٤٣ ، وأمالي ابن الحاجب ١/٢٣٣ تحقيق =

الوقف الرابع والعشرون

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾
(سُورَةُ المَائِدَة – الآية ٤١)

المعنى العام :

ينادي الله تعالى حبيبه ونبيّه سيدنا **محمدًا** ﷺ مسلّيًا له عمّا حدث من بعض المنافقين واليهود قائلاً له : لا تتأثّر ولا تحزن من الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، فأظهروا الإسلام ، وأبطنوا الكفر ، وهم المنافقون الذين يتربّصون بكم الدوائر ، ويكيدون لكم ، ولا يتوانون في اقتناص الفرص لإيقاع الشر بكم والإيذاء لمن آمن معكم ، وكذا لا تحزن ولا تتأثّر من بعض يهود الذين تَغْلِي قلوبهم حقدًا عليكم ، وبغضًا

= د/ فخر صالح ، والبيان للأنباري ١/٢٨٣ ، وإملاء ما منّ به الرحمن ٢/٣٧٨ ، ٣٧٩ ، والبحر المحيط ٤/١٦٨ ، ١٦٩ ، وحاشية الجمل ١/٤٥٩ ، والألفاظ من القرآن الكريم أ.د/ محمود أبو الروس ص١٠٧ – ١١٢ .

لكم ، ومنهم فئة جواسيس يستمعون منكم ، ثم ينقلونه لغيرهم بعد الكذب عليه والزيادة فيه ، ومنهم جماعة يُغيّرون أحكام الله تعالى التي أنزلها على نبيّه موسى عليه السلام كأن يحكموا على الزاني المحصن بالجلد وتسويد الوجه ، ويتركون الرجم ، ثم يبعثون بعضهم إليك ؛ ليستفتوك قائلين لبعضهم : إن حكَم بالجلد وتسويد الوجه على الزانِيَيْن اللذين قد ارتكبا الفاحشة ، وكانا محصنين ، فخذوا هذا الحكم ونفّذوه ، وإن حكم بغير ذلك ، وهو الرجم ، فلا تأخذوا به ، وقد كان ما حَذِروه ، فجعل النبيّ ﷺ بينه وبينهم ابن صوريا – وكان أعلمهم حكما فرضوا به – فسأله النبيّ ﷺ : " **أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسى ، ورفع فوقكم الطور ، وأنجاكم وأغرق آل فرعون ، والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه .. هل تجدون فيه الرجم على من أحصن ؟** " قال : نعم ، فأمر بهما النبيّ ﷺ فنُفِّذ فيهما حد الرجم ، ثم سأله ابن صوريا عن أشياء كان يعرفها من أعلامه ، فأجابه ﷺ ، فأسلم(1) .

وهؤلاء وأولئك لهم في الدنيا الخزي والعار ، وفي الآخرة العذاب الشديد ، والخلود الأكيد في نار جهنّم .

والله ﷻ حين يقدّر ويريد لبعض الناس الفتنة في دينهم فلا راد لقضائه ، ولا مُعقِّب لحكمه ، وهؤلاء لم يرد الله تعالى أن يطهّر قلوبهم من دَنَس الكفر ورجس الإشراك ، فهم باقون كذلك .

(1) انظر : أسباب النزول للواحدي ص٢٦٠ تحقيق أيمن شعبان ، والكشاف ٣٣٨/١ ، ٣٣٩ ، والبحر المحيط ٢٥٩/٤ – ٢٦٣ ، وحاشية الجمل ٤٩٠/١ ، ٤٩١ .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾ وذلك لأنه بعد أن سلّى ربُّ العزّة نبيّه سيدنا **محمدًا** ﷺ فنهاه عن الحزن من صنيع المنافقين واليهود ، ووسَمَهم بالكذب ، ونَقْل الكلام على سبيل الجاسوسيّة ، يكون الحديث عنهم قد تم ، فيلزم الوقف على ﴿لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾ وذلك بشرط أن تعرب جملة ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ استئنافيّة لا محل لها من الإعراب ، ويكون المراد بـ ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ : يهود بني قريظة ، وكانوا يسكنون المدينة بجوار رسول الله ﷺ ، والمراد من ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾ : يهود خيبر ، وكانوا خارج المدينة المنوّرة – على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام –[1] ، أمّا إن جعل ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ صفة أخرى لـ ﴿لِقَوۡمٍ﴾ أي : لقوم آخرين لم يأتوك محرّفين ، فلا يلزم الوقف ، وكذا إن جعل في محل نصب حالاً من ﴿ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ لارتباط الكلام وتعلّقه بما قبله[2] .

وقوله ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ الأولى مبتدأ مؤخّر ، و﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ

---

(١) انظر : البحر المحيط ٢٦١/٤ .. وقال آراء أخرى غير ذلك فراجعها إن شئت .

(٢) انظر : القطع لابن النحّاس ٢٠٤/١ ، والمكتفى للداني ص٢٤٠ ، والاقتداء لابن النكزاوي ٤٠٦/١ تحقيق د/ محمد سعد ، ومنار الهدى ص١٢٠ .



هَادُواْ ﴾ خبر مقــدّم ، أو هي خبر لمبتــدأ محــذوف تقــديره : هــم سماعون ، أو صفة لموصوف محذوف تقــديره : فريــق ســماعون ، ومفعول ﴿سَمَّٰعُونَ ﴾ محذوف تقديره : سماعون أخبــاركم(1) ، أو مفعوله (الكذب) وعدى بــ (اللام) على سبيل التقويــة للعامــل ، ولــه نظائر ، منها قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾(2) .

****

---

(1) انظر : البيان لابن الأنباري 1/291 ، 292 ، والتبيان 1/436 ، 437 ، والبحــر المحيط 4/260 ، 261 ، وحاشية الجمل 1/490 .

(2) سورة الأعراف – جزء من الآية 154 . وانظر : المغني ص286 – 288 .

الوقف الخامس والعشرون

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

(سُورَةُ المَائِدَةِ – الآية ٥١)

المعنى العام :

ينادي الله تعالى عباده المؤمنين حتى يستمعوا إلى ما يُلقى عليهم من أوامر ونواه ، فنهاهم ﷻ عن موالاة أحد من اليهود والنصارى ، ومناصرتهم ، لأنهم أعداء الإسلام ، يُضمرون له الحقد والحسد ، ويريدون للمسلمين الشر والهلاك ، ولا عجب ، فالكفر كلّه ملة واحدة ، يجتمعون على محاربة المسلمين ومعاداتهم مع شدّة ما بينهم من تنافر واختلاف ، ثم حذّر ﷻ قائلاً : إن من يُوادّهم ويناصرهم يكون بذلك قد عصى الله ﷻ ، وارتكب ما نَهَى عنه ، ولذا فحكمه حكم من والاهم من اليهود والنصارى .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ وسر ذلك أنه ﷻ ينهى المؤمنين نهيًا مطلقًا عن اتّخاذ أولياء من اليهود والنصارى ، لبغضهم المسلمين وحقدهم عليهم ، وهاهنا يلزم الوقف على ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ ؛ لأنه لو وصل لصارت جملة ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ صفة لـ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ فيكون الظاهر

النهي عن اتّخاذ أولياء ، صفتهم أن بعضهم أولياء بعض ، فإن انقضى وزال عنهم هذا ، جاز اتّخاذهم أولياء ، وهذا غير مراد ، بل محـال ، فلزم الوقف(1) .

وعليه فـ ﴿لَا﴾ ناهيـة ، و﴿تَتَّخِذُواْ﴾ مجـزوم بـ ﴿لَا﴾ وعلامة جزمه حذف النون ، وهو من الأفعال التي تنصب مفعـولين ، **أولهمـا** : ﴿ٱلْيَهُودَ﴾ ، **والثـاني** : ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ ، وجملـة ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ مبتدأ وخبر لا محل لها من الإعراب استئنافيّة(2) .

****

(1) انظر : إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ص٦٢٢ ، والمكتفى للداني ص٢٤٢ ، والاقتداء لابن النكزاوي ٤١٠/١ تحقيق د/ محمد سعد ، ومنار الهدى ص١٢١ .
(2) انظر : معاني القرآن للأخفش ٤٧١/٢ ، والبحر المحيط ٢٩١/٤ ، وحاشية الجمل ٤٣٢/٢ .

الوقف السادس والعشرون

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (سُورَةُ المَائِدَة – الآية ٦٤)

المفردات :

﴿ مَغْلُولَةٌ ﴾ : مقبوضة عن إدرار الرزق علينا ، وهو كناية عن البخل[1] .

﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ : غلّت في نار جهنّم ، أو أمسكت عن الإنفـــاق ، وحَصلَ لهم البخل المذموم الناشئ عن الفقر والضيق[2] .

﴿ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ : جوّاد كريم ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، ويوسع على من يشاء ، ويُضيّق على من يشاء ، لحكمتـــه الأزليّة ومشيئته الربّانيّة[3] .

المعنى العام :

لم يكتف اليهود الملعونون بكفرهم وتكذيبهم لخاتم الرســل ســيدنا محمد ﷺ ، بل زادوا في كفرهم ، وادّعوا على الله ﷻ – تعالى الله عن

---

(١) انظر : مفردات الراغب (غ ل) ، وحاشية الجمل ٥٠٨/١ .
(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٩/٢ ، وصفوة التفاسير ٣٣٨/١ .
(٣) انظر : حاشية الجمل ٥٠٨/١ ، وصفوة التفاسير ٣٣٨/١ .

ذلك علوًّا كبيرًا – أشياء عظيمة ، وأكاذيب واضحة ، كقــولهم : ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾(١) ، وقولهم : ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مقبوضـــة عــن إدرار الرزق علينا ، فردّ الله تعالى عليهم بأن سبب تـضييق الـــرزق عليهم هو شؤمهم بسبب معاصيهم ، وتكذيبهم الرسل ، داعيًا عليهم ﷻ بدوام البخل والنكد والهمّ والحزن ، علاوة على ما ينتظرهم من العذاب والنَّكال في نار جهنَّم ، وهو ﷻ جوّاد كريم ، يوسع على من يـــشاء ، ويضيّق على من يشاء ، لحكمة يعلمها ﷻ ؛ لأن من العباد من لو أغناه لأضلّه الغنى ، ومنهم من لو أفقره لأضلّه الفقر ، ثم يـــسلّي الله تعـــالى رسوله سيدنا **محمدًا** ﷺ فيخبره بأن هؤلاء اليهود أهل كفر وطغيـــان ، وعتوّ وتمرّد ، فكلّما نزلت عليك آية ، أو حدثت لك نعمة ازدادوا حقدًا على حقدهم ، وكفرًا على كفرهم ، كما يزداد المريض مرضًا بالطعـــام والشراب ، أمّا الصحيح فيزداد صحة إلى صحته ، ونبشّرك أيضًا يـــا رسول الله بأن الله تعالى خاذلهم على الدوام ، ومفرّقهم إلـــى الأبـــد : ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾(٢) ، فقلوبهم متـــشـــعّبة ، وآراؤهـــم مشتّتة ، كلّما أرادوا إيذاء المسلمين والكيد لهم ردّ الله تعالى كيدهم إلى نحورهم ؛ لأنهم دائمًا لا يَسْعَوْن إلا إلى الفساد ، ولا يبحثون إلا عـــن الشر ، والله ﷻ لا يحب المفسدين الذين يعيثون في الأرض فسادًا .

---

(١) سورة آل عمران – جزء من الآية ١٨١ .
(٢) سورة الحشر – جزء من الآية ١٤ .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿بِمَا قَالُواْ﴾ ، وسرّه : أن اليهود – لعنهم الله تعالى – حين ازدادوا كفرًا فوصفوا الله ﷻ – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا – بالبخل وعدم الإنفاق ، ردّ الله تعالى عليهم بإغلال أيديهم في نار جهنّم يوم القيامة ، وبِذُلّهم وطردهم من رحمته تعالى ، وهنا يلزم الوقف على ﴿بِمَا قَالُواْ﴾ ؛ لأنه لو وصل لكان *قوله تعالى* : ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ من مقول اليهود ، ومفعول ﴿قَالُواْ﴾ ، وليس كذلك ، بل هو من كلام الله ﷻ ردًّا عليهم على سبيل الاستئناف[1] .

وعليه فـ ﴿بَلۡ﴾ حرف إضراب إبطالي ، مبني على السكون لا محل لهِ من الإعراب ، و﴿يَدَاهُ﴾ مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه (الألف) نيابة عن الضمّة لأنه مثنّى ، و(الهاء) في محل جر مضاف إليه ، و﴿مَبۡسُوطَتَانِ﴾ خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه (الألف) نيابة عن الضمّة ، وجملة ﴿يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ إمّا أنها في محل رفع خبر ثان لـ ﴿يَدَاهُ﴾ ، وإما جملة استئنافيّة لا محل لها من الإعراب ، وعلى كلاَ الإعرابين فـ ﴿كَيۡفَ﴾ شرطيّة تحتاج إلى فعلين متفقي اللفظ

(١) انظر : القطع والائتناف لابن النحّاس ٢٠٨/١ تحقيق د/ المطرودي ، والاقتداء لابن النكزاوي ٤١٤/١ تحقيق د/ محمد سعد ، ومنار الهدى ص١٢٢ .

والمعنى غير مجزومين[1] ، **أولهما** : ﴿يَشَآءُ﴾ ، **والثاني** : محذوف مدلول عليه بالفعل المتقدّم على ﴿كَيْفَ﴾ ، والتقدير : كيف يشاء أن ينفق ينفق ، ومفعول المشيئة محذوف أيضًا وهو (أن) وما دخلت عليه ، وعلى ذلك فلا يصحّ أن يكون العامل في ﴿كَيْفَ﴾ هو ﴿يُنفِقُ﴾ ؛ لأن الشرط لا يعمل فيه ما قبله ، إنما العامل في ﴿كَيْفَ﴾ هو ﴿يَشَآءُ﴾ ؛ لأن ﴿كَيْفَ﴾ لها صدر الكلام ، وما كان له صدر الكلام لا يعمل فيه إلا حرف الجر أو المضاف[2] ، كما لا يصحّ أن نقول : إن جملة ﴿يُنفِقُ﴾ في محل نصب حال من (الهاء) في ﴿يَدَاهُ﴾ لسببين :

السبب الأوّل : أن (الهاء) مضاف إليها .

والسبب الثاني : أن الخبر ﴿مَبْسُوطَتَانِ﴾ يفصل بين (الهاء) وبين جملة ﴿يُنفِقُ﴾ ، كما لا يجوز أن تكون هذه الجملة ﴿يُنفِقُ﴾ حالاً من (اليدين) ، لأنه ليس فيها ضمير يعود إلى (اليدين) ، فلم يبق إذن إلا كونها في محل رفع خبر ثان لـ ﴿يَدَاهُ﴾ ، أو استئنافيّة[3] .

---

(١) انظر : المغني لابن هشام ص٢٧٠ .

(٢) انظر : المغني لابن هشام ص٢٧٠ ، ٢٧١ ، ومنار الهدى ص١٢٢ ، وحاشية الجمل ٥٠٨/١ ، ٥٠٩ .

(٣) انظر : إملاء ما منّ به الرحمن ٤٤١/٢ ، ٤٤٢ .

الوقف السابع والعشرون

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سُورَةِ المَائِدَةِ – الآية ٧٣)

المفردات :

﴿ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ : أي : أحد آلهة ثلاثة ، والاثنان الباقيان – على حد زعمهم – : عيسى وأمّه ، وقيل : عيسى وروح القدس ، وقيل المراد : جوهر واحد ثلاثة أقانيم : أب وابن وروح قدس ، والثلاثة إله واحد . وهذه كلّها اعتقادات باطلة لفرق من النصارى – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا – ﷻ تنزّه عن الولد والزوجة والشريك[1] .

المعنى العام :

يحكم المولى ﷻ بالكفر – وهو الحكم العدل – على النصارى الذين حرّفوا الإنجيل ، ولم يؤمنوا بخاتم المرسلين سيدنا **محمد** ﷺ وادّعوا ادّعاءات باطلة ، حيث قالوا مرة : المسيح ابن الله ، ومرة قالوا : إن الله ﷻ واحد من آلهة ثلاثة يشتركون في الألوهيّة – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا – والاثنان الباقيان : المسيح وروح القدس ،

---

(١) انظر : البحر المحيط ٣٣/٤ ، وقصص الأنبياء لابن كثير ص٥٤٠ ، وحاشية الجمل ٥١٣/١ .

أو جوهر واحد ثلاثة أقانيم : أب وابن وروح قدس ، وهذه الثلاثة إلــه واحد ، فردّ الله تعالى عليهم كفرهم هذا بأنه يستحيل بديهــة أن يكــون الثلاثة واحدًا أو الواحد ثلاثة ، ثم حذّرهم ﷻ من تماديهم في هذا الغَيّ وذاك الضلال ، مؤكّدًا ﷻ إن لم ينتهوا عن ذلك ، ويتوبوا ويرجعوا إلى الدين الحق ليدخلنهم جهنّم ، وبئس القرار .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ ، وسرّه : أنه ﷻ قد حكم بالكفر على النصارى القائلين : إن الله واحد من ثلاثة آلهة ، هم : الأب والابن والروح القدس – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا – ، وهنا يلزم الوقــف على ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ ؛ لأنه لو وصل بما بعده لتوهّم أن قوله : ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ من كلام النصارى القائلين بالتثليث ، وهذا غير مراد ، بل مستحيل ، لأن هذا من كلام الله ﷻ ردًّا عليهم ، ودحضًا لمفترياتهم[1] .

وعليه ، فجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ في محل نــصب مقــول القول ، و﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ تجب فيه الإضافة ، ولا يجوز نــصبه عنــد الجمهور ؛ لأنه معنى واحد من ثلاثة ، والسبب في ذلك أنه ليس فــي معنى ما يعمل ولا مفرعًا عن فعل ، خلافًا للأخفش وقطرب والكسائي وثعلب ، حيث أجازوا في مثله الإضافة ونصب الأول للثــاني ، كمــا

(١) انظر : الاقتداء لابن النكزاوي ٤١٦/١ تحقيق د/ محمد سعد ، ومنار الهدى ص١٢٣ .

يجوز في : ضارب زيد ، الإضافة والنصب .

هذا إذا أضيف العدد إلى ما يساويه كثالث ثلاثة ، و: ثاني اثنين ، أمّا إذا أضيف العدد إلى الأقل منه كرابع ثلاثة ، و: خامس أربعة ، بمعنى : مصير الثلاثة أربعة ، و: الأربعة خمسة ، فإن كان بمعنى الماضي جاز فيه الجر والنصب ، فالجر على الإضافة ، والنصب على معنى الفعل ، كأنه قال : كان القوم ثلاثة فربعهم ، وأربعة فخمسهم ، أو : أنا رابعهم غدًا[1] .

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ : (ما) نافية ، و﴿مِنْ﴾ صلة (زائدة) ، و﴿إِلَٰهٍ﴾ مبتدأ مرفوع بضمّة مقدّرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد ، و﴿إِلَٰهٌ﴾ بدل من موضع المبتدأ ﴿إِلَٰهٍ﴾ ، وقيل : بدل من الضمير في الخبر المحذوف ، والأصل : ما إله كائن في الوجود إلا إله واحد[2] .

ويرى السمين[3] أن جملة ﴿إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ خبر المبتدأ ﴿مِنْ إِلَٰهٍ﴾ ، وذلك على الاستثناء المفرغ ، كأنه قيل : ما إله إلا إله واحد

(1) انظر : معاني القرآن للفراء ٣١٧/١ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٩٦/٢ ، والبيان للأنباري ٣٠٢/١ ، وشرح الألفيّة للمرادي ٣١٨/٤ – ٣٢١ ، وشرح الأشموني ٧٣/٤ – ٧٥ .

(2) انظر : معاني القرآن للفراء ٣١٧/١ ، والبيان للأنباري ٣٠٢/١ ، وإملاء ما منّ به الرحمن ٤٤٨/٢ ، وحاشية الجمل ٥١٣/١ ، ٥١٤ .

(3) انظر : الدر المصون للسمين الحلبي ٣٧٥/٤ ، وحاشية الجمل ٥١٤/١ .



متّصف بالوحدانيّة ، هذا على رأي سيبويه والجمهور الذي يشترط لزيادة (من) تقدّم نفي أو نهي أو استفهام بـ (هل) ، وتنكير مجرورها ، وكونه فاعلاً أو مفعولاً به أو مبتدأ[1] .

أمّا الكوفيون والأخفش من البصريين فأجازوا زيادة (من) في الإيجاب ، وعليه ، فالكسائي يجيز في ﴿إِلَٰهٌ﴾ الثانية في الآية الاتّباع على اللفظ ، والتقدير : وما إله في الوجود إلا إله واحد ، وذلك على كون (من) للاستغراق غير زائدة[2] في هذه الآية عنده .

وقد استدلّ الكوفيون على مذهبهم بعدة أدلّة ، منها : قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[3] ، وآية أخرى : ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾[4] فيلزم في الآية الثانية كون ﴿مِّن﴾ زائدة مع عدم تقديم نفي وما يشبهه ، وإلا لتناقض حكم الآيتين ؛ لأن الأولى تدلّ على غفران جميع الذنوب ، بدليل تصدير الجملة الاسميّة بـ ﴿إِنَّ﴾ والتأكيد بـ ﴿جَمِيعًا﴾ ، ولا يعقل أن الثانية تدلّ على التبعيض . وقول العرب : " قد كان من مطر "[5] ، فالمراد : قد كان مطر ، وقد ردّ

---

(1) انظر : الكتاب ٢٢٤/٤ ، ٢٢٥ ، والمقتضب ٤٢/٤ ، والمغني لابن هشام ص٤٢٥ ، ٤٢٦ .
(2) انظر : البحر المحيط ٣٣٠/٤ .
(3) سورة الزمر – جزء من الآية ٥٣ .
(4) سورة إبراهيم – جزء من الآية ١٠ .
(5) انظر هذا القول في : شرح ابن الحاجب على كافيته ص٧٢٩ ، ٧٣٠ ، وشرح الرضى على الكافية ٢٦٨/٤ تحقيق د/ يوسف عمر ، وجواهر الأدب ص٣٤٤ ، والجني الداني ص٣١٨ ، والمغني ص٤٢٨ .

عليهم الجمهور بعدم التناقض لو جعلت ﴿مِّن﴾ غير زائدة ، ولأن التناقض يحدث لو كان المحكوم عليه في الآيتين واحدًا ، ولكنه غير واحد ؛ إذ غفران جميع الذنوب خاص بأمّة سيدنا **محمد** ﷺ ، وغفران بعض الذنوب لأمّة أخرى ، هم قوم نوح عليه السلام ، ولو سلم أن الغفران يكون لأمّة واحدة هي أمّة سيدنا **محمد** ﷺ فلا يلزم التناقض أيضًا ، لجواز أن يكون غفران جميع الذنوب لبعض الأمّة ، كالرسل عليهم السلام ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1] ، وغفران بعضها لبعض الأمّة الآخرين ممن تابوا وأنابوا[2] .

وأمّا قولهم : " قد كان من مطر " ، فيُردّ بأن (من) للتبعيض لا زائدة ، و(كان) تامّة فاعلها ضمير يعود إلى اسم فاعل يفهم منها ، و(من مطر) في محل نصب حال من الضمير المستكن في (كان) ، والتقدير : كان الكائن حالة كونه بعض مطر[3] .

****

(١) سورة الفتح – جزء من الآية ٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ١٨٧/٣ ، والكشاف ٥٤٢/٢ – ٥٤٤ – نشر دار : الريّان ، وشرح الرضى على الكافية ٢٦٨/٤ تحقيق د/ يوسف عمر ، وجواهر الأدب للإربلي ص٣٤٥ .

(٣) انظر المسألة في : الكتاب لسيبويه ٢٢٤/٤ ، ٤٢٥ ، والمقتضب ٤٢/٤ ، وشرح ابن الحاجب على كافيته ص٧٢٩ ، ٧٣٠ ، وشرح الرضى على الكافية ٢٦٨/٤ ، ٢٦٩ تحقيق د/ يوسف عمر ، وجواهر الأدب ص٣٤٤ – ٣٤٦ ، وشرح الألفيّة للمرادي ٣٠٢/٢ ، والجني الداني ص٣١٧ – ٣١٩ ، والمغني ص٤٢٥ – ٤٢٩ .

الوقف الثامن والعشرون

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (سُورَةِ الأَنْعَام – الآية ٢٠)

المفردات :

﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ : المراد : اليهود والنصارى .

﴿خَسِرُوٓا۟﴾ : الخُسْر والخُسْران : انتقاص رأس المال ، ويستعمل أيضًا في خُسْران الجاه وغيره من المقتنيات الخارجيّة ، وهو الأكثر ، ويستعمل أيضًا في المقتنيات النفسيّة ، كالصحّة والسّلامة والإيمان والثواب[١] ، وقيل : خسروا أنفسهم : غَبَنوها ، وذلك أنه ليس من مؤمن ولا كافر إلا له منزله في الجنّة وأهل وأزواج ، فمن أسلم سعد وصار إلى منزله وأهله في الجنّة ، ومن كفر صار منزله إلى من أسلم وسعد ، وبذلك يكون قد غَبَن نفسه[٢] .

المعنى العام :

يبيّن المولى ﷻ أنه قد بشّر في كل كتبه السماويّة السابقة على القرآن الكريم ، كالتوراة والإنجيل بالنبيّ الخاتم سيدنا **محمد بن عبد الله**

(١) انظر : مفردات الراغب (خ س ر) .
(٢) سورة الروم – جزء من الآية ٦ .



ﷺ ، وبيّن فيها صفته ، وحليته ، ونسبه ، ومهاجره ، فكان على أهل هذه الكتب المبادرة إلى الإيمان والإسلام ، ولكنهم جحدوا ذلك ، وأنكروه حسدًا وبَغْيًا مع تأكّدهم منه ، ومعرفتهم به آكد من معرفتهم أبناءهم ، وبذلك خابوا في الدنيا ، وخسروا يوم القيامة ، فلعنة الله على الظالمين .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾ حيث ذكر ﷻ أن أهل الكتاب يعرفون النبيّ سيدنا **محمدًا** ﷺ بصفته ، ونعته ، وحليته ، ونسبه ، الموجودة عندهم في التوراة والإنجيل ، وهذه المعرفة أشد وآكد من معرفة الواحد منهم ابنه ، وهنا يلزم الوقف على ﴿أَبْنَاءَهُمُ﴾ ثم الابتداء بجملة ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ ؛ لأنه لو وصل لكانت جملة ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا﴾ صفة للذين أُوتوا الكتاب ، فيكون الجميع محكومًا عليه بالخُسْران ؛ وهذا ليس بواقع ، فمنهم من مات قبل بعثة النبيّ ﷺ ، ومنهم من آمن به ، إنما الواقع والمراد : أن المحكوم عليهم بالخسران والهلاك هم الذين عاصروه وعرفوه ، ثم جحدوا ذلك ولم يؤمنوا به[1] ، ويكون المقصود بـ ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا﴾ العموم ، أي : أهل الكتاب

(١) انظر : إيضاح الوقف لابن الأنباري ص١٣٠ ، والقطع والائتناف لابن النحّاس ٢٢١/١ تحقيق د/ المطرودي ، والمكتفى لأبي عمرو الداني ص٢٤٨ ، والاقتداء لابن النكزاوي ٤٣١/١ تحقيق د/ محمد سعد ، ومنار الهدى ص١٢٨ .

والمشركون وغيرهم ممن لم يؤمنوا[١] .

وعليه ، فجملة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ في محل رفع مبتدأ خبره جملة ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾ والضمير يعود إلى سيدنا **محمد** ﷺ ، أو إلى القرآن الكريم المشار إليه قبل ذلك بقوله : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ ﴾[٢] ، أو إلى التوحيد المشار إليه قبل ذلك بقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[٢] ، وقيل : يعود على جميع الأشياء السابقة من الرسول ، والقرآن ، والإسلام ، وأفرد الضمير نظرًا إلى المعنى ، كأنه قيل : يعرفون ما ذكرنا وقصصنا[٣] .

و(الكاف) في ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ ﴾ في موضع نصب على أنها صفة لمصدر محذوف تقديره : يعرفونه عِرْفانًا مثل عِرْفان أبنائهم ، أو على أنها في موضع نصب على الحال من ضمير المعرفة المحذوف ، والتقدير : يعرفونه معرفة مماثلة لمعرفة أبنائهم[٤] ، ومثلها أيضًا جملة ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ ، فهي في محل رفع مبتدأ ، وجملة ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ في محل رفع خبر ، وأدخلت (الفاء) على الخبر ؛ لأن المبتدأ اسم موصول ، واسم الموصول فيه إبهام يشبه معنى الشرط ، ولذا أجاز

---

(١) انظر : البحر المحيط ٤/٤٦٣ .
(٢) سورة الأنعام – جزء من الآية ١٩ .
(٣) انظر : البحر المحيط ٤/٤٦١ ، ٤٦٢ ، وحاشية الجمل ٢/١٥ .
(٤) انظر : البحر المحيط ٢/٣٣ ، والمغني لابن هشام ص٢٣٦ ، ٢٣٧ .



النحاة دخول (الفاء) على خبر المبتدأ في مواضع ، منها : أن يتضمّن المبتدأ معنى الشرط ، وذلك إذا كان اسم موصول ، والصلة فعلاً كما هنا ، وكما في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[1] ، أو ظرفًا أو جارًّا ومجرورًا كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[2] ، أو كان المبتدأ نكرة موصوفة ، والصفة جملة فعليّة ، نحو : كُلّ رجل يأتيني فله جائزة ، أو جملة ظرفيّة أو جارًّا ومجرورًا ، نحو : كُلّ طالب في الفصل فله درهم ، وقولهم : " رجل يسعى في تجارته فلن يخيب " و: " رجل عنده حزم فسعيد "[3] .

هذا ، ويرى بعض العلماء أن الوقف على ﴿أَبْنَآءَهُمُ﴾ غير لازم ، بل جائز[4] .

وعليه ، فجملة ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ صفة لجملة ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ، وقيل : خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : هم الذين خسروا أنفسهم ، وقيل : في محل نصب لفعل محذوف تقديره :

(١) سورة البقرة – جزء من الآية ٢٧٤ .

(٢) سورة النحل – جزء من الآية ٥٣ .

(٣) انظر : المفصل للزمخشري ص٢٧ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١/١٠٠ ، والمنهل الصافي للدماميني ص٢١٦ ، وهمع الهوامع للسيوطي ١/١٠٩ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/٢٣٥ ، والاقتداء لابن النكزاوي ١/٤٣١ تحقيق د/ محمد سعد ، ومنار الهدى ص١٢٨ ، ١٢٩ .



أذم الذين خسروا .

وتكون جملة ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها من عطف الاسميّة على مثلها ، ولا يصحّ أن تكون معطوفة على ﴿خَسِرُوٓاْ﴾ ؛ لأنه يؤدّي إلى ترتّب عدم الإيمان على خسرانهم ، وهذا غير ظاهر ، بل الظاهر والمراد : أن خُسْرانهم مترتّب على عدم إيمانهم ، وعلى هذا الوجه الأخير يكون المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ ليس عامًّا ، بل خاص بأهل الكتاب ، وكأن التقدير : الذين خسروا أنفسهم من أهل الكتاب[1] .

****

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/٢٣٥ ، والبحر المحيط ٤/٤٦٣ ، وحاشية الجمل ٢/١٥ .

الوقف التاسع والعشرون

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾
(سُورَةِ الأَنْعَامِ – الآية ٣٦)

المفردات:

﴿يَسْتَجِيبُ﴾ : بمعنى (يجيب) ، وقيل : هناك فرق بين : استجاب وأجاب ، فـ (استجاب) فيه قبول لما دُعي إليه ، أمّا (أجاب) فكـذلك ، ولكن ربّما يجيب بالمخالفة وعدم الطاعة[1] .

﴿وَالْمَوْتَى﴾ : إمّا المراد بهم الموتى حقيقة ، أو الكفّار على سبيل الاستعارة ، وسر تشبيه الكفّار بالموتى : أن الكافر جسده كأنه خالٍ عن الروح ، فيظهر منه النّتْن والقيح وأنواع العُفونات ، فالأصلح له دفنـه تحت التراب كالميّت حقيقة ليوارى ذلك منه ، وروحه خالية عن العقل الواعي فيظهر منه جهله بالله تعالى ، ومخالفته لرسـله عليهم السلام وعـدم اتباعه لهم ، فيكون كالمجنون الذي لا يعقل ، فالأصـلح لـه حينئـذ : الحبس والتقييد[2] .

المعنى العام:

يخاطب الله تعالى رسوله سيدنا **محمدًا** ﷺ قائلاً : يا رسـول الله ،

(١) انظر : البحر المحيط ٤/٤٩٨ .
(٢) انظر : البحر المحيط ٤/٤٩٨ ، وحاشية الجمل ٢/٢٥ .

لا تُتعب نفسك ، ولا يحزن قلبك بسبب هؤلاء الكفرة الغِلاظ القلــوب ، الصم البكم ، الذين لا يعقلون ما يتلى عليهم ، أو يفهمون ما تقوله لهم ، واعلم أن من يستجيب لك هم المؤمنون الصادقون الذين نوّر الله تعالى بصائرهم ، وأرشدهم لما فيه فلاحهم وخيرهم في الدنيا والآخرة ، أمّــا الكافرون فهم أموات القلوب ، فهــم ﴿كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1] ، ولو أراد الله تعــالى أن يهديهم للإسلام لهداهم ، فهو ﷻ القادر علــى ذلك ، كما يقدر على بعث جميع من مات ، ويحاسب كُلاً على ما قــدّم من عمل يوم القيامة .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، *قوله تعالى* : ﴿يَسْمَعُونَ﴾ وذلك أنه ﷻ بيّن لرسوله سيدنا **محمد** ﷺ أنه عليه ألا يُرهق نفسه ، أو يحزن قلبه بسبب عدم إيمــان هؤلاء الكفرة من صناديد قريش ؛ لأن الذين يؤمنون ويستجيبون لك هم الذين نوّر الله تعالى بصائرهم ، وهداهم إلى الحقّ ، فهم الذين يستمعون حقًا ، ويبصرون صدقًا ، وهنا يلزم الوقف على ﴿يَسْمَعُونَ﴾ والابتداء بجملة ﴿وَالْمَوْتَى﴾ التي سيقت للإخبار بقدرته تعالى على إحياء الموتى من قبورهم بعد فناء أجسادهم ، ومن يقدر على ذلك فهو قادر علــى أن يحيي قلوب الكفرة الميّتة ، فتسمع آذانهم الصمّاء ، وتبــصر عيــونهم

(١) سورة الفرقان – جزء من الآية ٤٤ .



العميــاء ، فيؤمنون بك يا رسول الله ، فلا تتأسّف على من لم يــؤمن منهم ؛ ولو وصل لتوهّم أنها جملة واحدة ، لكنهما في الحقيقة جملتان : **الأولى** : سيقت للإخبار عن المؤمنين الذين آمنوا ، **والثانيــة** : ســيقت للإخبار عن الكفرة الذين لم يؤمنوا ، كأنــه قـــال : إنمـا يــستجيب السامعون ، والذين لا يستجيبون ، ولا يسمعون يبعـــثهم الله ، ويحيــي قلوبهم إن أراد[1] .

وعلى هذا فجملـــة ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ : (الـــواو) اســـتئنافيّة ، و﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ مبتدأ ، و﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ جملة في محل رفع خبر المبتدأ ، والجملة استئنافيّة لا محل لها من الإعراب[2] .

هـــذا ، ويرى بعض العلماء أن الوقف علـــى ﴿يَسْمَعُونَ﴾ لـــيس بلازم ، إنما جائز[3] .

وعلى هذا فـــ ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ منصوب على الاشتغال بفعل مـــضمر يفسّره ما بعده ، والتقدير : ويبعث الله تعالى الموتى يبعثهم ، فهو مثّل : مررت بزيد وعمرًا كلّمتـــه ، فالتقـــدير : وكلّمـــت عمـــرًا ، وقيـــل :

---

(١) انظر : إيضاح الوقف لابن الأنباري ص٦٣٢ ، والقطع والائتنـــاف لابـــن النحّـــاس ٢٢٢/١ تحقيق د/ المطرودي ، والمكتفى لأبي عمرو الداني ص٢٥ ، وحاشية الجمل ٢٥/٢ ، والاقتداء لابن النكزاوي ٤٣٤/١ تحقيق د/ محمد سعد .

(٢) انظر : البحر المحيط ٤٩٩/٤ ، وإملاء ما منّ به الرحمن ٥٣٥/٢ .

(٣) انظر : منار الهدى ص١٣٠ .

﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ معطوف بـ (الواو) عطف نسق على اسم الموصول قبله ، وجملة ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ في محل نصب على الحاليّة ، ويكون المعنى : إنما يستجيب المؤمنون السامعون ، والكافرون الذين يحييهم الله تعالى بالإيمان ، ويوفقهم له .

هذا ، ويبدو أن الراجح في الإعرابين الأخيرين ، هو الأول من النصب على الاشتغال ، لأن فيه عطف جملة فعليّة على مثلها ، وتناسب المتعاطفين أحسن من تخالفهما[1] ، علاوة على أن المعنى في حالة إعراب ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ معطوف عطف نسق على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ يبعده قوله : ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[2] .

هذا ، وأرجّح ما رجّحه العلاّمة أبو حيّان الأندلسي من أن الأحسن هو الوقف ، والابتداء بالجملة المستقلّة ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ ، ويكون المراد بالموت والبعث هنا حقيقتهما المعروفة لا المجازيّة من الكفر والإسلام ، يعضد ذلك أن الحصر والقصر بـ ﴿إِنَّمَا﴾ في قوله : ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ يفهم منه ويشعر بالقسم الآخر ، كأنه قال : إنما يستجيب الذين يسمعون سماع قَبُول وإصغاء ، ومن لا يسمع

(١) انظر : شرح الألفيّة للمرادي ٢/٤٢ ، وشرح الأشموني ٢/٧٩ .
(٢) انظر : البيان للأنباري ١/٣٢٠ ، وإملاء ما منّ به الرحمن ٢/٥٣٥ ، وحاشية الجمل ٢/٢٥ ، ٢٦ .

سماع قبول وإصغاء لا يستجيب للإيمان ، وهم الكفّار ، ثم جاء بعد ذلك لفظ ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ عامًّا يدخل فيه المستجيب وغير المستجيب ، ليكـــون مقابلاً لما قبله المشعر بالعموم ، ويكون السر في ذلك : التهديد والوعيد الشديدان لمن لم يستجب ويؤمن ، وكأنه ﷻ يقول لهـــم : أنـــتم وذاك ، فأمامكم طريق الإيمان ، وطريق الكفر ، لكن تأكّدوا أنّكـــم جميعًـــا – مؤمنين وكافرين – ستموتون ، وسأبعثكم مرّة ثانيـــة بعـــد ممـــاتكم ، وأجازي كُلاً منكم على عمله ، فالمؤمن له الجنّات والنعـــيم المقـــيم ، والكافر له النيران والعذاب الأليم[1] .

****

(١) بتصرف : البحر المحيط ٤/٤٩٨ ، ٤٩٩ .

الوقف الثلاثون

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(سُورَةِ الأَنْعَامِ – الآية ٨١)

المفردات :

﴿ سُلْطَٰنًا ﴾ : حُجّة وبُرْهانًا[1] .

المعنى العام :

من سُنّة الله في خلقه أنه جعل لكلّ نبيّ عدوًا ، بل أعداء ، يجادلونه ويؤذونه ، فيجادلهم ويصبر على أذاهم ، ثم ينصره الله تعالى عليهم ، ومنهم : الخليل إبراهيم عليه السلام فقد حاجّه قومه ، وخوّفوه بآلهتهم ، وأنها ستضرّه إن لم يرجع عن سبّها ، وتسفيه عقولهم ، فقال لهم : كيف أخاف آلهة صُنعت من خشب وأحجار لا تملك لنفسها – فضلاً عن غيرها – نفعًا ولا ضرًّا ، ولا تخافون أنتم الواحد القهّار الذي بيده النفع والضرّ ، وتشركون معه هذه الآلهة التي صنعتموها بأيديكم ، فمن منّا أحق بالأمن والأمان من الضرر والعذاب ؟ أنحن الذين عرفنا الله تعالى ، وأفردناه بالعبادة ، أم أنتم الذين كفرتم به وأشركتم معه غيره ؟!

---

(١) انظر : البحر المحيط ٤/٥٧٠ ، ومختار الصحاح (س ل ط) .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله تعالى : ﴿أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ﴾ ، وذلك لأنه بعد أن ذكر ربّ العزّة ﷻ هذا الحوار الذي دار بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وقومه ، وطرحه هذا السؤال عليهم : أيّنا أحق بالأمن ؟ يلزم الوقف على ﴿أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ﴾ والابتداء بالجملة الشرطيّة بعده ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ ؛ لأنه لو وصل لتوهّم أن كون المؤمنين أحق بالأمن مشروط بعلمهم ذلك ، وهذا غير مراد ، فالمؤمنون أحق بالأمن من العقوبة والعذاب في الدنيا والآخرة ، سواء أعلم المشركون ذلك أم لم يعلموه .

وعليه فـ ﴿إِن﴾ شرطيّة جوابها محذوف تقديره : إن كنتم من ذوي العلم والاستبصار فأخبروني أيّ هذين الفريقين أحق بالأمن ؟[١] وقيل : إن تقدير الجواب : إن كنتم تعلمون من الأحق به فاتّبعوه[٢] .

****

---

(١) انظر : البحر المحيط ٤/٥٧٠ ، ٥٧١ ، ومنار الهدى ص١٣٣ .
(٢) انظر : حاشية الجمل ٢/٥٦ .



الوقف الحادي والثلاثون

﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴾ (سُورَةُ الأَنْعَامِ – الآية ١٢٤)

المفردات :

﴿أَجْرَمُوا۟﴾ : ارتكبوا الجُرْم وهو الذنب العظيم ، كالإشراك بـــالله تعالى ، وأصل الجُرْم : قطع الثمرة عن الشجر ، والمراد هنـــا : مـــا ارتكبوه من قولهم : ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾[١] .

﴿صَغَارٌ﴾ : الذُّلّ والهوان في الدنيا بالقتل والأسر ، وفي الآخرة بالعذاب الشديد والخلود في جهنّم[٢] .

﴿يَمْكُرُونَ﴾ : المكر : صرف الغير عمّا يقصده بحيلة وتلطّف ، وخبث ودهاء[٣] .

المعنى العام :

إن المشركين من كفّار مكّة – وبخاصة صناديدهم – طغـــوا فـــي الكفر والعِناد ، فتارة يستهزئون برسول الله ﷺ ، وتارة يتمنّون نـــزول

---

(١) انظر : مفردات الراغب ، واللسان (ج ر م) .
(٢) انظر : مفردات الراغب ، واللسان (ص غ ر) ، والبحر المحيط ٦٣٨/٤ .
(٣) انظر : مفردات الراغب ، واللسان (م ك ر) .

القرآن على رجل كبير فيهم ذي مال وبنين ، وتارة يعلّقون إيمانهم على شريطة أن تُنزل عليهم الملائكة ، وتقع على أيـديهم المعجـزات كمـا وقعت لرسل الله ، كل ذلك عِنادًا ومُكابرة ، وخوفًا مـن ذهـاب زعامتهم الباطلة ، ورئاستهم المزعومة .

فردّ الله تعالى عليهم أباطيلهم تلك ، وقطع أمانيهم ؛ لأنه ﷻ عـالم بمن يستحق نزول الرسالة عليه ، وفي أي زمان ومكان ؟ وأي النـاس سينصرونه ؟ وقد اختار لذلك خير خلقه سيدنا **محمد بن عبـد الله** ﷺ وصحابته الأجلاّء ، أمّا أنتم أيها المشركون المعانـدون المتكبّـرون ، فسيصيبكم بسبب مكركم ذلك وتجبّركم ذُلّ وهوان فـي الـدنيا بالقتـل والأسر ، على يد رسول الله **محمد** ﷺ وأصحابه – وقد كان ذلك فـي غزوة بدر الكبرى – علاوة على ما ينتظركم من عذاب شديد في نـار جهنّم يوم القيامة .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ ، وذلك أنه ﷻ حكى ما قال بعض أكابر المشركين من تعليقهم الإيمان برسول الله ﷺ على إتيانهم مثلمـا أُوتي من المعجزات ، وهنا يلزم الوقف على نهاية كلامهم المحكى ، ثم الابتداء بجملة ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ ...﴾ التي جـاءت ردًا علـيهم ، ودحـضًا لأمانيهم ؛ لأنه ﷻ يعلم من يستحق الرسالة من خلقه ، وأين ومتى يكون وقد وضعها فيمن اختاره لها ، وهو سيدنا **محمد** ﷺ ، ثم أوعدهم بالذّلّ والصَّغار ، والعذاب والنّكال ، بسبب تكذيبهم ومكرهم ، ولـو وصـل

لتوهّم أن جملة ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾ من جملة الكلام المحكي عن الكفّار وليس كذلك ، إنما هو ردّ عليهم ، لكن يبقى سؤال من العزيز الحكيم ﷻ[1] .

هذا ، وقد اختلف العلماء في ﴿حَيۡثُ﴾ هنا ، أهي باقيــة علـــى ظرفيّتها المعهودة ، أم خرجت عنها ؟

فقال الفارسي[2] ، وابن عطيّة[3] ، والعُكْبَــرِي[4] ، والحَــوفي[5] ، والتبريزي[6] : " ﴿حَيۡثُ﴾ لا يمكن هنا إقرارها على الظرفيّة ، لأنه تعالى لا يكون في مكان أعلم منه في مكان آخر ، فعلمه تعالى لا يختلف باختلاف الأمكنة ، أو الأزمنة ، وإذا كان الأمر كذلك كانت ﴿حَيۡثُ﴾ هنا مفعولاً بــه على السّعــة ، لكن يبقى سؤال ، هــو : أين الناصب لــ ﴿حَيۡثُ﴾ ؟ لأنه لا يصح أن نقول : إن الناصب ﴿أَعۡلَمُ﴾ ؛ لأنه أفعل تفضيل ، وأفعل التفضيل لا ينصب مفعولاً به صريحًا .

فأجاب بعضهم بأن أفعل التفضيل هنا خرج عن معنى التفــضيل ،

---

(١) انظر : إيضاح الوقف لابن الأنباري ص٦٤٤ ، والقطع والائتنــاف لابــن النحّــاس ٢٣٧/١ تحقيق د/ المطرودي ، والمكتفى للداني ص٢٥٩ ، والاقتداء لابن النكزاوي ٤٥٨/١ تحقيق د/ محمد سعد ، والبحر المحيط ٦٣٧/٤ ، ومنــار الهــدى لأحمــد الأشموني ص١٣٧ .

(٢) انظر : الشعر للفارسي ١٨٧/١ وما بعدها ، والمغني ص١٧٦ ، والمنهل الصافي ص١٩ .

(٣) انظر : المحرر الوجيز ١٤٤/٦ ، والبحر المحيط ٦٨٣/٤ .

(٤) انظر : إملاء ما منّ به الرحمن ٦٣٤/٢ .

(٥) انظر : البحر المحيط ٦٣٧/٤ .

(٦) انظر : شرح الكافية للتبريزي ٣٤٧/٢ تحقيق د/ توفيق الوحيــدي ، والمجيــد فــي إعراب القرآن للسفاقسي ٩٧٦/١ تحقيق د/ عبد العزيز أحمد .



فهو بمعنى اسم الفاعل أو الصفة المشبهة ، أي : الله عـالم أو علـيم ، نحو : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[1] ، أي : هيّن ، وعليه فـ ﴿أَعْلَمُ﴾ هو الناصب لـ ﴿حَيْثُ﴾[2] ، وقـدّره بعضهم كالعكبري[3] ، وابن عطيّة[4] ، فعلاً محذوفًا دلّ عليه ﴿أَعْلَمُ﴾ والتقدير : الله تعـالى أعلم يعلـم حيـث يجعـل رسـالاته ، وقـال السفاقسي[5] : " إن ﴿حَيْثُ﴾ لم تخرج عـن الظرفيّة ، إنمـا باقيـة عليها ، والإشكال إنما يرد من حيث مفهوم الظرف ، وكم من موضـع تُرك فيه المفهوم لقيام الدليل عليه ، ولاسيما قد قام في هـذا الموضـع الدليل القاطع على ذلك ، وأن المراد ليس أنه ﷻ لا يكون فـي مكـان أعلم منه في مكان آخر " .

وقال أبو حيّان[6] : " إن ﴿حَيْثُ﴾ باقية على الظرفيّة المجازيّة ، ولم تخرج عن ذلك ، وتضمن ﴿أَعْلَمُ﴾ معنى ما يتعدّى إلى الظـرف فيكون التقدير : الله تعالى أنفذ علمًا حيث يجعل رسالاته ، أي : هو نافذ

---

(١) سورة الروم – جزء من الآية ٢٧ .. وانظر : معـاني القـرآن وإعرابـه للزجـاج ١٨٣/٤ ، ١٨٤ .
(٢) انظر : حاشية الجمل ٨٧/٢ .
(٣) انظر : إملاء ما منّ به الرحمن ٦٣٤/٢ .
(٤) انظر : المحرر الوجيز ١٤٤/٦ ، والبحر المحيط ٦٣٨/٤ .
(٥) انظر : المجيد في إعراب القرآن للسفاقسي ٩٧٦/١ ، ٩٧٧ تحقيق د/ عبد العزيـز أحمد ، وحاشية الجمل ٨٧/٢ .
(٦) انظر : البحر المحيط ٦٣٨/٤ .

العلم في الموضع الذي يجعل فيه رسالته ... " .

هذا ، وأميل إلى ما ذكره أبو حيّان من بقائها على الظرفيّة المجازيّة ، وتضمن ﴿أَعۡلَمُ﴾ معنى ما يتعدّى إلى الظرف ، وذلك لوجاهة هذا التوجيه ، مع ما فيه من بقاء ﴿حَيۡثُ﴾ على ظرفيّتها ، والتضمين باب واسع في لغة الضاد ، يؤكّد هذا أن النحاة قد نصّوا على أن ﴿حَيۡثُ﴾ من الظروف التي لا تتصرف غالبًا ، وحكموا بندور إضافة (لدى) إليها ، أو جرّها بـ (إلى) أو (في) أو (على) ، وقالوا أيضًا : إن الظرف الذي يتوسّع فيه لا يكون إلا متصرفًا[1] .

****

---

(1) انظر : البحر المحيط ٦٣٨/٤ ، وارتشاف الضرب ٢٦٠/٢ ، ٢٦١ ، وشرح التسهيل لابن مالك ٢٣٢/٢ ، والمساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل ٥٢٥/١ ، والمغني ص١٧٦ ، والهمع ٢١٢/١ ، وحاشية يس على التصريح ٣٩/٢ .



الوقف الثاني والثلاثون

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًاۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾

(سُورَةُ الأَعْرَافِ – الآية ١٤٨)

المفردات :

﴿حُلِيِّهِمْ﴾ : جمع (حَلْي) ، وهو ما تتحلّى به المرأة من الذهب ، وأصله (حُلُوْي) ، اجتمعت (الواو) و(الياء) وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت (الواو) (ياء) ، ثم أدغمت في (الياء) ، ثم كُسر ما قبلها(١) .

﴿خُوَارٌ﴾ : صوت البقر خاصّة ، وربما استعير للبعير(٢) .

المعنى العام :

حين ذهب سيدنا موسى عليه السلام لمناجاة ربّه أخلف على قومه أخاه هارون ، ولكن حدث أنهم ضلّوا ، حيث كان عندهم ذهب استعاروه من قِبْط مصر ، فبقي عندهم بعد إغراق فرعون وقومه ، فصنع لهم السامريّ منه عجلاً ، واحتال في صنعه ، حيث جعل في جوفه أنابيب يدخل فيها الهواء فيحدث صوتًا يشبه صوت خُوار البقر الحقيقي !

---

(١) انظر : البحر المحيط ١٧٧/٥ ، ومفردات الراغب ، ومختار الصحاح (ح ل ي) ، وحاشية الجمل ١٩١/٢ .

(٢) انظر : مفردات الراغب ، ولسان العرب (خ و ر) .

ففتن به بعض يهود ، وعبدوه إلهًا من دون الله تعالى في غياب نبي الله سيدنا موسى عليه السلام ومع علمهم أنه جسد من ذهب لا يتكلّم ولا ينفع ولا يضرّ ، ومع ذلك عبدوه ، واتّخذوه إلهًا لهم من دون الله تعالى ، وبذلك ظلموا أنفسهم حيث أشركوا مع الله تعالى إلهًا آخر ، هو هذا العجل الذهبي – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا – .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿سَبِيلًا﴾ ، وذلك أنه ﷻ يذكر ما حدث من قوم سيدنا موسى عليه السلام بعد أن ذهب لميقات ربّه ، وأخلف عليهم أخاه هارون ، ولكنّهم ضلّوا الطريق حيث صنع لهم السامريّ عجلاً من ذهب ، له خُوار كخُوار البقر ، فعبدوه من دون الله تعالى مع علمهم أنه جسد لا ينفع ولا يضر ، وهذا من جهلهم وعمى قلوبهم ، وهنا يلزم الوقف على ﴿سَبِيلًا﴾ لأنه نهاية قصّة ما فعلوه من اتّخاذ العجل وعبادته ، ثم الابتداء بجملة ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ ؛ لأنه لو وصل لصارت جملة ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ صفة لـ ﴿سَبِيلًا﴾ ، وهذا ليس بمراد ، لأن (الهاء) في ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ ضمير عائد على العجل[1] .

وعلى هذا فـ (اتّخذ) من الأفعال التي تنصب مفعولين ، **أولهما** :

---

(١) انظر : إيضاح الوقف لابن الأنباري ص٦٦٦ ، والقطع والائتناف لابن النحّاس ١/٢٦٢ تحقيق د/ المطرودي ، والاقتداء لابن النكزاوي ١/٥٠٠ تحقيق د/ محمد سعد ، ومنار الهدى ص١٥١ .

﴿عِجْلًا﴾ ، **وثانيهما** : محذوف تقديره : إلهًا ، و﴿ جَسَدًا ﴾ نعت أو بدل أو عطف بيان ، والراجح أنه بدل ؛ لأن جملة ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ في محل نصب نعت لـ ﴿عِجْلًا﴾ ، والقاعدة أنه : " **إذا اجتمع النعت والبدل قدّم النعت على البدل** "[1] ، و﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ متعلّق بمحذوف صفة لـ ﴿عِجْلًا﴾ تقدّمت عليه فصارت حالاً ، كقول الشاعر :

لِمَيَّةَ موحِشًا طَلَلُ ∴ يلوحُ كأنه خِلَلُ[2]

فحين تقدّمت (موحِشًا) الصفة على الموصوف (طَلَلُ) نصبت على الحال ، وقيل : ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ متعلّق بالفعل ﴿ وَٱتَّخَذَ ﴾ ، و﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي ، و﴿ يَرَوْا۟ ﴾ مجزوم بـ (لم) ، وجملة ﴿لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ في محل رفع خبر (أن) ، وجملة ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ معطوفة على الجملة الفعليّة قبلها ، و(الواو) في ﴿وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ عاطفة[3] ، وأجاز ابن عطيّة كونها حاليّة[4] .

---

(١) انظر : شرح الرضي على الكافية ٣٩٤/٢ تحقيق د/ يوسف عمر ، والمنهل الصافي ص٥١٣ ، ٥١٤ ، وشرح الأشموني ٥٨/٣ ، والهمع ١١٥/٢ .

(٢) مرّ التعليق عليه ص٩٩ الوقف العشرون .

(٣) انظر : إملاء ما منّ به الرحمن ٦٣/٣ ، ٦٤ ، والبحر المحيط ١٧٥/٥ - ١٧٨ ، وحاشية الجمل ١٩١/٢ ، ١٩٢ ، والجدول في إعراب القرآن وصرفه لمحمود صافي ٦٩/٩ - ٧١ .

(٤) انظر : المحرر الوجيز ١٦٤/٧ .



الوقف الثالث والثلاثون

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾
(سُورَةُ الأَعْرَافِ – الآية ١٨٤)

المفردات :

﴿يَتَفَكَّرُوا﴾ : الفِكْر والفِكْرة : قوّة مُطْرِقة للعلم إلى المعلوم ، والتفكير : جَوَلان تلك القوّة بحسب نظر العقل ، وهذا خاصّ ببني الإنسان ، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب(١) .

﴿جِنَّةٍ﴾ : جَنّ الشيء يَجُنّه جَنًّا أي : ستره عن الحاسة الباصرة ، ولذا أطلق على (الجن) ؛ لاستتارهم عنّا ، وأطلق على (الجنين) في بطن أمّه ، وعلى (الجنان) القلب ، وعلى (الجنون) و(الجنّة) ؛ لأنه حائل بين النفس والعقل ، وقيل : سُمّي بذلك لإصابة جَنانه ، أي : قلبه وقيل : لأن (الجن) قد أصابته ، فجُنّ عقله ، و(جُن) من الأفعال الملازمة للمجهول كـ : (زُكم) و(حُم) و(زُهي) و(عُني) بحاجتك(٢) .

المعنى العام :

لما كان بعض الجُهّال الأغبياء من مشركي مكّة يرون فعل رسول الله ﷺ مخالفًا لأفعالهم ، لإقباله ﷺ على الآخرة ، وإعراضه عن الدنيا

---

(١) انظر : مفردات الراغب (ف ك ر) .
(٢) انظر : مفردات الراغب ، ولسان العرب (ج ن ن) .



أو لقيامه ﷺ ذات ليلة على جبل الصفا يدعو أفخاذ قريش ، واحدًا واحدًا : يا بني فلان ، يا بني فلان ، ينذرهم ويحذرهم بأس الله تعالى وعقابه ، وينهاهم عن عبادة الأوثان ، ويحثّهم على الإيمان بالواحد الديّان ، وبات ليلته هكذا حتى أصبح ، أو لما كان يغشاه ﷺ من حالة عجيبة عند نزول الوحي عليه ، فيتغيّر وجهه ، ويصفر لونه ، وتعرض له حالة شبيهة بالغشى ، حينئذ اتّهموه جهلاً وزورًا بأنه مجنون – وحاشا لرسول الله ﷺ عن ذلك – ، وكان عليهم التفكّر والتأمّل قبل إفكهم هذا ، لأنهم كانوا يعلمون صفاته الطيّبة قبل البعثة ، وكانوا ينعتونه بـ (الصادق الأمين) ، وبعد البعثة لم يتغيّر عن ذلك ، ولم يجرّبوا عليه كذبًا قط ، وكان يدعوهم إلى الوحدانيّة بالدلائل القاطعة ، والبراهين الساطعة ، بألفاظ فصيحة من كتاب معجز لم يستطيعوا معارضته[1] .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ ﴾ ، وذلك حين رمى بعض المشركين كذبًا وزورًا رسول الله ﷺ بأن به مسًّا من الجنون ، لما رأوه من بعض أفعاله التي لم يشهدوها ، أو لما أمرهم به من عبادة الله تعالى وحده ، وترك عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ، وبّخهم القرآن ، وحثّهم على التدبّر والتروّي فيما قالوا ، لعلّهم يعودون إلى صوابهم ،

(1) أفدت مما كتبه الإمام الرازي في مفاتيح الغيب ٣٨٠/٧ ، ٣٨١ – نشر دار الغد .

ويثوبون إلى رشدهم ، ويعلمون أن ما جاءهم به هو الحقّ الصُراح ، والهدى والفلاح ، وهنا يلزم الوقف على ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ لتمام المعنى ، وكأنّ هنا – والله تعالى أعلم – معطوفًا عليه محذوفًا تقديره : أعَمَت بصائرهم ولم يتفكّروا ؟[1] ثم الابتداء بجملة ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ ، وقد قال بتمام هذا الوقف ولزومه كثير من علماء الوقف والابتداء ، كابن النحّاس ، والداني ، وابن النكزاوي ، والأشموني[2] ، وأشار إليه من المفسّرين والمعربين : ابن عطيّة ، والقرطبي ، وأبو حيّان ، والسمين ، والشوكاني[3] .

وعليه فـ ﴿ مَا ﴾ في ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ يجوز فيها وجهان:

الوجه الأوّل : أن تكون استفهاميّة – والاستفهام للإنكار – في محل رفع مبتدأ ، والخبر الجار والمجرور ﴿ بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ المتعلّقان بمحذوف ، والتقدير : أيّ شيء استقر بصاحبهم من الجنون ؟!

---

(١) تقدير معطوف عليه محذوف بعد همزة الاستفهام الداخلة على جملة معطوفة بـ (الواو) ، أو بـ (الفاء) ، أو بـ (ثم) ، مذهب الزمخشري ، وجزم به في مواضع ، نحو : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا ﴾ أي : أمكثوا فلم يسيروا ؟ ، ونحو : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ (سورة الزخرف – جزء من الآية ٥) أي : أنهملكم فنضرب ؟ راجع : المغني لابن هشام ص٢٢ ، ٢٣ .

(٢) انظر : القطع لابن النحّاس ٢٦٧/١ ، والمكتفى ص٢٨١ ، والاقتداء ٥٠٧/١ تحقيق د/ محمد سعد المرسي ، ومنار الهدى ص١٥٤ .

(٣) انظر : المحرر الوجيز ٤٨٢/٢ تحقيق أ/ عبد السلام ، والجامع ٢٣٠/٧ ، والبحر المحيط ٢٣٤/٥ ، والدر المصون ٥٢٥/٥ ، وفتح القدير ٣٨١/٢ .



والوجه الثاني : أن تكون نافية عاملة عمل (ليس) ، واسمها ﴿جِنَّةٍ﴾ المجرور لفظًا المرفوع محلاً ، و﴿مِّن﴾ صلة ، وخبرها ﴿بِصَاحِبِهِم﴾ ، والتقدير : ليس بصاحبهم شيء من الجنون ، أو غير عاملة فيكون ما بعدها مبتدأ وخبر[1] ، والراجح كونها نافية عاملة عمل (ليس) ؛ لأنه يكون ردًا لقولهم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[2] ، ويعضد الوقف اللازم على ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ ويكون من الوقوف الحسنة[3] .

****

(١) انظر : التبيان ٦٠٥/١ ، والبحر المحيط ٢٣٤/٥ ، والدر المصون ٥٢٥/٥ ، ٥٢٦ ، وحاشية الجمل ٢١٥/٢ ، وإعراب القرآن للدرويش ٨٢/٣ .

(٢) سورة الحجر – جزء من الآية ٦ .

(٣) انظر : فتح القدير ٣٨١/٢ .



الوقف الرابع والثلاثون

﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾
(سُورَةِ التَّوْبَةِ – الآية ١٥)

المفردات :

﴿غَيْظَ﴾ : الغيظ : أشد من الغضب ، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان المغيظ من فوران دم قلبه ، وقد حضّ الله تعالى المسلمين على كظم الغيظ ، وعدم الانتقام ، ووعدهم على ذلك المغفرة والجنّة[1] .

المعنى العام :

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بجهاد الكفّار وقتالهم دفاعًا عن دينه ، ووعدهم إحدى الحسنيين : النصر والظفر ، أو الشهادة والجنّة ، وفي هذه الآية الكريمة والتي قبلها جاء بالوعد بالفوز والغلبة ، وبعذاب الكافرين بالقتل والهلاك ، وخزيهم بالأسر والهوان ، وبذلك يفرح المؤمنون ، وتُسر قلوبهم ، ويذهب عنها الغضب والغيظ ، وهو – عزّ شأنه – المتفضّل على عباده بقبول توبتهم ، الحكيم في أفعاله ، العليم بما ينفع عباده .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ ﴾ لأنه ﷻ بعد أن

---

(١) انظر : مفردات الراغب ، واللسان (غ ي ظ) .

بيّن ما يترتّب على قتال الكافرين ، من تعذيبهم بالقتل وخزيهم بالأسر والذّلّ ، وبذلك يشفي الله تعالى صدور المؤمنين بإدراك ثأرهم ، ويُذهب عنها الغيظ الذي نالها من الكافرين ، وهنا يلزم الوقف على ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ لتمام المعنى عنده ، ثم الابتداء بـ ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ ...﴾ ولم يُجمع علماء الوقف والابتداء على التمام في هذا الوقف ، بل جوّزوا فيه التمام والكفاية ، من هؤلاء : الداني ، حيث قال[1] : " ﴿غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كاف ، وقيل : تام " ، وابن النكزاوي ، حيث قال[2] : " ﴿غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كاف ، وقيل : تام على القراءة المشهورة[3] في قوله : ﴿وَيَتُوبُ ...﴾ بالرفع " ، والراجح أنه وقف تام ؛ لتمام المعنى عنده ، لأن التوبة منه ﷻ ليست مسببة عن قتالهم ، ولا وجه لتعليقها بـ ﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾[4] ، وقد حدث بعد فتح مكّة أنه أسلم ناس كثيرون[5] .

ويوضّح ذلك ابن جني ؒ حيث يقول[6] : " والوجه قراءة

(١) انظر : المكتفى ص٢٩٢ .
(٢) انظر : الاقتداء ٥٣٥/١ تحقيق د/ محمد سعد المرسي .
(٣) يقصد بها القراءة المتواترة بالرفع ؛ لأن ابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي والأعرج وآخرين قرأوا : ﴿وَيَتُوبَ﴾ بالنصب ، وذلك على إضمار (أن) وجوبًا بعد (واو المعية) ، وتكون التوبة داخلة في جواب الأمر .. راجع : المحتسب ٢٨٤/١ ، ٢٨٥ ، والجامع ٨٧/٨ ، والبحر المحيط ٣٨٣/٥ ، والدر المصون ٢٧/٦ ، ٢٨ ، وكتابي التوجيهات النحويّة والصرفيّة لقراءة ابن أبي إسحاق ص٦١ ، ٦٢ .
(٤) سورة التوبة – جزء من الآية ١٤ .
(٥) انظر : الدر المصون ٢٧/٦ .
(٦) انظر : المحتسب لابن جني ٢٨٥/١ .

الجماعة على الاستئناف ؛ لأنه تم الكلام على قوله تعالى : ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ ، ثم استأنف فقال : ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ ، فالتوبة منه ﷻ على من يشاء ليست مسبّبة عن قتالهم ، هذا هو الظاهر ؛ لأن هذا حال موجود من الله تعالى قاتلوهم أو لم يقاتلوهم ، فلا وجه لتعليقها بـ ﴿قَٰتِلُوهُمْ ﴾[1] ، فإن ذهبت تعلّق هذه التوبة بقتالهم إيّاهم كان فيه ضرب من التعسّف بالمعنى " ، وقد سبق ابن جني رحمه الله إلى الإشارة إلى مضمون هذا الكلام ، وأن الرفع في الآية على الاستئناف ، الفراء[2] والزجاج[3] رحمهما الله وتابعهم في ذلك كثير من العلماء الذين أشاروا إلى التمام في ﴿قُلُوبِهِمْ ﴾ والاستئناف في ﴿وَيَتُوبُ ﴾ كالزمخشري ، وابن عطيّة ، والرازي ، والعكبري ، وأبي حيّان ، والسمين الحلبي ، والجمل ، والشوكاني[4] .

وعليه ، فـ (الواو) للاستئناف ، و﴿وَيَتُوبُ ﴾ مضارع مرفوع لتجرّده عن الناصب والجازم ، ولفظ الجلالة فاعل ، والجملة استئنافيّة لا محل لها من الإعراب .

(١) سورة التوبة – جزء من الآية ١٤ .
(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٤٢٦/١ .
(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٣٧/٢ .
(٤) انظر : الكشاف ١٤٢/٢ – نشر : دار المعرفة ، والمحرر ١٤/٣ تحقيق أ/ عبد السلام ، ومفاتيح الغيب للرازي ٥٩١/٧ – نشر دار الغد ، والتبيان ٦٣٨/٢ ، والبحر المحيط ٣٨٣/٥ ، والدر المصون ٢٧/٦ ، وحاشية الجمل ٢٦٩/٢ ، وفتح القدير للشوكاني ٤٨٠/٢ .



الوقف الخامس والثلاثون

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (سُورَةُ التَّوْبَةِ – الآية ٧٢)

المعنى العام :

وعد الله تعالى – ولا يخلف الله وعده – كلّ مؤمن ومؤمنة الجنّات الواسعات ، والمساكن الطيّبات التي تجري من تحتها الأنهار المتنوّعة : من اللبن السائغ الحلو المذاق ، ومن العسل المُصفّى ، ... ، وفيها من كل الثمرات ، وهم خالدون فيها ، لا يتحوّلون عنها ، يتنعّمون بخيراتها ، لا يكدر صفوهم فيها شيء ، ولا يعتريهم فناء أو تغير ، وأعظم من ذلك أن الله ﷻ يحلّ عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدًا ، وهذا هو الفوز الحقيقي ، والنعيم السرمدي الذي لا يعدله نعيم ما .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله :  ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ﴾ ، وذلك لأنه – عزّ شأنه – بعد أن بيّن ما أعدّه للمؤمنين والمؤمنات من الجنّات الطيّبات ، والأنهار الجاريات في جنّات عدن ، وما تفضّل به ﷻ عليهم من المغفرة والرضوان الذي عليه مدار كل سعادة ، ويناط به كل عزّ

وسيادة ، وهنا يلزم الوقف على ﴿أَكۡبَرُۚ﴾ لتمام المعنى عنده[1] ، ثم الابتداء بجملة ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ لأنها جملة مستقلّة برأسها ، و(ذا) اسم إشارة مبتدأ ، و(اللام) للبعد ، و(الكاف) حـــرف خطـــاب ، و﴿هُوَ﴾ ضمير فصل لا محل له ، أو مبتدأ ثان ، و﴿ٱلۡفَوۡزُ﴾ خبـــر ﴿ذَٰلِكَ﴾ أو خبر المبتدأ الثاني ﴿هُوَ﴾ ، والمبتدأ الثاني وخبره خبـــر المبتدأ الأول ، و﴿ٱلۡعَظِيمُ ﴾ صفة[2] .

و﴿وَرِضۡوَٰنٌ﴾ مبتدأ ، وجـــاز الابتداء به مع كونه نكرة لوصـــفه بـــ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وتنكيره ؛ ليدل على مطلـــق ، أي : وشـــيء مـــن رضوانه أكبر من كل ما ذكر ، و﴿أَكۡبَرُ﴾ خبر المبتدأ[3] .

****

(1) انظر : القطع لابن النحّاس ٢٩٠/١ ، والمكتفى للداني ص٢٠٦ ، ٢٩٦ ، والاقتـــداء لابن النكزاوي ٥٤٤/١ تحقيق د/ محمد سعد .
(2) انظر : إعراب القرآن وبيانه ٢٤٥/٣ .
(3) انظر : التبيان ٦٥١/٢ ، والبحر المحيط ٤٦١/٥ .

الوقف السادس والثلاثون

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾
(سُورَةِ يُونُسَ – الآية ٦٥)

المعنى العام :

بعث الله تعالى رسوله سيدنا **محمدًا** ﷺ إلى أمّته ، وأمره بـــالجهر بالدعوة ، وتبليغ الرسالة ، فوجد منهم صدًّا وإعراضًا وكفرًا وإنكارًا ، ولم يكتفوا بذلك بل سلقوه بألـــسنة حـــداد ، يـــسخرون ويـــستهزئون ، ويسبّون ويشتمون ، ويهدّدون ويتوعّدون ، وينكرون ويكذبون ، فأحزن ذلك رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى عليه هذه الآية – وآيات أُخَـــر – يسلّيه فيها عمّا حدث من هؤلاء الكفَرة ، ويَعِدُه النصر والظفر ، والغلبة والقهر ، وفتح البلاد ، وهدي العباد ، ونشر الدين في أرجاء المعمورة ؛ ولا عجب ، فالقوّة والغلبة ، والعزّة والمنعة ، لله وحده القاهر الجبّار ، فدعهم وشأنهم يا رسول الله ، فسبحانه سميع لأقوالهم ، عليم بأفعالهم ، يرصد حركاتهم ، ويسجّل همساتهم ، وسيجازيهم على أفعالهم .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿قَوْلُهُمْ ﴾ ، وذلك أنه ﷻ يسلّي رسوله سيدنا **محمدًا** ﷺ عمّا يقوله له المشركون من تهديد ووعيد ، وتكذيب وإنكار ، ومعاندة وجحود ، فينهاه عن الحزن بسبب ذلك ؛ لأنهم لا يملكون مـــن

أمرهم شيئًا ، فكيف تحزن أو تخاف ، والقوّة والغلبة هي للملك الجبّار وحده ؟! وهنا يلزم الوقف على ﴿قَوْلُهُمْ﴾ والابتداء بقوله : ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ ؛ لئلاً يتوهّم متوهّم قليل الفهم – وإن كان هذا مستحيلاً إلا عند الأغبياء – أن هذا القول من مقول المشركين ؛ لأنهم لو قالوا ذلك لم يكونوا كفّارًا ، ولما حَزِن النبيّ ﷺ من قولهم ، وقيل : لو وصل لتوهّم عود الضمير في ﴿قَوْلُهُمْ﴾ على الأولياء في الآيات السابقة ، وقول الأولياء لا يحزن الرسول ﷺ[1] .

وعلى هذا فجملة ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ جملة استئنافيّة جواب لسؤال مقدّر تقديره : لم لا يحزنه قولهم ، وهو مما يحزن ؟ فأجيب : إن العزّة لله جميعًا[2] ، ويكون قولهم محذوفًا ، والتقدير : قولهم : لست نبيًّا مرسلاً .

هذا هو المجمع عليه في هذه الآية من كسر همزة ﴿إِنَّ﴾ عند القرّاء ، إلا أبا حيوه فإنه روي عنه فتح همزة ﴿أَنَّ﴾[3] ، هذا وقد

---

(1) انظر : معاني القرآن للفراء ٤٧١/١ ، وإيضاح الوقف لابن الأنباري ص٧٠٧ ، والقطع والائتناف لابن النحّاس ٣٠٦/١ تحقيق د/ عبد الرحمن المطرودي ، وجمال القرّاء للسخاوي ٥٧١/٢ ، وإملاء ما منّ به الرحمن ٢٣٩/٣ ، والاقتداء لابن النكزاوي ٥٧٤/١ تحقيق د/ محمد سعد ، والمغني لابن هشام ص٥٠٢ ، ومنار الهدى ص١٧٨ .

(2) انظر : البحر المحيط ٨٣/٦ ، وحاشية الجمل ٣٦١/٢ .

(3) انظر : مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص٦٢ ، والكشاف ٣٥٧/٢ – نشر الريّان ، والبحر المحيط ٨٣/٦ .



اختلفت وجهة نظر العلماء في تخريج هذه القراءة ، فيرى ابن قتيبة[١] أنه لا يجوز الفتح هنا ، لأن فتحها كفر وغلو ممن تعمّده .

ويرى أكثر العلماء[٢] أنه لا يجوز إنكار هذه القراءة ، وتُخرج على التعليل ، أي : لا يقع منك حزن بسبب ما يقولون ، لأجل أن العزّة لله جميعًا .

ويرى ابن خالويه[٣] أن ﴿أَنَّ﴾ فُتحت بتقدير فعل غير القول المذكور ، والتقدير : ولا يحزنك قولهم إنكارهم أن العزّة لله .

هذا ، ويبدو أن الراجح ما عليه أكثر العلماء من عدم إنكار هذه القراءة الشاذّة ، وتخريجها على التعليل ، لا على أنها معمولة لـ ﴿قَوْلُهُمْ﴾ ، ولعلّ ذلك سبب إنكار ابن قتيبة لهذه القراءة ، من حيث إنه يرى أنها معمولة لـ ﴿قَوْلُهُمْ﴾ وهذا غير واقع ، إذن فلا داعي لإنكارها .

****

---

(١) انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص١٤ ، ١٥ تحقيق السيد صقر .
(٢) انظر : الكشاف ٣٥٧/٢ – نشر دار الريّان ، والبحر المحيط ٨٣/٦ .
(٣) انظر : مختصر في شواذ القرآن ص٦٢ .

الوقف السابع والثلاثون

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (سُورَةُ يُونُسَ – الآية ٦٨)

المفردات :

﴿ قَالُوا ﴾ : القائلون هم : اليهود الذين قالوا : عُزَيْر ابن الله ، والنصارى الذين قالوا : المسيح ابن الله ، ومشركو العرب الذين قالوا : الملائكة بنات الله[١] .

﴿ سُلْطَانٍ ﴾ : حجّة وبرهان[٢] .

المعنى العام :

يسجّل الله ﷻ ما ادّعاه اليهود والنصارى وبعض مشركي العرب ، من أن عُزيرًا ابن الله ، أو المسيح ابن الله ، أو الملائكة بنات الله ، وهذا كذب وافتراء ، وزيف وضلال ، فهو ﷻ تنزّه وتقدّس عن اتّخاذ الولد أو الشريك ؛ لأنه ﷻ مُستغن عن جميع مخلوقاته ، له مُلك السماوات والأرض وما فيهن ، ومن بينها : عزير والمسيح والملائكة ،

(١) انظر : البحر المحيط ٨٥/٦ .
(٢) انظر : لسان العرب (س ل ط) ، والكشاف ١٩٦/٢ .

فكيف يكونون شركاء له ؟! وهؤلاء المفترون ليس عندهم دليل على هذا الادّعاء ، ولا حُجّة لهم على هذا الافتراء ، ولذا فهم يقولون ما لا يعلمون ، وينسبون إلى الله تعالى ما لا يليق بذاته وصفاته – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا – ولذا فهم من الخاسرين الخائبين في الدنيا والآخرة .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿وَلَدًا﴾ ، وذلك أنه ﷻ يحكي ما نسبه إليه اليهود والنصارى كذبًا وافتراء ، وهو اتّخاذه الولد والشريك ، وهنا يلزم الوقف على ﴿وَلَدًا﴾ ؛ لأنه نهاية مقولتهم المحكيّة عنهم ، والابتداء بجملة ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ التي هي من كلام الله ﷻ ردًّا عليهم وتكذيبًا لهم ؛ ولو وصل لتوهّم أن ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ من بقيّة مقولتهم ، وليس كذلك ، فلا يعقل أنهم ينسبون إليه الولد والشريك ، ثم ينزّهونه ﷻ عن ذلك في آن واحد ، ولو كان كذلك لما كان للإنكار عليهم وجه ، ولكان آخر الآية يناقض أوّلها ، وهذا غير موجود فثبت ما قلناه من لزوم الوقف[1].

وعليه ، فـ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ اسم وضع موضع المصدر ، منصوب بإضمار فعل من معناه ، والتقدير : نسبّحه سبحانه ، و﴿إِنْ﴾ نافية

(1) انظر : البحر المحيط ٦/٨٥ ، وحاشية الجمل ٢/٣٦٢ .

بمعنى (ما) ، و﴿عِندَكُم﴾ في محل رفع خبـر مقـدّم ، و﴿مِّن سُلۡطَٰنٍۭ﴾ جار ومجرور متعلّق بمحذوف مبتدأ مـؤخّر ، و﴿بِهَٰذَآ﴾ تعلّق بمعنى (الاستقرار) الذي تعلّق به الظرف ﴿عِندَكُم﴾ ، وقال العكبري[1] : " إنه متعلّق بـ ﴿سُلۡطَٰنٍۭ﴾ أو نعت له ، وقيل : يجوز أن يكون ﴿مِّن سُلۡطَٰنٍۭ﴾ مرفوعًا بالفاعليّة بالظرف[2] قبله لاعتمـاده على النفي قبله ، وتكون ﴿مِّن﴾ على هذين الإعرابين صلة للتأكيد[3] .

****

---

(١) انظر : إملاء ما منّ به الرحمن ٣/٤٠ .

(٢) وتكون علامة رفعه : ضمّة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الصلة (الزائد) .

(٣) انظر : الكشاف ٢/١٩٦ ، والبحر المحيط ٦/٨٥ ، وحاشية الجمل ٢/٣٦٢ .

الوقف الثامن والثلاثون

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴾ (سُورَةِ هُودٍ – الآية ٢٠)

المفردات :

﴿مُعْجِزِينَ﴾ : مُفْلتين بأنفسهم من أخذه وعقابه(١) .

﴿أَوْلِيَآءَ﴾ : أنصار وأعوان يمنعونهم من عذاب الله تعالى ، وقيل المراد : آلهتهم التي يعبدونها من دون الله تعالى(٢) .

المعنى العام :

إن هؤلاء المشركين المعاندين الذين شاقّوا الله تعالى ورسوله ﷺ سيفضحهم الله تعالى يوم القيامة على رءوس الأشهاد ، بصدّهم عن سبيل الله تعالى ، وكفرهم بآيات الله تعالى ، وتكذيبهم لرسله عليهم السلام وهم يظنّون أنهم سيهربون بأنفسهم من العذاب ، وكيف ذلك والأرض أرض الله تعالى ، هل يجدون أرضًا أخرى يتحوّلون إليها ، ويهربون فيها ؟ كلاّ ، وحينئذ سيأخذهم القويّ الجبّار أخْذ عزيز مقتدر ، جبّار منتقم ،

(١) انظر : حاشية الجمل ٣٨٨/٢ .
(٢) انظر : البحر المحيط ١٣٧/٦ ، وحاشية الجمل ٣٨٨/٢ .

فيجازيهم على ما اقترفته أيديهم من سيئات ومساوئ ، وساعتئذ لن تنفعهم آلهتهم التي عبدوها من دون الله تعالى ؛ لأنها لا تسمع ولا تبصر ، ولا تنفع ولا تضر ، وسيضاعف الله تعالى لهم العذاب بسبب إعراضهم عن سماع القرآن والإيمان به ، علاوة على صدّهم الناس عنه ، وتشويشهم عليه ، والسخرية ممن نزل عليه ، وكان هذا جزاء وفاقًا لهم ؛ لأنهم استبدلوا بالحياة الباقية الدائمة الحياة الفانية الزائلة ، ففضّلوا اللّهو واللعب على الذِّكْر والعبادة ، واعتاضوا عن نعيم الجِنان بحميم آنٍ ، وعن الحور العين بطعام من غِسلِين ، فلا شكّ أنهم هم الخاسرون الضالّون .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ ، وذلك أنه ﷻ يتحدّث عن المشركين المعاندين ، وأنه ﷻ سيجازيهم على كفرهم وعنادهم بالخلود في جهنّم ، وأنهم لن يستطيعوا هربًا في أرضه ، أو فرارًا من تحت سمائه ، علاوة على عدم وجود أولياء لهم ينصرونهم حينئذ ، أو يدفعون عنهم العذاب ، وإن كان لهم أولياء – على حد زعمهم – فهي أولياء لا تنفع ولا تضر ، ولا تسمع ولا تبصر ، فهي حجارة صمّاء ، وهنا يلزم الوقف على قوله : ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ والابتداء بجملة ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ﴾ ؛ لأنه لو وصل لصارت جملة ﴿يُضَٰعَفُ﴾ صفة لـ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ ،

وليس كذلك ، بل هي صفة لـ (الكافرين)[(١)] .

وعلى هذا فـ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ اسم (كان) مرفوع ، وعلامة رفعه ضمّة مقدّرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الصلة (الزائد) ، وجملة ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ - من الفعل المبني للمجهول ونائب الفاعل - استئنافيّة ، لا محل لها من الإعراب ، وقيل : اعتراضيّة بين ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ و﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ﴾ ، ويكون الضمير في ﴿كَانُوا۟﴾ عائدًا على (أوليائهم) .

هذا ، وقد اختلف العلماء في نوع ﴿مَا﴾ في ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ﴾ فقيل : نافية ، وهو إخبار عن حالهم في الدنيا ، وذلك على سبيل المبالغة ، أي : ما كانوا يستطيعون السمع للقرآن ، ولا النظر إلى رسول الله ﷺ لإعراضهم عنه وحسدهم له ، أو لسبق ذلك في اللوح المحفوظ وكتابته عليهم فلا يستطيعون ذلك ، وقيل : ﴿مَا﴾ بمعنى (الذي) ، والأصل : يُضاعف لهم العذاب بما كانوا ، فلمّا حذف حرف الجر اتّصل الفعل به فهو منصوب على نزع الخافض ، وكأن (الباء) بمعنى السببيّة ، كقوله تعالى : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[(٢)] ،

---

(١) انظر : القطع والائتناف ٣١٦/١ تحقيق د/ المطرودي ، وإملاء ما منّ به الرحمن ٣٦٥/٣ ، والاقتداء ٥٩٢/١ تحقيق د/ محمد سعد ، والبحر المحيط ١٣٦/٦ ، ومنار الهدى ص١٨٣ ، وحاشية الجمل ٣٨٨/٢ .

(٢) سورة البقرة – جزء من الآية ١٠ .

وهذا الخلاف شائع في العربيّة ، وقيل : ﴿مَا﴾ مصدريّة ظرفيّة زمانيّة في موضع نصب بـ ﴿يُضَٰعَفُ﴾ ، والأصل : يُضاعف لهم العذاب مدّة استطاعتهم السمع والإبصار ، أي : أبدًا[1] .

****

(1) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/٨ ، والبيان للأنباري ٢/١٠ ، وإملاء ما منّ به الرحمن ٣/٢٦٥ ، ٢٦٦ ، والبحر المحيط ٦/١٣٦ ، ١٣٧ .



الوقف التاسع والثلاثون

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (سُورَةُ هُودٍ – الآيتان ١١٨ ، ١١٩)

المعنى العام :

اقتضت حكمة الله تعالى ومشيئته أن يخلق الناس أصنافًا مختلفة : سعداء وأشقياء ، هداة وضالّين ، مسلمين وكافرين ، ومن رحمته أنه جعل أهل الهداية مستحقّين لرحمته ، فمنعهم الاختلاف والشقاق ، وجنّبهم الفسوق والعصيان ، أمّا أهل الشقاء والضلال ، والكفر والنفاق ، فاختلفوا في الحقّ الواضح ، وجادلوا بغير علم ، فضلّوا وأضلّوا ، ووجب فيهم قضاء الله تعالى ، ونفذ حكمه وذلك أنه بعدله سيملأ بهم جهنّم سواء أكانوا من الإنس أم من الجنّ .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ ، وذلك لأنه – عزّ شأنه – اقتضت مشيئته أن يجعل الناس أصنافًا متباينة ، ولو شاء لجعلهم أمّة واحدة ، وسيظلّون مختلفين متباينين ، إلا من اختصّهم الله تعالى برحمته وهدايته ، فهم بعيدون عن هذا الاختلاف ، ولذلك وسعتهم رحمة الله تعالى ، وهنا يلزم الوقف على ﴿خَلَقَهُمْ ۗ﴾ والابتداء بجملة ﴿وَتَمَّتْ



﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ...﴾ لأنها جملة مستقلّة ، وذلك على جعل ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ متّصلاً بما قبله ، أمّا إن قدر : وتمت كلمة ربّك لأملأن جهنّم من الجنّة والناس أجمعين ولذلك خلقهم – أي : على التقديم والتأخير – وصل الكلام ولم يلزم الوقف[1] ، وهذا الوقف من الوقوف التي جوّز فيها العلماء اللزوم إن تعلّق ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ بما قبله ، وعدم اللزوم إن تعلّق بما بعده ، ولم أر – فيما اطّلعت عليه – أحدًا من العلماء رجّح اللزوم ، أو رجّح الوصل ، وهذه بعض أقوالهم في ذلك :

يقول ابن النحّاس[2] : " ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قطع تام ، إن جعلت ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ متّصلاً بما قبله ، وإن قدّرته بمعنى : وتمّت كلمة ربّك لأملأنّ جهنّم من الجنّة والناس أجمعين ولذلك خلقهم ، وصلت بعض الكلام ببعض " .

ويقول ابن النكزاوي[3] : " ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ تام إن جعلت قوله ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي : للاختلاف والرحمة خلقهم " .

وقال الحسن : " هو خلق هؤلاء لجنّته ، وهؤلاء لناره ، وهؤلاء لرحمته ، وهؤلاء لعذابه ، وإن قدّرته بمعنى : وتمّت كلمة ربّك لأملأنّ جهنّم من الجنّة والناس أجمعين ولذلك خلقهم ، على التقديم والتأخير ،

---

(1) انظر : القطع والائتناف لابن النحّاس ٣٢٨/١ ، والاقتداء لابن النكزاوي ٦١٣/١ تحقيق د/ محمد سعد المرسي ، ومنار الهدى ص١٩١ .
(2) انظر : القطع والائتناف ٣٢٨/١ .
(3) انظر : الاقتداء ٦١٣/١ تحقيق د/ محمد سعد المرسي .



وقفت على قوله : ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ ويكون وقفًا كافيًا " ، ونقل ذلك عنه الأشموني[1] .

وعليه ، فـ ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ : (الواو) عاطفة ، و(يزال) مضارع (زال) الناقصة ، و(واو الجماعة) في محل رفع اسمها ، و﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ خبرها ، و﴿ إِلَّا ﴾ في ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ استثناء منقطع على معنى : لكن من رحم ربّك فإنه غير مختلف ، وجملة ﴿رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ لا محل لها صلة اسم الموصول ﴿مَن﴾ ، و﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ (اللام) جارّة ، و(ذا) اسم إشارة مبني على السكون في محل جرّ بـ (اللام) ، و(اللام) في ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ للبعد ، و(الكاف) حرف خطاب ، والجار والمجرور متعلّق بـ ﴿خَلَقَهُمْ﴾ ، و﴿خَلَقَهُمْ﴾ فعل ماض والفاعل مستتر ، و(هم) في محل نصب مفعول به ، و(الواو) في ﴿وَتَمَّتْ﴾ استئنافيّة على أن الوقف تام ، و(تمّت) فعل ماض ، و(التاء) للتأنيث ، و﴿كَلِمَةُ﴾ فاعل ﴿وَتَمَّتْ﴾ ، و﴿كَلِمَةُ﴾ مضاف ، و(ربّ) مضاف إليه ، و(ربّ) مضاف وضمير المخاطب في محل جر مضاف إليه[2] .

---

(١) انظر : منار الهدى ص١٩١ .

(٢) انظر : إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين الدرويش ٣/٤٩٦ ، ٤٩٧ .

الوقف الأربعون

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾

(سُورَةُ يُوسُفَ – الآية ٢٤)

المعنى العام :

في سياق قصّة نبيّ الله تعالى سيدنا يوسف عليه السلام يذكر ربّ العزّة ﷻ إحدى المحن التي تعرّض لها نبيّ الله تعالى سيدنا يوسف عليه السلام حيث راودته امرأة العزيز عن نفسه ، وغلّقت الأبواب ، ودعته لنفسها ، فامتنع وأبى واستعصم متذكّرًا نعم الله تعالى عليه ، وكيف يقابلها بارتكاب المعصية ، والوقوع في الرذيلة ؟ وقد عزمت امرأة العزيز وأصرّت على أن يرتكب الفاحشة معها ، وحاولت ذلك بالقوّة ، فخطر بباله أن يدفعها عن نفسه ، ولو وصل ذلك إلى حد أن يقتلها ، ولكنّه لما رأى وسيلة أخفّ من القتل تمكّنه من اتّقاء شرّها فَعَلَها ، فولّى هاربًا ، وتبعته المرأة متعلّقة بقميصه فقدّته من دُبُر ، وهكذا صرف عنه ربّ العزّة ارتكاب القتل في حالة إبعاد المرأة ، وعصمه عن ارتكاب الفاحشة ، وهي جريمة الزنا ، فلا عجب ، فهو النبيّ المعصوم الذي لا يجوز في حقّه ارتكاب مثل هذه الرذائل[1] .

---

(١) خاض المفسّرون في تفسير هذه الآية خوضًا كبيرًا ، حيث اختلفوا في تفسير ﴿هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ ، وكذا ﴿ بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ ، وقد ذكرت ما يتفق وعصمة الأنبياء عليهم السلام =

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله ﷻ : ﴿هَمَّتْ بِهِۦ﴾ ، وذلك بعد أن ذكر ربّ العزّة ما وقع من امرأة العزيز مع نبيّ الله تعالى سيدنا يوسف عليه السلام ذكر أنها هَمّت بمخالطته ، وعزمت على أن يواقعها ، وأصرّت على ذلك ، وبذلت كل الوسائل من الترغيب والترهيب ، وهنا لزم الوقف ثم الابتداء بقوله : ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ للفرق بين الهمّين ، حيث هَمّت هي هَمّ عزم وتصميم ، أمّا هو فلم يهمّ بها ، يدل على ذلك أن ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ جواب ﴿لَوْلَآ﴾ مقدّم ، وأن الأصل : ولولا أن رأى برهان ربّه لهَمّ بها ، أي : لم يهم ، وأوّل من قال بهذا الإمام أبو عبيدة معمر بن المثنى[1] .

هذا ، وقد اعترض على هذا التوجيه بعض المفسّرين ، منهم : الزجاج[2] حيث قال : " إن تقديم جواب ﴿لَوْلَآ﴾ عليها شاذ لم يرد عن العرب ، ولو كان جواب ﴿لَوْلَآ﴾ في الآية هو ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ لدخلت عليه (اللام) فقال : ولهمّ بها " ، وتبعه الإمام الزمخشري[3] حيث ذكر

= وأضربت صفحًا عمّا لا يليق بهم مما ذكروه . انظر : الكشاف ٢٤٨/٢ ، وحاشية الجمل ٤٤٥/٢ . وممن ارتحت لتفسيره في هذه الآية الكريمة : الإمام الرازي .. انظر : مفاتيح الغيب ٢٤/٩ – ٣٣ دار الغد ، وتقويم اللسان والتعليم بالقرآن للسيّد أحمد خليل ص٨٧ ، ٨٨ .

(١) انظر : القطع لابن النحّاس ٣٢١/١ ، والمكتفى للداني ص٣٢٥ ، ومنار الهدى ص١٩٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٠٠/٣ ، ١٠١ بتصرّف .

(٣) انظر : الكشاف ٢٤٩/٢ . وقال بذلك أيضًا أبو البركات الأنباري في البيان ٣٨/٢ .

في علّة منع كون ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ جوابًا لـ ﴿لَوْلَآ﴾ لا يتقدّم عليها جوابها ، من قِبَل أنه في حكم الشرط ، وللشرط صدر الكلام ، وهو مع ما في حيّز الجملتين مثل كلمة واحدة ، ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض .

وما تمسّك به الإمامان (الزجاج والزمخشري) ليس بقويّ ؛ أمّا تمسّكهما بعدم جواز تقدّم جواب ﴿لَوْلَآ﴾ عليها فليس بحجّة ، حيث لم يقم دليل على امتناع ذلك ، بل صريح أدوات الشرط العاملة مُختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها ، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيّون وبعض البصريين ، كأبي زيد الأنصاري ، وأبي العباس المبرد[1] .

وأمّا قولهما : " لو كان هو الجواب لدخلت عليه (اللام) " ، فليس بواجب ، لجواز أن جواب ﴿لَوْلَآ﴾ لو كان بصيغة الماضي جاء بـ (اللام) وبغيرها ، فتقول : لولا زيد لأكرمتك[2] ، و: لولا زيد أكرمتك ، وقد رجّح الإمام أبو حيّان[3] ما أثبتَه من وجود فرق بين الهَمّين حيث قال : " والذي أختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هَمّ البتة ، بل هو منفي ، لوجود رؤية البرهان ، كما تقول : لقد قاربت لولا أن عصمك الله " .

---

(١) انظر : البحر المحيط ٢٥٧/٦ ، ٢٥٨ .
(٢) السابق نفسه .
(٣) انظر : البحر المحيط ٢٥٧/٦ .

وممن ردّ على الزجـاج أيضًا ، وفنّد اعتراضـه : الإمام فخـر الدين الرازي[1] .

ويرى بعض العلماء كـأبي حيّان[2] ، والعكبري[3] ، أن جـواب ﴿لَوْلَآ﴾ محذوف ، دلّ عليه ما قبله ، وأن التقـدير : لـولا أن رأى برهان ربّه لهَمّ بها ، تخلّصًـا من الاعتراضات على تقديم الجـواب على ﴿لَوْلَآ﴾ .

ولكنّي أقول للعالمين الجليلين ما قالـه الإمـام الـرازي[4] : " إن ﴿لَوْلَآ﴾ تحتاج إلى جواب ، وهذا الموجود في الآية يصلح جوابًا لها ، فكيف نتركه ثم نضمر لها جوابًا غيره ؟ أليس الأولى أن نجعله جوابًـا لها ، ولا نلجأ إلى الحذف والتقدير ؟ " .

هذا المعنى في تلك الآية الكريمة هو مـا عليـه المحقّقـون مـن المفسّرين والعلماء ، وهو ينفي الشبهة عن نبي الله تعالى سيدنا يوسف عليه السلام ويتّفق وعصمة الأنبياء  وممن قـال بـذلك مـن العلمـاء المحدثين : العارف بالله تعالى الشيخ/ صالح الجعفري[5] إمام الجـامع الأزهر في زمنه حيث قال : " وفي هذه الآية تقديم وتأخير وحـذف ،

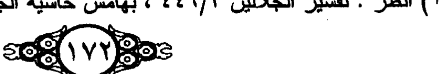
---

(١) انظر : مفاتيح الغيب ٢٨/٩ ، ٢٩ – نشر : دار الغد العربي .
(٢) انظر : البحر المحيط ٢٥٨/٦ .
(٣) انظر : التبيان ٧٢٩/٢ .
(٤) انظر : مفاتيح الغيب ٢٩/١ بتصرّف – نشر : دار الغد .
(٥) انظر : الكنز الثري في مناقب الجعفري ص٦٨ ، ٦٩ .

أي : هناك جملة مقدّمة وجملة مؤخّرة ، وبينهما كلام محذوف يفهم بدقّة النظر في كتاب الله تعالى وتدبّره على ضوء بلاغة القــرآن العربـــي ببركة النبيّ العربي ﷺ " ... إلى أن يقول : " وجواب ﴿لَوْلَآ﴾ ليس هو (لجامعها) كما جــاء في تفسير الجلالين[1] ، ولكن جواب ﴿لَوْلَآ﴾ ظهر لنا بذلك أنه (لهَمّ بها) ، وفرق كبير بين الجوابين " ، والله تعــالى أعلى وأعلم .

****

(١) انظر : تفسير الجلالين ٤٤٦/٢ ، بهامش حاشية الجمل .



الوقف الحادي والأربعون

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ (سُورَةِ الرَّعْدِ – الآية ١٨)

المعنى العام :

يبشّر الله تعالى عباده المتّقين الذين آمنوا به ، وصدّقوا برسوله سيدنا **محمد** ﷺ ، واتّبعوا النور الذي أنزل معه ، بأن لهم الجنّة التي ينعمون فيها بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، أمّا الذين استكبروا عن آيات الله تعالى ، وكذّبوا بما جاءهم من الحقّ ، فلهم الضنك والشقاء في الدنيا ، والخزي والعذاب الشديد يوم القيامة ، ولا ينفعهم شيء ما مما يلاقونه من سوء الحساب ، ويتمنون فداء أنفسهم بأولادهم وأموالهم ، بل بمثل الأرض جميعًا ، ولكن هيهات هيهات ، فمصيرهم جهنّم ، ومستقرّهم سقر ، ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[1] .

موضع الوقف وسرّه :

بيّن الله ﷻ جزاء المتّقين الذين استجابوا لربّهم ، واتّبعوا رسله عليهم السلام بأن لهم المغفرة والجنّة ، وهنا يلزم الوقف على ﴿ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾[2]

---

(١) سورة الكهف – جزء من الآية ٢٩ .

(٢) انظر : القطع ٣٤١/١ ، ٣٤٢ ، والمكتفى ص٣٣٥ ، والاقتداء ٦٤١/١ تحقيق د/ =

التي يُراد بها هنا : الجنّة[١] ، لتمام المعنى بالوقف عليها ، ثم الابتـــداء بجملة ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ ...﴾ لأنها جملة مستقلّة أتت لبيان جزاء هؤلاء المعاندين الكافرين الذين لم يستجيبوا لربّهم .

وعليه ، فالجار والمجرور ﴿لِلَّذِينَ﴾ متعلّق بمحذوف خبر مقدّم ، وجملة ﴿ٱسۡتَجَابُواْ﴾ صلة الموصول لا محل لهـــا مـــن الإعـــراب ، والجار والمجرور ﴿لِرَبِّهِمُ﴾ متعلّق بـــ ﴿ٱسۡتَجَابُواْ﴾ ، و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ مبتدأ مؤخّر[٢] ، وتكون (الواو) بعدها استئنافيّة ، و﴿وَٱلَّذِينَ﴾ فـــي محل رفع مبتدأ ، وجملة ﴿لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ﴾ صلة الموصول لا محل لها من الإعراب ، و﴿لَوۡ﴾ وما في حيّزها في محل رفع خبر المبتدأ[٣] .

****

= محمد سعد المرسي ، ومنار الهدى ص٢٠١ .

(١) انظر : القطع ٣٤١/١ ، ٣٤٢ ، والاقتداء ٦٤١/١ تحقيق د/ محمد سعد المرسي .

(٢) انظر : مفاتيح الغيب ٢٢٩/٩ ، والتبيان ٧٥٦/٢ ، وإعراب القرآن للدرويش ٨٦/٤ .

(٣) انظر : إعراب القرآن للدرويش ٨٦/٤ .

الوقف الثاني والأربعون

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (سُورَةُ النَّحْلِ – الآية ٤١)

المفردات :

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ ﴾ : المراد بهم : صُهيب الرومي ، وبلال الحبشي ، وخبّاب بن الأرت ﷺ ، وغيرهم من مستضعفي المؤمنين الذين عذّبهم المشركون بمكّة بسبب إيمانهم حتى اضطرّوهم إلى الهجرة[١] .

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ ﴾ : لنسكنهم ، يقـال : بَوّأت له مكانًا ، أي : سـوّيته له فتبوّأ[٢] .

﴿حَسَنَةً ﴾ : قيل المراد بها : المدينة المنوّرة – علـى سـاكنها أفضل الصلاة وأتم السلام – ، وقيل : الرزق الحلال ، وقيل : الـذِّكر الحسن ، وقيل : الغلبة على أهل مكّة ، وعلى العرب قاطبة ، بل على جميع أهل المشرق والمغرب ، وقيل : ما استولوا عليه مـن الـبلاد ، وصار لهم فيها من الملك ، ولا مانع من إيراد كل هذه المعـاني ؛ لأن (الحسنة) هي كل شيء مستحسن ناله المهاجرون[٣] .

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ١٠٠/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٩٩/٣ .
(٢) انظر : مفردات الراغب (ب و أ) .
(٣) انظر : البحر المحيط ٥٣٢/٦ .



﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ﴾ : المراد به : الجنّة وما فيها من نعيم مُقيم(١) .

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ : الضمير يعود على المؤمنين ، وقيل : على من عذّبوهم من المشركين(٢) .

المعنى العام :

يمدح الله ﷻ المؤمنين الذين تركوا أوطانهم – وبخاصّة حَرَم الله تعالى الآمن المحبوب لكل مؤمن ، فكيف لمن كان مولده فيه ؟! – وأولادهم وأقاربهم وأموالهم ، وهاجروا فرارًا بدينهم ، وخوفًا من فتنتهم بعدما عذّبهم المشركون ، ونالوا من أجسادهم عذابًا وإيذاء ، وبخاصّة المستضعفون ، كبلال بن رباح الحبشي ، وصهيب الرومي ، وغيرهم ممن لا عشيرة لهم تأويهم ، أو أقارب يدفعون عنهم ، فيبشّرهم الله تعالى – وهو خير المبشّرين – بأنه سيعوّضهم عن أوطانهم وأموالهم وطنًا خيرًا منه ، وأموالاً أكثر منها ، وقد كان ، فأسكنهم الله تعالى المدينة المنوّرة ، وأغدق عليهم الرزق الحلال ، وأحل لهم الغنائم والفيء الذي كانوا يأخذونه بغير حرب ولا قتال ، علاوة على ما ينتظرهم في الآخرة من جنّات تجري من تحتها الأنهار ، فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فلو كان المؤمنون يعلمون ما ينتظرهم من هذا النعيم لزادوا في اجتهادهم

---

(١) انظر : حاشية الجمل ٥٧١/٢ .
(٢) انظر : البحر المحيط ٥٣٢/٦ .

وصبرهم ، واستعذبوا كل أنواع الإيذاء والبلاء .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿أَكۡبَرُۚ﴾ ، وذلك أنه ﷻ يخبر عن جزاء المهاجرين الذين تركوا أوطانهم وأولادهم وأموالهم ابتغاء مرضات الله تعالى ، حيث أعدّ لهم دارًا حسنة في الدنيا ، ورزقًا حلالاً ، وذكرًا حسنًا ، علاوة على ما ينتظرهم في الآخرة ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وهنا يلزم الوقف على قوله : ﴿أَكۡبَرُۚ﴾ والابتداء بالجملة الشرطيّة بعده ؛ لأنه لو وصل لصارت جملة ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ متعلّقة بشرط ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ ، وهذا مستحيل[1] .

وعليه ، فـ ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل رفع مبتدأ ، وجملة ﴿هَاجَرُواْ﴾ صلة الموصول لا محل لها من الإعراب ، و﴿فِي ٱللَّهِ﴾ بمعنى (لام التعليل) ، والأصل : لإقامة دين الله تعالى ، ثم حُذف المضافان (إقامة دين الله) ، والجملة المقسم عليها ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ﴾ لا محل لها من الإعراب ، وخبر المبتدأ جملة القسم المحذوفة المدلول عليها بجملة ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ﴾ ، وفي الإخبار عن المبتدأ بجملة القسم دليل

(١) انظر : الاقتداء لابن النكزاوي ٢/٣١ – ٣٣ تحقيق نعيم عطوة ، ومنار الهدى ص٢١٥ .

على جواز وقوع ذلك خلافًا لمن منعه ، كثعلب ، و﴿حَسَنَةً﴾ يجوز أن تكون مفعولاً ثانيًا لــ ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ بعد المفعــول الأول الــضمير (هم) وذلك على تضمين ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ معنى : لنعطيهم ، أو هي صفة لموصوف محذوف ، والتقدير : دار حسنة ، لأن معنى (بوأته) : أنزلته وأسكنته ، أو نعت لمصــدر محذوف يدلّ عليــه الفعــل المــذكور ، والتقدير : تبوئة حسنة ، أو مصدر للفعل المذكور – جاء علــى غيــر لفظه – لأن معنى ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ : لنحسننّ إليهم ، و﴿حَسَنَةً﴾ فــي معنى : إحــسانًا ، و﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ جــواب ﴿لَوْ﴾ الــشرطيّة محذوف تقديره : لما اختاروا الدنيا على الآخرة ، إذا كان الضمير فــي ﴿يَعْلَمُونَ﴾ راجعًا إلى (الكفّار) ، أمّا إذا كان راجعًا للمؤمنين فيكــون التقدير : لزادوا في اجتهادهم وصبرهم على الإيذاء[1] .

****

(١) انظر : إملاء ما منّ به الرحمن ٤٨٨/٣ ، والبحر المحيط ٥٣١/٦ ، ٥٣٢ ، وحاشية الجمل ٥٧١/٢ .

الوقف الثالث والأربعون

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾
(سُورَةُ الإِسْرَاءِ – الآية ٨)

المفردات :

﴿حَصِيرًا﴾ : سجنًا ، مأخوذ من الحَصْر والتضييق ، لأن جهنّم ذات حَصْر لهم[١] .

المعنى العام :

يخبر الله تعالى رسوله سيدنا **محمدًا** ﷺ والمؤمنين معه بما حدث من اليهود على مرّ الأزمان ، واختلاف العصور ، من السعي في الأرض بالفساد ، وإهلاك الحرث والنسل – ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[٢] – فسلّط الله تعالى عليهم من سامَهُم سوء العذاب ، بالتقتيل ، وسبْي الذّراري ، والطرد من الوطن ، جزاء وفاقًا لِمَا اقترفته أيديهم ، ولكنه ﷻ برحمته وعَدَهُم – إن تابوا وأنابوا – بالرحمة والأمان ، بشرط ألا يعودوا إلى الإفساد مرّة ثالثة ، لأنهم إن عادوا سلّط الله تعالى عليهم من يُنَكّل بهم في الدنيا ، علاوة على ما ينتظرهم من عذاب ونَكال ، وسجن وتضييق في جهنّم يوم القيامة .

---

(١) انظر : مفردات الراغب (ح ص ر) ، والبحر المحيط ١٧/٧ .
(٢) سورة البقرة – جزء من الآية ٢٠٥ .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿عُدْنَا﴾ ، وذلك أنه ﷻ يخبر عمّا حدث من اليهود – قبل بعثة النبيّ سيدنا **محمد** ﷺ – من الإفساد في الأرض ، بقتل الأنبياء ، وتكذيب الرسل عليهم السلام ، فعاقبهم على ذلك بالقتل والتشريد على يد أعدائهم ، ولكنّهم تابوا بعد ذلك ، فجعل الله تعالى لهم الدّولة على أعدائهم ، فانتقموا منهم ، ثم وعدهم الله ﷻ بالرحمة إن تابوا وأنابوا ، ولكن إن عادوا للإفساد فسيسلّط الله تعالى عليهم في الدنيا من يسُومُهم سوء العذاب ، وقد كان على يد خاتم المرسلين سيدنا **محمد** ﷺ ، وهنا يلزم الوقف على قوله : ﴿عُدْنَا﴾ لاستئناف الكلام بعده ؛ لأن جعل جهنّم سجنًا للكافرين ليس خاصًّا باليهود ، بل لكل الكافرين في كل عصر ومصر ، فلو وصل لتوهّم أن سجن الكافرين في جهنّم خاصّ باليهود ، وليس كذلك(١) .

وعليه ، فـ ﴿وَإِنْ﴾ شرطيّة ، و﴿عُدتُّمْ﴾ فعل الشرط ، و﴿عُدْنَا﴾ جوابه ، والأصل : وإن عدتم إلى المعصية مرة ثالثة عدنا إلى العقوبة في الدنيا ، و(جعل) تنصب مفعولين : **الأول** : ﴿جَهَنَّمَ﴾ ، **والثاني** : ﴿حَصِيرًا﴾(٢) .

---

(١) انظر : إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ص٧٥٢ ، والاقتداء لابن النكزاوي ٥٢/٢ تحقيق د/ نعيم عطوة ، ومنار الهدى ص٢٢٢ .
(٢) انظر : البحر المحيط ١٧/٧ .

الوقف الرابع والأربعون

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۝٩٠ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾

(سُورَةُ الكَهْفِ – الآيتان ٩٠ ، ٩١)

المفردات :

﴿سِتْرًا﴾ : حجابًا وغطاء[١] .

﴿خُبْرًا﴾ : معرفة بأحواله الظاهرة والباطنة ، ومن أسمائه ﷻ : الخبير[٢] .

المعنى العام :

في سياق قصّة ذي القرنين يذكر ربّ العزّة في قرآنه أنه مكّن لذي القرنين ، وآتاه من كل شيء سببًا حتى وصل إلى أبعد مكان على الأرض من جهة الغرب ، وهو مكان مغرب الشمس ، وكذا سار حتى وصل إلى مقابله ، وهو مكان طلوعها فوجد عند ذلك أقوامًا ، لم يجعل الله تعالى لهم حجابًا يسترهم من حرّ الشمس ولهيبها ، فكانوا إذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب لهم حتى تغرب ، وقد مكّنه الله تعالى منهم ، فمن آمن بالله تعالى تركه وأحسن إليه ، ومن لم يؤمن عذّبه كما فعل

(١) انظر : مفردات الراغب ، واللسان (س ت ر) .
(٢) انظر : مفردات الراغب ، واللسان (خ ب ر) .



بأهل مغرب الشمس ، وقد كان ذو القرنين كثير الجند والعتاد بحيث لم يحط بأحواله إلا اللطيف الخبير .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله ﷻ : ﴿كَذَٰلِكَ﴾ ، وذلك لأنه بعد أن ذكر وصول ذي القرنين إلى مكان طلوع الشمس ، ووجد عنده قومًا ليس بينهم وبينها حجاب ذكر ﷻ أنه مكّنه منهم ، كما مكّنه من أهل مغرب الشمس ، وهنا يلزم الوقف على ﴿كَذَٰلِكَ﴾ ؛ لأن المعنى قد تمّ عنده ، ثم يبتدئ القارئ بـ : ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾[1] .

وعليه ، فـ (الكاف)-في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في محل رفع خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : الأمر مثل ذلك ، والمعنى : بلغ مطلع الشمس كما بلغ مغربها ، أو كما وجد عند مغربها قومًا وحكم فيهم ، وجد عند مطلعها قومًا وحكم فيهم ، أو كما أتبع سببًا إلى مغرب الشمس كذلك أتبع سببًا إلى مطلعها[2] ، وقيل بجواز أن تكون (الكاف) في محل نصب والتقدير : فعلنا مثل ذلك .

****

---

(١) انظر : القطع لابن النحّاس ١/٣٩٢ ، والمكتفى للداني ص٣٧٢ ، ومنار الهدى ص٢٣٤ ، وحاشية الجمل ٣/٤٥ .
(٢) انظر : منار الهدى ص٢٣٤ .

الوقف الخامس والأربعون

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾
(سُورَةِ الأَنبِيَاءِ - الآية ٢٦)

المعنى العام :

حين ادّعت اليهود والنصارى كذبًا وافتراء وقالتا : عُزيْر ابن الله ، والمسيح ابن الله ، وكذا بعض العرب كخُزاعة وجهينة وبني سلمة وبني مليح في ادّعائهم أن الملائكة بنات الله تعالى ، رد الله تعالى عليهم افتراءاتهم هذه منزّهًا ذاته ﷻ عن اتّخاذ الولد أو الشريك ، إنما عُزيْر والمسيح والملائكة عباد الله تعالى ، خلقهم - فكيف يكون المخلوق إلهًا ؟ - واصطفاهم وكرّمهم على بقيّة المخلوقات .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿وَلَدًا ۗ﴾ ، وذلك أنه - جل شأنه - أخبر نبيّه سيدنا **محمدًا** ﷺ عن بعض أكاذيب اليهود والنصارى في قولهم : ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ، وهنا يلزم الوقف على ﴿وَلَدًا ۗ﴾ ؛ لأنه نهاية كلامهم المحكي عنهم ، والابتداء بـ ﴿سُبْحَانَهُ﴾ التي هي من كلام المولى ﷻ ردًّا عليهم ؛ ولو وصل لتوهّم أن جملة ﴿سُبْحَانَهُ﴾ من كلامهم أيضًا ، وهذا لا يعقل(١) .

---

(١) انظر : إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ص٧٧٥ .



وعليه ، فـ ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ اسم وضع موضع المصدر ، منصوب بإضمار فعل من معناه ، والتقدير : نسبّحه سبحانه ، ولا يجوز إظهار هذا الفعل معه ، وهو عَلَم على التسبيح ، ممنوع من الصرف للعَلَميّة وزيادة (الألف) و(النون) ، ومنه قوله الأعشى :

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ ∴ سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفَاخِرِ[1]

وهو هنا في معنى : براءة منه ، وربّما أتى منوّنًا للضرورة كقوله:

سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَانًا يَعُودُ لَهُ ∴ وَقَبْلَنَا سَبَّحَ الجُودِيُّ وَالجُمُدُ[2]

حيث نوّن (سُبْحانًا) ، وقيل : لا ضرورة فيه ، بل إنه إذا أفرد كان مُنوّنًا[3] ، و﴿بَلۡ﴾ للإضراب ، و﴿عِبَادٞ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : بل هم عباد ، و﴿مُّكۡرَمُونَ﴾ صفة لـ ﴿عِبَادٞ﴾[4] .

****

(١) البيت من السريع ، للأعشى ، وهو في ديوانه ص١٠٦ – ط/ فينا – سنة ١٩٢٧م ، والكتاب ٣٢٤/١ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٣٧/١ ، ١٢٠ ، والبحر المحيط ٢٢٤/١ ، ولسان العرب (س ب ح) ، والهمع ١٩٠/١ ، ٥٢/٢ .

(٢) البيت من البسيط ، لأمية بن الصلت ، وهو في ديوانه ص٣٠ ، والكتاب ٣٢٦/١ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٣٧/١ ، ١٢٠ ، والبحر المحيط ٢٢٤/١ ، ولسان العرب (س ب ح) ، (ج م د) ، والهمع ١٩٠/١ .

(٣) انظر : الكتاب ٣٢٤/١ – ٣٢٦ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٢٠/١ ، والبحر المحيط ٢٢٤/١ ، ولسان العرب (س ب ح) .

(٤) انظر : البيان للأنباري ١٦٠/٢ ، وإملاء ما منّ به الرحمن ٦١٤/٣ .

الوقف السادس والأربعون

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
(سُورَةُ المُؤْمِنُونَ – الآية ٨٤)

المعنى العام :

يخاطب الله تعالى نبيّه سيدنا **محمدًا** ﷺ ويأمره أن يسأل هؤلاء المشركين المعاندين : من خلق هذه الأرض الواسعة ، وما فيها من صحارى شاسعة وبحار وأنهار ، ونباتات وأشجار ، وحيوانات وأطيار ؟ إن كان عندكم شيء من الفهم والإدراك فأجيبوني قائلين : الله تعالى ربّ العالمين .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿وَمَن فِيهَآ﴾ ، وذلك لأنه ﷻ يأمر نبيّه سيدنا **محمدًا** ﷺ أن يُلزم الكافرين الحُجّة ، ويسألهم عمّن خلق الأرض وما فيها ؟ وهنا يلزم الوقف على ﴿فِيهَآ﴾ التي هي جزء من السؤال ، والابتداء بجملة ﴿إِن كُنتُمْ﴾ ، ولو وصل لكانت جملة ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ داخلة في السؤال السابق ، وليس كذلك .

وعليه ، فـ ﴿لِّمَنِ﴾ في محل رفع خبر مقدّم ، و﴿ٱلْأَرْضُ﴾ مبتدأ مؤخّر ، والجملة في محل نصب مقول القول ، و﴿إِن﴾ شرطيّة وجوابها محذوف تقديره : فأخبروني بخالقهم[1] .

(١) انظر : حاشية الجمل ٣/٢٠٠ .

الوقف السابع والأربعون

﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سُورَةُ المُؤْمِنُونَ – الآية ٨٨)

المفردات :

﴿مَلَكُوتُ﴾ : مُلك الله تعالى ، وهو مصدر (مَلَك) دخلت فيه (الواو) و(التاء) للمبالغة كالرّحموت ، والرّهبوت ، من (الرحمة والرهبة)(١) .

﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ : يمنع ويحفظ من أراد حفظه ، ولا يمنع منه أحد أحدًا(٢) .

المعنى العام :

يقول الله ﷻ لنبيّه سيدنا **محمد** ﷺ : سل هؤلاء الكفرة المعاندين : لمن هذا الملك الواسع ؟ ومن بيده خزائن كل شيء يتصرّف فيها كيف شاء ، وهو يمنع من استجار به والتجأ إليه ، ولا يمنع أحد – مهما كانت سلطته وقوّته – منه أحدًا أراد عذابه وإهلاكه ؟ فإن كان عندكم أدنى تدبّر وعقل فأجيبوني قائلين : الله تعالى ربّ العالمين .



موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ ، والكلام فيه كالكلام في الوقف السابق .

---

(١) انظر : مفردات الراغب (م ل ك) ، وحاشية الجمل ٣/٢٠٠ .
(٢) انظر : حاشية الجمل ٣/٢٠٠ .

الوقف الثامن والأربعون

﴿ قَـٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾

(سُورَةُ المُؤْمِنُونَ – الآية ١١٤)

المفردات :

﴿لَّبِثۡتُمۡ﴾ : مكثتم وأقمتم[١] .

المعنى العام :

يذكر الله ﷻ ما يكون يوم القيامة من حوار بين ملائكـة العـذاب وأهل النار الذين كانوا ينكرون البعث والحساب فـي الـدنيا ، حيـث يسألونهم : ما مقدار مكثكم في الدنيا أو في قبوركم ؟ فيجيبون : مقدار يوم أو بعض يوم ، وهذا من شدة ما هم فيه من العذاب فنسوا ذلك ، وذَهَلوا عنه ، فترد عليهم الملائكة : إن ما مكثتموه في الدنيا أو في قبوركم قليل جدًّا بالنسبة إلى مقدار مُكْثكم في جهنَّم ؛ لأنَّكم ستُخلَّدون فيها .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿إِلَّا قَلِيلٗاۖ﴾ ، وذلك أنه ﷻ يذكر ما يكون من ردّ ملائكة العذاب على أهل النار يوم القيامة ، وأن لبثهم وإقامتهم فـي الدنيا أو في قبورهم كان قليلاً بالنسبة إلى ما هم فيه الآن من العذاب ،

---

(١) انظر : مفردات الراغب ، ومختار الصحاح (ل ب ث) .



وهنا يلزم الوقف على ﴿قَلِيلًا﴾ والابتداء بالجملة الشرطيّة بعده ؛ لأنه لو وصـــل لتوهّم أن لبثهم كان قليلاً في الدنيا متعلّق بكـــونهم يعلمـــون ذلك ، وهذا غير مراد ، فلبثهم كان قليلاً علموا ذلك أم لم يعلموه .

وعليه ، فـ ﴿إِن﴾ بمعنى (ما) النافية ، و﴿قَلِيلًا﴾ نعت لزمن محذوف ، والتقدير : إلا زمنًا قليلاً ، أو نعـــت لمـــصدر محـــذوف ، والتقدير : إلا لبثًا قليلاً ، و﴿لَّوْ﴾ شرطيّة وجوابها محذوف تقديره : لو كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لما أجبتم بهذه المدة[1] .

****

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٦/٤ ، وإملاء ما منّ به الرحمن ٦٦/٤ ، وحاشـــية الجمل ٢٠٤/٣ ، ٢٠٥ .



الوقف التاسع والأربعون

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾

(سُورَةِ الفُرْقَانِ - الآيات ٢٧ - ٢٩)

المفردات :

﴿ٱلظَّالِمُ﴾ : عقبة بن أبي معيط ، وكان قد أسلم ثم ارتدّ إرضاء لصديقه أُبيّ بن خلف ، ويدخل تحتها كل ظالم فعل مثل فعل عقبة[١] .

﴿فُلَانًا﴾ : أُبيّ بن خلف ، وهو الذي حرّضه على الكفر وسبّ رسول الله ﷺ[٢] .

المعنى العام :

في سياق حديث القرآن الكريم عن أهوال يوم القيامة ، وما فيه من فظائع تشيب منها الولدان كتشقق السماء ، وانفطارها عن الغمام الذي يُسوّد الجوّ ويظلمه ، ونزول الملائكة وإحاطتهم بالخلائق ، حين يرى الكافر هذه الأهوال يتحسر ويندم ، ويَعَضُّ على إبهامه متمنيًا أن لو كان قد آمن ، وسلك سبيل الرّشاد ، وآسفًا على اتّخاذه خليلاً كافرًا أضلّه

(١) انظر : مفاتيح الغيب ٣٧/١٢ ، ٣٨ ، والبحر المحيط ١٠١/٨ .
(٢) انظر : المصدرين السابقين .

وأغواه عن دين الحقّ ، بعد أن أوشك على السير في نوره ، والشيطان وأصدقاء السوء لا ينفعان يوم القيامة ، بل يتنصّلان ويتركان صاحبهما يلاقي مصيره وحتفه في نار جهنّم .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿إِذْ جَآءَنِى﴾ ، وذلك لأنه ﷻ ذكر بعض أهوال يوم القيامة ، وما يقوله الظالمون حين يرون ذلك من التحسّر على ما فات ، والندم على ما وقع ، وهنا انتهى كلام الظالم فيلزم الوقف ، والابتداء بـ ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا﴾ ؛ لأنه من كلام الله ﷻ ؛ لأنه لو وصل لتوهّم أن هذه الجملة من كلام الظالم أيضًا ، وليس كذلك ، فلزم الوقف[1] .

وعليه ، فجملة ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ ...﴾ استئنافيّة لا محل لها من الإعراب[2] .

****

(١) انظر : المكتفى ص٤١٦ ، ٤١٧ ، والاقتداء ٢/٢١٢ تحقيق د/ نعيم عطوة ، ومنار الهدى ص٢٧٤ ، وحاشية الجمل ٣/٢٥٥ ، ونهاية القول المفيد ص١٥٥ .
(٢) انظر : حاشية الجمل ٣/٢٥٥ .

الوقف الخمسون

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ (سُورَةِ الفُرْقَانِ – الآية ٣٢)

المعنى العام :

حاول المشركون كثيرًا صدّ الناس عن الإسلام والقرآن ، وباءت كل محاولاتهم بالفشل ، فكانوا تارة يُشوّشون عليه ، ويَلْغَوْن حين سماعه ، وتارة يقولون : إنه شعر ، وتارة يحاولون معارضته والإتيان بما جعلهم هُزْأة بين الناس حين تحدّاهم القرآن الكريم أن يأتوا ولو بمثل أقصر سورة منه ، وهنا تأتي إحدى هذه المحاولات اليائسة ، وهي اعتراضهم على كيفيّة نزول القرآن الكريم مُفرّقًا على حسب الحوادث والوقائع في زمن وصل إلى ثلاث وعشرين سنة قائلين : لِمَ لم ينزل مرة واحدة كما نزلت الكتب السماويّة قبله ، كالتوراة والإنجيل ؟ فردّ عليهم ، وبيّن الله تعالى لرسوله سيدنا **محمد** ﷺ أنه أنزله مفرّقًا لحكمة يعلمها ، هي : تثبيت قلبه ﷺ وتمكينه من حفظه ووعْيه ، ولو نزل جملة واحدة لتعب به ، وأعياه حمله وحفظه ، فسبحان من أنزله على تُؤدة ومَهْل ، وأمر جبريل عليه السلام أن يقرأه عليك قراءة متأنّية ؛ لكي تتعلّم منه هذه القراءة ، وتسير عليها ، ثم تعلم أصحابك والمسلمين من بعدك .



موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ ، حيث ذكر ربّ العزّة ﷻ بعض اعتراضات المشركين وتعنّتهم مع النبيّ سيدنا **محمد** ﷺ حيث سألوا عن سر نزول القرآن الكريم مفرّقًا على حسب الحوادث في سنين طويلة ، وهنا يلزم الوقف على ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ ؛ لأنه نهاية سؤال المشركين ، ثم الابتداء بقوله : ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ...﴾ ، لأنه من كلام الله ﷻ ردًّا عليهم وتوضيحًا لسبب نزوله مُفرّقًا ، وكأن معنى كلامهم : لم أنزل متفرّقًا ؟ فكان الجواب : أنزلناه كذلك متفرّقًا لنثبّت به فؤادك ، ولو وصل لتوهّم أن ﴿كَذَٰلِكَ﴾ من تتمّة كلام المشركين ، وليس كذلك[1] .

وعليه ، فـ ﴿جُمْلَةً﴾ حال من ﴿الْقُرْآنُ﴾ ، والمعنى : مجتمعًا ، و(الكاف) في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ صفة لمصدر محذوف والتقدير : نزلناه تنزيلاً مثل ذلك ، و(اللام) في ﴿لِنُثَبِّتَ﴾ متعلّقة بالفعل المحذوف ، والتقدير : أنزلناه لنثبّت[2] .

---

(١) انظر : القطع ٤٨٢/٢ ، والمكتفى ص٤١٧ ، والاقتداء ٢١٣/٢ تحقيق د/ نعيم ، ومنار الهدى ص٢٧٤ .

(٢) انظر : البيان ٢٠٤/٢ ، والتبيان ٩٨٥/٢ ، والبحر المحيط ١٠٣/٨ ، ١٠٤ ، وحاشية الجمل ٢٥٦/٣ .

الوقف الحادي والخمسون

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ (سُورَةُ الشُّعَرَاءِ - الآيتان ٢٣ ، ٢٤)

المعنى العام :

يذكر ربّ العزّة ﷻ لنبيّه وحبيبه سيدنا **محمد** ﷺ قَصَص الأولين للعبرة والعظة ، وتثبيت القلب ، ومنها قصّة نبيّ الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام وما حدث من الطاغية فرعون معه من المعاندة والمحاجاة ، حيث سأله هنا عن ربّ العالمين ؛ لأن فرعون كان ينكر الألوهيّة ، ويدّعي أنه الإله الذي يُعبد ! فأجابه نبيّ الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام : إن ربّ العالمين هو خالق السماوات والأرض وما بينهما ، وهذا أكبر دليل على وجود الخالق ، فقد استدلّ سيدنا موسى عليه السلام بآثار قدرة الله تعالى على وجوده ، لأنه ﷻ ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[1] ، و﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[2] ، فإن كان عندك يا فرعون جزء من اليقين ، وبصر نافذ فآمن بالله ربًّا .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ ، وذلك لأنه - عزّ شأنه - بعد أن

(١) سورة الأنعام - جزء من الآية ١٠٣ .
(٢) سورة الشورى - جزء من الآية ١١ .

أورد سؤال فرعون لنبيّه سيدنا موسى عليه السلام عن ربّ العالمين ؟ أجابه سيدنا موسى عليه السلام بأنه ربّ السماوات والأرض وما بينهما ، وهنا انتهى السؤال والجواب فيلزم الوقف ، ثم الابتداء بقوله : ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ ؛ لأنه لو وصل لتوهّم أن كونه ﷻ ربّ السماوات والأرض وما بينهما متوقّف على كونهم يوقنون ذلك ، وهذا لا يعقل ، فهو – عزّ شأنه – ربّ السماوات والأرض وما بينهما أيقنوا ذلك وأبصروه أم لا .

وعليه ، فـ ﴿إن﴾ شرطيّة جوابها محذوف تقديره : إن كنتم موقنين بشيء من هذه الأشياء ، فهذا أولى بالإيقان لظهوره ، وإنارة دليله[1] ، أو تقديره : إن كنتم موقنين بإسناد هذه المحسوسات إلى موجود واجب الوجود فاعرفوا أنه لا يمكن تعريفه إلا بما ذكرته لكم[1].

****

(1) انظر : مفاتيح الغيب ١١٤/١٢ ، وحاشية الجمل ٢٧٥/٣ ، ونهاية القول المفيد ص١٦٦ .

الوقف الثاني والخمسون

﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾

(سُورَةُ الشُّعَرَاءِ – الآية ٢٨)

المعنى العام :

حين شرع فرعون في محاجاة نبيّ الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام وبدأ يسأله عن ربّ العالمين ؟ أجابه سيدنا موسى عليه السلام ببيان آثار قدرة الله تعالى في الكون ، فتعجّب فرعون من هذه الإجابة التي لم تعجبه ، مع أنه لو علم أن سؤاله فاسد لما تعجّب .. لأنه ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(١) ، ولا يمكن تعريف ماهية واجد الوجود ﷻ إلا بلوازمه وآثاره(٢) ، ثم زاد سيدنا موسى عليه السلام في التوضيح بأنه ﷻ ربّهم وخالقهم ، بل ربّ آبائهم السابقين عليهم ، فزاد تعجّب فرعون ، وظهرت حماقته وسفاهته فنسب نبيّ الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام إلى الجنون ، فلم يحفل نبيّ الله تعالى بسفاهته ، وعاد إلى تأكيد حُجّته بشيء آخر أوضح من السابقين ، هو أن ربّ العالمين هو القادر على أن يطلع الشمس من مشرقها كل يوم ، ويجعلها تغرب من مغربها كل يوم من غير تخلّف ، وهذا مشاهد لا ينكره إلا مجنون ، فإن كان عندك جزء من عقل فآمن بالواحد القهّار الذي يفعل ذلك .

---

(١) سورة الشورى – جزء من الآية ١١ .

(٢) انظر : مفاتيح الغيب ١١٤/١٢ ، فقد وضّح ذلك بما لا مزيد عليه .

موضع الوقف وسرّه :

حين أجاب سيدنا موسى عليه السلام فرعون عن سؤاله تعجّب ، فزاد نبيّ الله تعالى في البيان ، وإقامة الحُجّة ، حيث ذكر لفرعون وحاشيته أنه ﷻ ربّهم وربّ آبائهم السابقين ، والقادر على جعل الشمس تطلع كل يوم من مطلعها ، ثم تغرب من مغربها ، وهذا من أبلغ الحُجج ، ولذا أبْلس فرعون ، وانقطعت حُجّته ، وهنا يلزم الوقف على ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ ثم الابتداء بـ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ؛ لأنه لو وصل لتوهّم أن كونه ﷻ ربّ المشرق والمغرب وما بينهما متوقّف على كونهم يعقلون ذلك ويعرفونه ، وهذا غير مراد ، بل مستحيل ، فهو ﷻ ربّ السماوات والأرض وما بينهما ، وربّ المشارق والمغارب وما بينهما ، عقلوا ذلك أم لم يعقلوه .

وعليه ، فـ ﴿إِن﴾ شرطيّة جوابها محذوف تقديره : إن كنتم من العقلاء علمتم أنه لا جواب لكم عن سؤالكم فوق ما ذكرت لكم[1] ، أو تقديره : إن كنتم تعقلون فآمنوا به ووحّدوه .

****

(1) انظر : مفاتيح الغيب ١١٦/١٢ ، وحاشية الجمل ٢٧٦/٣ .



الوقف الثالث والخمسون

﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ (سُورَةِ الشُّعَرَاءِ – الآية ١١٣)

المعنى العام :

يذكر القرآن الكريم ما حدث بين سيدنا نوح عليه السلام وبين قومه حين علّلوا عدم إيمانهم به : أنه اتّباع الضعفاء والأراذل له طمعًا في جاه أو مال ، فردّ عليهم : أنه قد أرسل لجميع الناس المعاصرة له : غنيّهم وفقيرهم ، شريفهم ووضيعهم ، فمن آمن به فهو من أتباعه ، وله الظاهر منه فقط ، أمّا باطنه وسرائره ، فالذي خلقه مطّلع عليها ، ومجازيه بها ، إذن فلا حُجّة لكم في عدم الإيمان .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿عَلَىٰ رَبِّي﴾ ، وذلك أن سيدنا نوحًا عليه السلام يردّ على مشركي قومه الذين تعلّلوا بأنهم لن يؤمنوا به حتى يطرد ضعفاء المؤمنين قائلاً لهم : ما حسابهم وجزاؤهم إلا عند خالقهم ليس عندي . وهنا يلزم الوقف على ﴿رَبِّي﴾ والابتداء بجملة ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ ؛ لأنه لو وصل لتعلّق كون حسابهم على الله تعالى بعلم المشركين ذلك ، وهذا غير مراد ، فحسابهم على الله تعالى علم المشركون ذلك أم لم يعلموه .

وعليه ، فـ ﴿إِنْ﴾ نافية ، و﴿حِسَابُهُمْ﴾ مبتدأ و(هم) مضاف

إليه ، و﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء ملغاة ، و﴿عَلَىٰ رَبِّي﴾ متعلّق بمحذوف خبر المبتدأ و﴿لَوْ﴾ شرطيّة جوابها محذوف تقديره : لو تعلمون ذلك ما عبتموهم ، أو لو تعلمون أن الحساب حقّ لأسرعتم إلى الإيمان[1] .

****

(1) انظر : البحر المحيط ١٧٧/٨ ، وحاشية الجمل ٢٨٦/٣ .



الوقف الرابع والخمسون

﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (سُورَةُ النَّمْلِ - الآية ٣٤)

المعنى العام :

يذكر ربّ العزّة ﷻ في القرآن الكريم قصص الأنبيـــاء الـــسابقين للعبرة والعظة ، ومنها قصّة نبيّ الله تعالى سيدنا سليمان عليه السلام الذي أتاه الله تعالى من الملك ما لم يُؤت أحدًا بعده ، وهنا يذكر ما حـــدث بينـــه وبين بلقيس ملكة سبأ ، حيث زيّن الشيطان لها ولقومها عبادة الشمس ، وأراد نبيّ الله تعالى صرفها عن ذلك ، ودعوتها لعبادة الواحد القهّار ، فبعث إليها كتابًا مع الهدهد ، فقرأته ثم استـــشارت أشـــراف قومهـــا ، فعرضوا عليها الحرب والقتال ؛ لأنهم أهل بأس وقوّة ، ولكنّها ســـفّهت رأيهم ، وخرّبت فكرتهم ، بأن بيّنت لهم عاقبة الحرب ، وبخاصـــة إذا كان المحارَب ذا بأس شديد ، حيث إن الملوك إذا استولوا على بلدة مـــا قهْرًا وغلبة هدموها وأحرقوها ، وأهانوا أشـــرافها ، وأذلّـــوهم بالقتـــل والأسر والتشريد ، فركنوا لرأيها ، وساروا على ما دعتهم إليـــه مـــن المهادنة والصلح ، ثم عقّب ربّ العزّة على كلامها بأن الملـــوك فعـــلاً عادتهم تلك : التخريب والإفساد إذا دخلوا قرية عَنْوة .



موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ ، حيث ذكر القرآن الكـريم مـا قالته بلقيس ردًّا على أشراف قومها حين أشاروا بالحرب والقتال ضـد نبيّ الله تعالى سليمان عليه السلام فبيّنت لهم عاقبة ذلك من التخريب والفـساد والأسر والقتل ، وهنا انتهى كلامها ، فيلزم الوقف ، ثم الابتـداء بـ ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ؛ لأنه من كلام الله ﷻ تعقيبًا على كلامها[1] .

هذا هو الراجح في هذا الوقف ؛ لأن بعض العلمـاء – ومـنهم : العكبري[2] ، وأبو حيّان[3] – أجازوا أن يكون ذلك من كلامهـا قالتـه تأكيدًا لما ذكرت من حال الملوك ، لنشأتها في بيت مُلْـك ورياسـة ، فرأت ذلك وسمعت ، أو من كلام الله تعالى إعلامًا لرسوله سيدنا **محمد** ﷺ وأمّته ، وتصديقًا لإخبارها عن الملوك إذا تغلّبوا ، وعلى رأيهم فلا يكون الوقف لازمًا بل جائزًا .

ومنهم من قال : إن ذلك من كلامها فقط ، وهم : الزمخشري[4] ، والرازي[5] ، والجمل[6] .

---

(1) انظر : القطع ٥٠١/٢ ، والمكتفى ص٤٢٩ ، والاقتداء ٤٢/١ تحقيق د/ محمد سعد ، ٢٤٠/٢ تحقيق د/ نعيم ، ومنار الهدى ص٢٨٥ ، ونهاية القول ص١٥٥ .
(2) انظر : التبيان ١٠٠٨/٢ .
(3) انظر : البحر ٢٣٦/٨ .
(4) انظر : الكشاف ١٤٢/٣ .
(5) انظر : مفاتيح الغيب ٢٠٨/١٢ .
(6) انظر : حاشية الجمل ٣١٢/٣ .



وعليه ، فيكون الوصل أولى من الوقف . وأميل إلى الــرأي الأوّل الذي يقول بلزوم الوقف ؛ لأن ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ من كلام الله ﷻ لا من كلامها ، لأنها هي قد ذكرت أنهم يفسدون ، فليس في تكرير هــذا الكلام منها فائدة جديدة[1] .

****

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/١١٦ .

الوقف الخامس والخمسون

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ اللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (سُورَةِ القَصَصِ - الآية ٦٨)

المفردات :

﴿الْخِيَرَةُ﴾ بوزن (العِنَبَة) : الحالة التي تحصل للمستخير والمختار ، نحو القِعْدة والجِلْسة لحال القاعد والجالس[١] ، وقيل : ﴿الْخِيَرَةُ﴾ من التّخيّر كالطِيَرة من التّطيّر تستعمل بمعنى المصدر ، وهو (التّخيّر) ، وبمعنى (المتخيّر) ، كقولهم : " **محمد** ﷺ خيرة الله من خلقه "[٢] .

المعنى العام :

يردّ الله ﷻ على من قال : ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[٣] بأن هذا ليس لهم ، ولا من شأنهم ؛ لأن له ﷻ العزّة المطلقة ، والمشيئة الكاملة ، فيختار من يشاء من عباده لأداء رسالاته ، بل ليس لأحد من خلقه اختيار شيء ما ، مع اختيار الله تعالى الحكيم في أفعاله ، والواجب على كل مؤمن ومؤمنة الخضوع التام ، والرضا

---

(١) انظر : مفردات الراغب (خ ي ر) .
(٢) انظر : الكشاف ١٧٦/٣ .
(٣) سورة الزخرف – جزء من الآية ٣١ .



الكامل لأحكام الله تعالى وأوامره ، وأوامـر رسـوله ﷺ ، وسـبحانه وتعالى المنزّه بصفات الكمال والجلال والجمال عمّا يقوله المشركون .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿وَيَخْتَارُ﴾ ، وذلك لأنه ﷻ ردّ على من قال قولاً ، وزعم زعمًا ، يرد به اختيار الله العزيز الحكيم ، صاحب العزّة والمشيئة ، المتفرّد بالعظمة والجبروت ، وهنـا يلـزم الوقـف علـى ﴿وَيَخْتَارُ﴾[1] ، ثم الابتداء بجملة ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ ، وقد رجّح هذا الوقف كثير من العلماء ، كالزجاج الذي يقـول[2] : " أجـود الوقوف علـى ﴿وَيَخْتَارُ﴾ وتكـون ﴿مَا﴾ نفيًـا " ، والـرازي ، والقرطبي ، وأبي حيّان ، والسمين ، الجمل ، والـشوكاني[3] ، وذلـك بجعل ﴿مَا﴾ نافية ، لا موصولة ، وهو الذي يتّفق ومذهب أهل السُّنّة ، في أنه ليس لهم أن يختاروا على الله تعالى أن يفعل كذا وألا يفعل كذا ، خلافًا لقول المعتزلة في إيجاب الصلاح والأصلح عليه ﷻ[4] .

---

(١) انظر : القطع والائتناف ٥١٤/٢ ، وإعراب القرآن لابن النحّاس ١٦٥/٣ ، والمكتفى ص٤٣٩ ، والاقتداء ٢٥٩/٢ تحقيق د/ نعيم ، ومنار الهدى ص٢٩٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١٥١/٤ .

(٣) انظر : مفاتيح الغيب ٣١١/١٢ ، والجـامع ٣٠٥/١٣ ، والبحـر ٣٢٠/٨ ، والـدر المصون ٦٩١/٨ ، وحاشية الجمل ٣٥٨/٣ ، وفتح القدير ٢٥٦/٤ .

(٤) انظر : مفاتيح الغيب ٣١١/١٢ ، ومنار الهدى ص٢٩٣ .

الوقف السادس والخمسون

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (سُورَةِ القَصَصِ – الآية ٨٨)

المعنى العام :

يخاطب الله تعالى نبيّه سيدنا **محمدًا** ﷺ والمراد غيره ، فينهاهم عن اتّخاذ إله آخر من الآلهة المزعومة الكاذبة التي لا تنفع ولا تضر ، بل لا تملك لنفسها أدنى شيء من جلْب نفع ، أو دفع ضرّ ، وإنما عليهم أن يعبدوا الإله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الباقي بلا نهاية ، الموجود بلا بداية ، سبحانه الحي الذي لا يموت – وكل شيء هالك – فإن له مقاليد السماوات والأرض ، وإليه المرجع والمآب .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ ، وذلك أنه ﷻ ينهى الخلائق عن اتّخاذ إله آخر من الآلهة الفاسدة ، وهنا يلزم الوقف على ﴿ءَاخَرَ﴾ والابتداء بجملة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ...﴾ التي هي صفة لله ﷻ ؛ لأنه لو وصل لتوهّم أن جملة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ صفة للإله الآخر ، وليس كذلك[١] .

---

(١) انظر : منار الهدى ص٢٩٤ .



و﴿وَجْهَهُۥ﴾ منصوب على الاستثناء ، والمراد : إلا إيّاه ، ولكن جاء على عادة العرب في التعبير بالأشرف عن الجملة ، وقيل المراد : ما عمل لذاته وطاعته ، وما توجه به نحوه ، على حد قول الشاعر :

أستغفرُ اللهَ ذنبًا لستُ مُحْصِيهُ ∴ ربَّ العِبَاد إليه الوَجْهُ والعَمَلُ[1]

أي : أوجه إليه عملي[2] .

****

(١) البيت من البسيط ، وهو من أبيات سيبويه المجهولة القائل ، وهو في الكتاب ٣٧/١ ، والمقتضب ٣٢٠/٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٦٣/٧ ، ٥١/٨ ، والخزانـة ١١١/٣ ، ١٢٤/٩ ، والمعجم المفصل في شواهد النحو الشعريّة د/ إميل بديع ٧٠٩/٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٣١٤/٢ ، والبيان للأنباري ٢٣٩/٢ ، وإملاء ما منّ به الرحمن ١٦٠/٤ ، والبحر المحيط ٣٣٢/٨ ، وحاشية الجمل ٣٦٥/٣ .

الوقف السابع والخمسون

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سُورَةُ العَنكَبُوتِ – الآية ١٦)

المعنى العام :

فـي معرض تذكير قريش وتنبيههم إلى ما هم فيـه مـن خطـأ وضلال ، من عبادة الأصنام التي نحتوها بأيديهم ، وصـنعوها علـى أعينهم ، ثم عبدوها من دون الله تعالى يخبر الله ﷻ عن نبيّه وخليلـه سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو أبو العرب جميعًا ، أنه نهى قومه عن عبـادة الأصنام ، وعلّل لهم سر ذلك ؛ بأنها لا تدفع الضرر عن نفسها ، فكيف تجلب لغيرها النفع ؟! ثم حثّهم على عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، والخوف منه ﷻ ، وذلك هو الخير لهم ، والفلاح في الدنيا والآخـرة ، إن عقلوا ذلك وعلموه .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ، وذلك أنه – عز شأنه – يحكـي ما قاله سيدنا إبراهيم عليه السلام لقومه ، من نهيهم عن عبادة الأوثان ، وحثّهم على عبادة الواحد الديّان ، وأن في ذلك الخير لهم ، وهنا يلزم الوقـف على قوله : ﴿ لَّكُمْ ﴾ والابتداء بجملة ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ؛ لأنه لو وصل لصار كون ذلك خيرًا لهم معلّقًا بشرط كونهم يعلمون هـذا ،



وهـذا غير مراد ، فعبادة الله تعالى وحده لا شـريك لـه خيـر لهـم ولغيرهم ، علموا ذلك أو لم يعلموه .

وعليه ، فـ ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ منصوب على أنه مفعـول بـه لفعـل محذوف تقديره : اذكر ، أو على أنه معطوف على (نوحًا) ، أو علـى أنه معطوف على الضمير في (أنجيناه) ، و﴿إِذْ﴾ بدل اشـتمال مـن (إبراهيم) ، وجملة ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ في محل نصب مقول القول ، و﴿إِن﴾ شرطيّة جوابها محذوف تقديره : ما عبدتم الأصنام[1] .

****

(١) انظر : الكشاف ١٨٦/٣ ، والبحر المحيط ٣٤٧/٨ ، والمغني ص١١١ ، وحاشـية الجمل ٣٧٠/٣ .



الوقف الثامن والخمسون

﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾
(سُورَةُ العَنكَبُوتِ – الآية ٢٦)

المعنى العام :

يقص الله تعالى على نبيّه سيدنا **محمد** ﷺ قصص الأنبياء السابقين عليه ، وما لاقوه من أقوامهم تثبيتًا لقلبه ، وتسلية له عمّا يجده من المشركين ، من سخرية واستهزاء ، وتكذيب ومعاندة ، فيخبره بقصّة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام الذي دعا قومه إلى ترك عبادة الأوثان ، وعبادة الله الواحدة الديّان ، فكذّبوه ، بل حاولوا تحريقه كيدًا ، ولكن العلي القدير قال للنار التي أُلقي فيها : ﴿ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا ﴾[1] ونجّاه الله تعالى من مكرهم ، وآمن به نفر قليل ، كزوجه ، ونبيّ الله سيدنا لوط عليه السلام ، ثم تركهم سيدنا إبراهيم عليه السلام وهاجر إلى أرض فلسطين فارًّا بدينه ، وملتجئًا إليه ﷻ ؛ لأنه ينصر من يلجأ إليه ويحتمي به ، وهو وحده العزيز الحكيم .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿ لُوطٌۘ ﴾ ، وذلك أنه ﷻ يخبر نبيّه سيدنا **محمدًا** ﷺ أن ممن آمن وصدّق بنبيّ الله سيدنا إبراهيم سيدنا لوط عليهما السلام ،

(١) سورة الأنبياء – جزء من الآية ٦٩ .

وهنا يلزم الوقف على ﴿لُوطٌ﴾ والابتداء بجملة ﴿وَقَالَ إِنِّي ...﴾ ؛ لأنه لو وصل لتوهّم أن الضمير في ﴿وَقَالَ﴾ عائد على سيدنا لــوط عليه السلام ، وليس كذلك ، إنّما هو عائد على سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام[(١)] .

هذا ما عليه جمهور العلماء[(٢)] ، من لزوم الوقف ؛ لأن الضمير في ﴿وَقَالَ﴾ عائــد علــى ســيدنا إبــراهيم عليه السلام ، لأن بعــض العلمــاء كالقرطبي[(٣)] ، وابن كثير[(٤)] ، جوّزا الوصل ؛ لأن الضمير ليس متعيّنًا لسيدنا إبراهيم عليه السلام ، بل يجوز عودته على سيدنا لــوط عليه السلام ؛ لأنــه أقرب المذكورين .

وهذا ليس بالقويّ ؛ لأن المعلوم أن الذي هاجر هو سيدنا إبــراهيم وليس سيدنا لوطًا عليهما السلام ، يؤكّد هذا قوله بعد هذه الآية : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ...﴾[(٥)] وهؤلاء الأنبياء عليهم السلام أولاد سيدنا إبــراهيم لا أولاد سيدنا لوط عليهم السلام .

---

(١) انظر : القطع والائتناف ٥٢٢/٢ ، والاقتداء لابن النكزاوي ٢٦٦/٢ تحقيق د/ نعــيم عطوة ، ومنار الهدى ص٢٩٦ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٣١٦/٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٦٧/٤ ، والكــشاف للزمخشري ١٨٩/٣ – ط/ دار المعرفة – بيــروت ، والبحــر المحــيط ٣٥٢/٨ ، وحاشية الجمل ٣٧٤/٣ .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ٢٢٥/١٣ – دار الكتب العلّميّة – بيروت ، وحاشية الجمل ٣٧٤/٣ .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤١٠/٣ .

(٥) سورة العنكبوت – جزء من الآية ٢٧ .

الوقف التاسع والخمسون

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ (سُورَةُ العَنكَبُوتِ - الآية ٤١)

المفردات :

﴿ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ : دُويّبة تنسج بيتها في الهواء ، وهي قصار الأرجل ، كبار العيون ، للواحد ثمانية أرجل وست عيون ، ويصيد الذباب فلا يخطئه ، وهو من أقنع الأشياء برزقه ، والذباب من أحرص الأشياء ، فسبحان اللطيف الخبير الذي جعل رزق أقنع الأشياء في أحرص الأشياء ! وبيت العنكبوت من أوهن البيوت وأضعفها ، فلا يقيه بردًا ولا حرًّا ، ولا عدوًّا ولا خطرًا[1] .

المعنى العام :

يضرب الله ﷻ الأمثال للناس العقلاء ، ويقرّب لهم الأشياء لكي يفهموها ، فيبيّن – عزّ شأنه – أن حال الكافرين الذين اتّخذوا الأصنام آلهة يعبدونها من دون الله تعالى كحال العنكبوت التي اتّخذت وبنت لنفسها بيتًا من نسج وَاهٍ ضعيف لا يدفع عنها خطرًا ، أو يدرأ عنها بردًا أو حَرًّا ، فكذا حال الكافرين لا تنفعهم عبادة الأصنام التي اتّخذوها

---

(١) انظر : حياة الحيوان للدميري ٢/ ٩٠ – ٩٣ ، والمستطرف للأبشيهي ٢/ ١٣٨ .

مُعتَمدًا ومُتّكلاً من دون الله تعالى ، ولو كانوا يعقلون حقيقة ذلك ما عبدوا هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ ، وذلك لأنه – تبارك اسمه – بعد أن بيّن حال المشركين في عبادتهم الأصنام ، واجتهادهم في التقرّب إليها ، وأن ذلك مضمحل لا ينفعهم في دنيا أو آخرة ، وأنهم كالعنكبوت تجتهد وتجدّ في بناء بيتها الواهي الضعيف ، الذي لا يقيها برد الشتاء أو حَرّ الصيف ، بل تخرقه هي بأرجلها ، أو تهدمه أدنى هامة تلمسه ، وهنا يلزم الوقف على قوله : ﴿لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ والابتداء بجملة ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ؛ لأنه لو وصل لصار تقرير أن أوهن البيوت بيت العنكبوت معلّق بشرط علمهم بذلك ، وهذا غير مراد ، فكل أحد يعلم ذلك ويُقرّ به ، ومنهم هؤلاء المشركون[1] .

وعليه ، فـ ﴿لَوْ﴾ شرطيّة وجوابها محذوف وتقديره : لو كانوا يعلمون أن هذا مثَلُهم ، ما اتّخذوا الأصنام آلهة[2] .

****

(1) انظر : الكشاف ١٩١/٣ ، والبحر المحيط ٣٥٧/٨ ، وحاشية الجمل ٣٧٦/٣ .
(2) انظر : البحر ٣٥٧/٨ ، وحاشية الجمل ٣٧٦/٣ .



الوقف الستّون

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾
(سُورَةُ العَنكَبُوتِ - الآية ٤٥)

المعنى العام :

يأمر الله تعالى رسوله سيدنا **محمدًا** ﷺ بتلاوة ما أُوحي إليه من القرآن الكريم ، والمداومة على إقامة الصلاة التي هي عماد الدين ، وأحد أركان الإسلام ، وهي تنهى المسلم عن إتيان فاحشة ما ، أو الوقوع في كبيرة ، وحين يذكر المسلم ربّه في الصلاة أو غيرها من الأعمال الصالحة ، يذكره ربّه ، ويرعاه ، ويثيبه ، وهذا أكبر من كل ذِكْر على الإطلاق ، وهو ﷻ لا تخفى عليه خافية ، ويجازي كل إنسان على ما قدّم من خير وشرّ .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿أَكْبَرُ ۗ﴾ ، وذلك بعد أن أمر الله ﷻ الرسول ﷺ وأمّته معه بالمداومة على الصلوات المفروضة ، وبشّرهم بأنهم حين يذكرون الله تعالى سيذكرهم الله تعالى ، وهذا الذِكْر أعظم وأكبر من كل ذِكْر على الإطلاق ، وهنا يلزم الوقف على ﴿أَكْبَرُ ۗ﴾ لتمام

الكــلام[1] ، ثم الابتــداء بجملة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ ، وعليــه فــ ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ مبتدأ وخبر ، و(الــلام) للابتــداء ، واســم الجلالة مبتدأ ، وجملة ﴿يَعْلَمُ﴾ في محل رفع خبر المبتــدأ ، و﴿مَا﴾ في محل النصب مفعول به ، وجملة ﴿تَصْنَعُونَ﴾ صلة الموصــول لا محل لها من الإعراب[2] ، وعلى هذا الإعراب تكون (الواو) قبل اســم الجلالة للاستئناف .

****

(١) انظر : القطع لابن النحّاس ٥٢٥/٢ ، والمكتفى للداني ص٢٠٦ ، ٤٤٥ ، والاقتــداء ٣١٧/١ تحقيق د/ محمد سعد ، ٢٦٩/٢ تحقيق د/ نعيم عطوة .

(٢) انظر : إعراب القرآن للدرويش ٥/٦ .

الوقف الحادي والستّون

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ (سُورَةُ العَنكبُوت – الآية ٦٤)

المفردات :

﴿ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ : الحياة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها ، فكأنها في ذاتها حياة ، وهو في الأصل مصدر (حيى) وسُمّي به ما فيه حياة ، كما قالوا : " اشتر من الحيوان ولا تشتر من الموتان "[1] .

المعنى العام :

يقول الله تعالى – وقولُه الحقّ – لعباده مُزهّدًا لهم في هذه الحياة الفانية : إن هذه الحياة الدنيا لحقيرة سريعة الزوال عنكم ، وما مكثكم فيها إلا كمقدار ما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرّقون ، فاتركوها وراء ظهوركم ، واعملوا للحياة الباقية الدائمة ، وهي الحياة الحقيقيّة ، ولا عجب في ذلك ، لأنها لا موت فيها ، ولا هَمّ ولا حَزَن ، بل فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ولو كان الكافرون – وغيرهم من اللاعبين اللاهين العابثين – يعلمون ذلك لما اختاروا الفاني على الباقي ، ولما ركنوا إلى الدنيا تاركين الآخرة .

---

(١) انظر : الكشاف ١٩٥/٣ – ط/ دار المعرفة ، والبحر ٣٦٦/٨ .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾ ، وذلك أنه ﷺ أخبر عن حقيقة الدنيا ، وأنها لهو ولعب ، وعن حقيقة الآخرة ، وأنها الحياة الباقية الدائمة ، وهنا يلزم الوقف على ﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾ والابتداء بجملة ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ؛ لأنه لو وصل لصار وصف الدار الآخرة بالحيوان معلّقًا بشرط أن لو كانوا يعلمون ذلك ، وهذا محال ؛ لأن وصف دار الآخرة بذلك واقع علموا ذلك أو لم يعلموه(1) .

وعليه ، فـ ﴿لَوْ﴾ شرطيّة جوابها محذوف وتقديره : لم يؤثروا دار الفناء عليها(2) .

هذا ، و﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾ عند الخليل وسيبويه(3) مصدر (حيي) ، وأصله (الحييان) – بياءين – أبدلت (الياء) الثانية (واو) كراهية لاجتماع ياءين متحرّكين ، وقيل : إن هذا الإبدال شاذ ، وقيل : لئلاّ يلتبس بالمثنّى لو قيل (حييان) ولم تقلب (ألف) مع تحرّكها وانفتاح ما قبلها لئلاّ تحذف إحدى الألفين(4) .

---

(1) انظر : منار الهدى ص٢٩٨ .
(2) انظر : البحر المحيط ٣٦٦/٨ ، وحاشية الجمل ٣٨٢/٣ .
(3) انظر : الكتاب لسيبويه ٤٠٩/٤ ، والبيان للأنباري ٢٤٦/٢ .
(4) انظر : إملاء ما منّ به الرحمن ١٦٩/٤ ، وحاشية الجمل ٣٨٢/٣ ، والأشباه للسيوطي ٢٤/١ .



ويرى بعض العلماء ، كالمـــازني أن (واو) ﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾ ليـــست مبدلة من (الياء) ، إنما هي أصل فيه ، وإن لم يكن له فعل ، كما قالوا : " فاظ الميت يفيظ فيْظًا وفوْظًا " وإن لم يستعملوا من (فَوْظ) فعلاً[1] .

وأرجّح ما ذهب إليه الخليل وسيبويه ، لأنه يردّ على المازني بأنه حمل ما لا يوجد في الكلام وهو (حيوان) المصدر الذي عينـــه (واو) ، ولامه (ياء) ، على ما يوجد في الكلام كثيرًا ، وهو (فَـــوْظ) المـــصدر الذي عينه (واو) ، و(فاؤه) و(لامه) صحيحان ، ومثله : صوْغ ، وقوْل ، وموْت ، وأشباهها ، وكأنهم استجازوا قلب (الياء) الثانية في (حييـــان) (واو) مع عدم وجود علّة – علمًا بأن (الواو) أثقل من (الياء) – ليكون ذلك عوضًا لـــ (الواو) من كثرة دخول (الياء) وغلبتها عليها[1] .

فإن قلت : ما السر في أنه أتى بـــ (حيوان) ولم يقل (حياة) ؟

قلت : في (حيوان) زيادة مبني تدلّ على زيادة معنى ، لأن مصدر (فَعَلان) يدلّ على ما فيه حركة واضطراب كالغَلَيان ، والجَوَلان ، والطَّوَفان ، وما أشبه ذلك ، والحياة حركة كما أن الموت سكون ، فمجيء المصدر (حيوان) على بناء دالّ على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة[2] .

****

---

(١) انظر : المنصف لابن جنّي ٢/٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ولسان العرب (ح ي ا) .
(٢) انظر : الكشاف ٣/١٩٥ – ط/ دار المعرفة .

الوقف الثاني والستّون

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾

(سُورَةُ الرُّومِ – الآية ٨)

المعنى العام :

يوبّخ الله ﷻ الكافرين على عدم التفكّر والتبصّر في أنفسهم حتى يؤمنوا ويثوبوا إلى رشدهم ، ولكنّهم غارقون في دنياهم ، عَمُون عن آخرتهم ، ولو تفكّروا ورجعوا لوجدوا أن الله تعالى – جلّت قدرته – خلق كل شيء فقدّره تقديرًا ، ومن ذلك ما يشاهدونه بأعينهم من آيات السماء والأرض وما بينهما ، كل ذلك مخلوق بالحق والحكمة لأجل مقدّر عنده ﷻ ، ولكن كثيرًا من الخَلْق غافلون لاهون عن هذه الحكمة ، غير مؤمنين بأنّهم راجعون إلى ربّهم للحساب والجزاء .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿ فِىٓ أَنفُسِهِمْۗ ﴾ ، وذلك لأن الله ﷻ وبّخ الكافرين وأمثالهم من المعاندين والمنافقين على عدم التفكّر والتبصّر في أنفسهم التي هي أقرب شيء إليهم ، ولو تبصّروا ذلك لآمنوا ورجعوا إلى ربّهم ،



وهنا يلزم الوقف على ﴿فِىٓ أَنفُسِهِمۗ﴾ لتمام المعنى[1] ، ثم الابتداء بجملة ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ لأنها جملة استئنافيّة لا محل لها من الإعراب ، و﴿مَّا﴾ نافية ، و﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فعل وفاعل ومفعول ، والجملة لا تعلّق لها بما قبلها[2] .

****

(1) انظر : إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ص٦٧١ ، والمكتفى للداني ص٢٨١ ، والاقتداء لابن النكزاوي ٢٧٥/٢ تحقيق د/ نعيم عطوة .

(2) انظر : التبيان ١٠٣٧/٢ ، والدر المصون ٣٣/٩ ، وحاشية الجمل ٣٨٦/٣ ، وإعراب القرآن للدرويش ٣٣/٦ .

الوقف الثالث والستّون

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾
(سُورَةُ سَبَإٍ – الآية ٤٦)

المفردات :

﴿مَثْنَىٰ﴾ : لفظ معدول عن (اثنين اثنين) ويُمنع من الصرف للعدل والوصف[١] ، ووزنه (مَفعل) .

﴿تَتَفَكَّرُواْ﴾ : تتبصّروا وتتأمّلوا[٢] .

﴿جِنَّةٍ﴾ : جنون[٢] .

المعنى العام :

يأمر الله ﷻ رسوله سيدنا **محمدًا** ﷺ أن يبلغ هؤلاء الكافرين ويعظهم بخصلة واحدة – إن فعلوها تخلّصوا مما هم فيه ، وأصابوا الحقّ الصُّراح – هي أن يقوموا لوجه الله تعالى خالصين اثنين اثنين ، وواحدًا واحدًا ، ثم يتفكّر كل اثنين في أمر رسول الله ﷺ الذي تربّى في محيطهم ، ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ويعرض كل واحد منهما

---

(١) انظر : الدر المصون ٣/٥٦٢ ، ٥٦٣ .

(٢) انظر : حديثي عنهما مفصلاً عن الآية ١٨٤ من سورة الأعراف (الوقف الثالث والثلاثون) .

محصول فكره على صاحبه ، وينظران فيه نظر متصادقين متصافيين ، من غير ميل إلى هوى ، أو ركون إلى عصبيّة ، حتى يصلاَ إلى الحقّ المبين ، والنظر الصائب في أمر رسول الله ﷺ ودعوته ، وأنه ليس به شيء مما يفترونه عليه من الجنون أو السحر أو الشعر أو الكهانة ، بل هو نذير مأمور من ربّه أن ينذرهم عاقبة أمرهم من العذاب الشديد إن خالفوا ، ويبشّرهم جنّة ربّهم إن أطاعوا وآمنوا ، وكذا يفعل كل واحد مع نفسه بعدل ونَصَفَة ، من غير مكابرة ولا عناد ، حيث يعرض ما يعلمه من أمر رسول الله ﷺ ودعوته على عقله وذهنه ، وما استقرّ عنده من عادات العقلاء وتجارب الحكماء حتى يهتدي إلى الحقّ وإلى الطريق المستقيم[١] .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ ، وذلك لأن الله ﷻ أمر رسوله سيدنا **محمدًا** ﷺ أن يبلغ الكافرين أن يقوم كل اثنين منهم لوجه الله تعالى خالصين ، وكذا يقوم كل واحد مع نفسه ، فيتفكّر الاثنان معًا في أمر رسول الله ﷺ ودعوته ، حتى يصلاَ إلى الرأي الصائب والحقّ الواضح أنه نذير لهم من عند الله ﷻ ، وهنا يلزم الوقف على ﴿تَتَفَكَّرُوا﴾ لتمام المعنى عنده[٢] ، ثم الابتداء بجملة ﴿مَا

(١) أفدت مما كتبه العلامة الزمخشري في الكشاف ٣/٢٦٣ .
(٢) انظر : القطع لابن النحّاس ٢/٥٦٥ ، والمكتفى ص٢٨١ ، ٤٦٦ ، والاقتداء لابن =

بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ... ﴾ ، وعليه ، فـ ﴿مَا﴾ نافية ، و﴿بِصَاحِبِكُم﴾ جار ومجرور متعلّق بمحذوف خبر مقدّم ، و﴿مِّن﴾ صلة ، و﴿جِنَّةٍ﴾ مبتدأ مؤخّر مجرور لفظًا مرفوع محلاً ، والجملة استئنافيّة لا محل لها من الإعراب[1] .

وهذا الوقف ما عليه أكثر العلماء كابن النحّاس ، والداني ، وابن النكزاوي ، والأشموني[2] ، وهو الذي يتّفق ومعنى الآية هنا ؛ لأن الفراء[3] قال : " إن المعنى : ثم تتفكّروا هل جربتم على **محمد** ﷺ كذبًا ، أو رأيتم به جنونًا ؟ ففي ذلك ما تتيقّنون أنه نبيّ " ، وما ذكره الفراء يجعل الوقف غير تام ؛ لتعلّق الجملة بعده بـ ﴿تَتَفَكَّرُوا﴾ إلا أن ما ذكره الفراء مرجوح ؛ لمخالفته لأكثر علماء الوقف الذين سبق ذكرهم ، يعضّد هذا ما سبق من وقف مشابه ، وهو قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[4] ، وقال بلزوم الوقف عليه كثير من العلماء[5] .

= النكزاوي ٣١٤/٢ تحقيق د/ نعيم ، ومنار الهدى ص٣١٤ .

(١) انظر : الدر المصون ٢٠٠/٩ ، وحاشية الجمل ٢٨٠/٣ ، وإعراب القرآن للدرويش ٢٥١/٦ .

(٢) انظر : المصادر في الحاشية رقم (٢) من الصفحة السابقة .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٣٦٤/٢ .

(٤) سورة الأعراف – الآية ١٨٤ .

(٥) انظر : حديثي عنه ص١٤٧ – ١٤٩ .



الوقف الرابع والستّون

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾

(سُورَةِ يسٓ – الآية ٧٦)

المعنى العام :

يقول الله ﷻ لنبيّه سيدنا **محمد** ﷺ مسلّيًا له عمّا يحدث من الكفرة المعاندين من إيذاء وتكذيب ومعاندة ومكابرة : لا تحزن من أفعـــالهم ، ولا تلق بالاً لأقوالهم ، فهم فَجَرَة كَذَبَة ، نحن نعلم ما يدور في أفئـــدتهم من مكر ودهاء ، وسنعاقبهم على ذلك عقابًا شديدًا في الدنيا والآخرة ، في الدنيا بالقتل والأسر والهوان والذلّ ، وفي الآخرة بالعذاب في جهنّم والخلود في سقر .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿قَوْلُهُمْ﴾ ، وذلك أنه ﷻ ينهى حبيبه ونبيّـــه سيدنا **محمدًا** ﷺ عن الحزن من أقوال المشركين ، وتكذيبهم له ، وهنا يلزم الوقف على ﴿قَوْلُهُمْ﴾ والابتداء بجملة ﴿إِنَّا نَعْلَمُ ...﴾ ؛ لأنه لو وصل لتوهّم متوهّم ضعيف الإدراك أن جملة ﴿إِنَّا نَعْلَمُ ...﴾ هي مقول الكافرين ، وليس كذلك ، إنما هي من كلام الله ﷻ ردًّا عليهم ، وتهديدًا لهم ، وزجرًا شديدًا ، ووعيدًا أكيدًا ، يزيد على هذا أنها لو كانت مـــن مقولة الكافرين لما كان هناك وجـــه لكفرهم ، ولمـــا كـــان هنـــاك داع



لحزن النبيّ ﷺ[1] .

وعليه فمقول قولهم محذوف وتقديره : لست مرسلاً ، أو: أنت شاعر ، أو ساحر ، وتكون جملة ﴿إِنَّا نَعْلَمُ ...﴾ لا محل لها من الإعراب لابتدائيّتها ، أو هي جواب لسؤال مقدّر تقديره : لم لا يحزنه قولهم وهو مما يحزن ؟

فأجيب : ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[2] .

****

(١) انظر : إيضاح الوقف لابن الأنباري ص٥٨٦ ، والقطع والائتناف ٥٨٤/٢ ، والمكتفى للداني ص٤٧٦ ، والاقتداء لابن النكزاوي ٣٣٧/٢ تحقيق د/ نعيم عطوة ، وجمال القرّاء للسخاوي ٥٧١/٢ ، ومنار الهدى ص٣٢١ ، ٣٢٢ .
(٢) انظر تعليقنا على نظيرتها في سورة يونس آية ٦٥ ص١٥٥ .



الوقف الخامس والستّون

﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

(سُورَةُ الصَّافَّاتِ – الآيتان ١٣٧ ، ١٣٨)

المعنى العام :

في سياق ذِكْر القرآن الكريم قصص الأنبياء السابقين عليهم السلام ، وما أصاب قومهم من هلاك حين كفروا بهم ، يذكر قصّة قوم سيدنا لوط عليه السلام وما أصابهم من تدمير وهلاك حيث لم ينج منهم إلا من آمن بنبي الله تعالى سيدنا لوط عليه السلام ، وبخاصة أهله إلا زوجته فكانت من الهالكين لكفرها ، فاعتبروا يا أهل مكّة ، واخشوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم ، ألا تعتبرون حين تمرّون على ديارهم في سفركم للتجارة ، وتشاهدون آثارهم الخربة في الصباح والمساء ؟! .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿ وَبِٱلَّيْلِ ﴾ ، لأن الملك الجبّار يهدد أهل مكّة حين كفروا برسوله سيدنا **محمد** ﷺ فيذكرهم بما حدث للأمم السابقة التي كذبت رسلها كقوم سيدنا لوط عليه السلام ، وهم يمرّون على ديارهم في أثناء سفرهم في الصباح والليل ، وهنا يلزم الوقف على ﴿ وَبِٱلَّيْلِ ﴾ ؛ لأنه معطوف على المعنى ، أي : وفي الصباح وبالليل[1] ،

---

(١) انظر : القطع ٥٩٢/٢ ، والمكتفى ص٤٧٩ ، والاقتداء ٤٢/١ تحقيق د/ محمد سعد ، =

و﴿مُّصْبِحِينَ﴾ حال وهو من (أصبح) التامّة ، و﴿وَبِٱلَّيۡلِ﴾ معطوف على ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ فهو حال أخرى ، والهمزة في ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ داخلة على مقدّر ، أي : أتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم ؟[1] .

****

= والتبيان ١٠٩٣/٢ ، ومنار الهدى ص٣٢٦ ، ونهاية القول ص١٥٥ .

(١) انظر : حاشية الجمل ٥٥٢/٣ .



الوقف السادس والستّون

﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾
(سُورَةُ الزُّمَرِ - الآية ٢٦)

المفردات :

﴿ٱلْخِزْيَ﴾ : الذلّ والهوان[1] .

المعنى العام :

يخبر الله تعالى نبيّه سيدنا **محمدًا** ﷺ عمّا حدث للأمم السابقة التي كذّبت رسلها ، وعصت ربّها ، ففاجأهم الجبّار المنتقم بالعذاب والذلّ ، بالعذاب من الجهة التي يتوقّعون منها الأمان ، وفيها الأمن ، والذلّ في الدنيا ، والهوان والصّغار بالأسر ثم القتل ، وذلك ليرتدع كفّار مكّة ويخافوا من ملاقاة هذا المصير ، ولو علموا ذلك ما كذبوك وعاندوك .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿أَكْبَرُ﴾ ، وذلك أنه ﷻ يبيّن ما حدث للمكذّبين من عذاب ونَكال في الدنيا والآخرة ، ولكن عذاب الآخرة أعظم وأشدّ من عذاب الدنيا ، ولِمَ لا ؟ وهم مخلّدون في سَقَر ، التي لا تبقي لهم جلْدًا ، ولا تذر عظمًا من شدّة حَرّها ولهيبها ، وهنا يلزم الوقف على

(١) انظر : مفردات الراغب (خ ز ي) .

﴿أَكْبَرُ﴾ ، والابتداء بجملة ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ؛ لأنه لو وصل لتـوهّم كون عذاب الآخرة أكبر متوقّفًا على علمهم بذلك ، وهذا غير مُـراد ، فعذاب الآخرة أكبر علموا ذلك أو لم يعلموه .

وعليه ، فـ ﴿لَوْ﴾ شرطيّة جوابها محذوف تقديره : لـو كـانوا يعلمون ما كذّبوا رسلهم في الدنيا[1] .

****

---

(١) انظر : حاشية الجمل ٥٩٨/٣ ، وراجع تعليقنا على نظيرتها في سـورة الـشعراء ، الآية ١١٣ . الوقف الثالث والخمسون ص١٩٧ .

الوقف السابع والستّون

﴿وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾

(سُورَةُ الزُّخۡرُفِ – الآيتان ٣٤ ، ٣٥)

المفردات :

﴿وَسُرُرًا﴾ : جمع (سرير) وهو ما يُجلس عليه[١] .

﴿وَزُخۡرُفٗا﴾ : ما يكون به الزينة وكمال الشيء من مباهج الحياة الدنيا ، والمراد به هنا : الذهب[٢] .

المعنى العام :

خلق الله تعالى الخَلْق ، وجعلهم مؤمنين وكافرين ، فالمؤمنون دائمًا وجهتهم الآخرة ، وبُغيتهم الجنّة ، والكافرون حريصون على الدنيا ومتاعها ، ولذا فالتفاضل عندهم بالمال والجاه ، وهو منطق فاسد ، وميزان جائر ، فالمال عَرَض زائل ، والجاه زُخرف فانٍ ، ومن هوان هذا على خالق الخَلْق أنه لولا فتنة الناس لأعطى الكفّار كلّ ما تشتهيه نفوسهم من هذه الحياة الدنيا ، حيث تكون بيوتهم مسقوفة بالفضّة ، مزيّنة بالذّهب ، بل أبوابها ومعارجها من فضّة ، وما ذلك إلا لأنه

(١) انظر : مفردات الراغب (س ر ر) .
(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/٤١١ ، وحاشية الجمل ٤/٨٥ .

عَرَض زائل لا يدوم ، ثم بعد ذلك يُحاسبون أشدّ الحساب ، ثم يجعل للمؤمنين الآخرة فقط ، ولكنه ﷻ رحيم بالعباد ، عالم بما يصلح أحوالهم ، فأغنى بعض الكفّار ، وأفقر بعضهم ، ووسّع على بعض المؤمنين ، وضيّق على بعضهم ، حسبما اقتضته مشيئته .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله – عزّ شأنه – : ﴿ وَزُخْرُفًاۚ ﴾ ؛ لأنه ﷻ قد بيّن مدى هوان الدنيا وحقارتها ، وأنه لولا الفتنة لأعطى الكافرين كل ما تشتهيه نفوسهم ، وجعل بيوتهم من فضّة وذهب ، وأعطاهم كثيرًا من الزخارف والمباهج ، وهنا يلزم الوقف على ﴿ وَزُخْرُفًاۚ ﴾ لتمام المعنى عنده ، حيث إنه معطوف على ما قبله ، ثم يُبتدأ بـ ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ ﴾(١) .

و﴿ وَزُخْرُفًا ﴾ منصوب بفعل محذوف تقديره : وجعلنا لهم زخرفًا ، أو على نزع الخافض ، أي : لجعلنا لهم سقفًا وأبوابًا وسررًا من فضّة ومن زخرف ، فلما حذفت (من) انتصب (زخرفًا) ، و﴿وَإِن﴾ نافية ، و﴿لَّمَّا ﴾ بمعنى (إلا) وذلك على قراءة تشديد ﴿لَّمَّا ﴾ ، أمّا على قراءة التخفيف فـ (إن) مخفّفة من الثقيلة واسمها

---

(١) انظر : القطع ٦٤٢/٢ ، والمكتفى ص٥٠٧ ، والابتداء ٤٢/١ تحقيق د/ محمد سعد ، ومنار الهدى ص٣٥٠ ، ونهاية القول المفيد ص١٥٥ .

مستتر ، و﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ ﴾ مبتدأ ، و﴿ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ﴾ خبر ، والجملة في محل رفع خبر (إن) المخفّفة ، و(اللام) في ﴿ لَمَّا ﴾ فارقة بين الإيجاب والنفي و(ما) صلة[1] .

****

(١) انظر : البيان ٢/٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ومفاتيح الغيب ١٤/٩٨ ، ٩٩ ، والبحر ٩/٣٧١ ، ٣٧٢ ، وحاشية الجمل ٤/٨٥ .

الوقف الثامن والستّون

﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾
(سُورَةُ الدُّخَانِ - الآية ٧)

المعنى العام :

كان المشركون يُقرّون بأن للسماوات والأرض خالقًا ، فقيل لهم : إن بعث الرسل ، وإنزال الكتب السماويّة رحمة من الخالق ، وهذا الربّ هو السميع العليم المُقرّون أنتم له بأنه خالق السماوات والأرض وما بينهما ، إن كان إقراركم هذا عن علم ويقين فلِمَ لا تؤمنون به ؟

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ﴾ ، وذلك أنه ﷻ بعد أن بيّن لهؤلاء المشركين أنه خالق السماوات والأرض وما بينهما ، وهو المرسِل للرسل ، والمنزّل عليهم الكتب السماويَة ، ومنهم خاتم المرسلين سيدنا **محمد** ﷺ ، وهنا يلزم الوقف على ﴿وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ﴾ والابتداء بجملة ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ ؛ لأنه لو وصل لتوهّم أنه ﷻ ربّ السماوات والأرض وما بينهما متوقّف على إيقانهم ذلك وإقرارهم بهذا ، وهذا غير واقع ، فهو – عزّ شأنه – ربّ السماوات والأرض وجميع المخلوقات أقرّ الكفّار بذلك أو أنكروه ، شاءوا أم أبَوْا .

وعليه ، فـ ﴿رَبِّ﴾ على قراءة الجرّ بدل من ﴿مِّن رَّبِّكَۚ﴾ في

الآية التي قبلها ، وعلى قراءة الرفع إمّا أن يكون مبتدأ والخبر جملة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[1] ، وجملة الشرط اعتراض بين المبتدأ والخبر ، أو خبر لمبتدأ محذوف ، أي : وهو ربّ ، أو خبرًا بعد خبر ، و﴿إن﴾ شرطيّة جوابها محذوف تقديره : إن كنتم موقنين بأنه تعالى ربّ السماوات والأرض فأيقنوا بأن محمدًا ﷺ رسوله[2] .

****

(١) سورة الدخان – جزء من الآية ٨ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/٤٢٤ ، والقطع والائتناف لابن النحاس ٢/٦٤٩ ، ٦٥٠ ، والكشاف ٣/٣٤٠ ، والبيان للأنباري ٢/٣٥٧ ، ٣٥٨ ، وإملاء ما منّ به الرحمن ٤/٣٠٧ ، والبحر المحيط ٩/٣٩٨ ، وحاشية الجمل ٤/١٠١ .



الوقف التاسع والستّون

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾

(سُورَةُ القَمَرِ – الآية ٦)

المفردات :

﴿نُّكُرٍ﴾ : منكر فظيع تنكره النفوس لما فيه من البلاء والأهوال[1] .

المعنى العام :

يقول الله لنبيّه سيدنا **محمد** ﷺ أعرِض عن هؤلاء المشركين المعاندين الذين كلّما رأوا آية قالوا عنها : ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[2] ، وانتظرْ ما يلقونه من عذاب شديد يوم القيامة حين يقومون من قبورهم سراعًا مجيبين الداعي إلى الحساب والعقاب ، هذا اليوم من هوله وفظاعته ينكرونه ويتعجّبون من شدائده ، ولِمَ لا وسيغطّيهم العرق ، ويلجّمهم إلجامًا ؟!

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله :  ، وذلك أنه – عزّ شأنه – يأمر نبيّه سيدنا **محمدًا** ﷺ بالتولّي عن المشركين ، وعدم الالتفات إلى ما يقولونه

(١) انظر : الكشاف ٤/٤٤ – ط/ دار المعرفة ، وتفسير ابن كثير ٤/٢٦٣ .
(٢) سورة القمر – جزء من الآية ٢ .

من تكذيب ومعاندة ، انتظارًا لما يلقونه يوم القيامة من عذاب ونَكال ، وهنا يلزم الوقف على قوله ﴿عَنْهُمْ﴾ لتمام المعنى عنده ، والابتداء بجملة ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ ...﴾ ؛ لأنه لو وصل لصار المعنى : أعرض عنهم إلى غاية يوم دعوة الداعي ، وهذا غير مُراد ؛ لأنه ﷺ أُمِر بالإعراض عنهم مدّة معيّنة حتى نزلت آية السيف فأُمِر بقتالهم ، يزيد على هذا أن أكثر المفسّرين قالوا : إن معنى الآية على التقديم والتأخير ، أي : يخرجون من الأجداث يوم يدع الداع ، فالعامل في (يوم) هو الفعل (يخرجون) فيجب الوقف ؛ لأن الظرف لا يتعلّق بشيء مما قبله[1] ، وقيل : إن ناصب الظرف هو (اذكر) مقدّرة ، وقيل : منصوب بـ ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾[2] ويكون ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ اعتراضًا بينهما ، وقيل : منصوب بـ ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[3] التي بعده ، وهو بعيد ؛ لبعد هذا العامل عن الظرف ، ومثله في البعد والضعف من قال : منصوب بـ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ وقد سبق بيان سرّه ، وقيل : منصوب بـ (مستقر) محذوفة ، وهو بعيد أيضًا[4] .

---

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٨٦/٥ ، والقطع والائتناف ٦٩٨/٢ ، والمكتفى للداني ص٥٤٥ ، والاقتداء لابن النكزاوي ٤٩٤/٢ تحقيق د/ نعيم عطوة ، ومنار الهدى ص٣٧٦ .
(٢) سورة القمر – جزء من الآية ٥ .
(٣) سورة القمر – جزء من الآية ٨ .
(٤) انظر : الكشاف ٤٤/٤ – ط/ دار المعرفة ، والبحر ٣٥/١٠ ، وحاشية الجمل ٢٤٢/٤ .



الوقف السبعون

﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾

(سُورَةِ القَلَمِ - الآية ٣٣)

المعنى العام :

يخبر الله تعالى نبيّه سيدنا **محمدًا** ﷺ بخبر أصحاب جنة الفواكه التي توارثوها عن أبيهم الذي كان ينفق منها ، ويخرج حقوق الله تعالى فيها ، وما بيّتوا عليه من عدم إخراج ذلك منها ، فعاقبهم الله تعالى بأن أهلكها لهم بليل ، فتحوّلت إلى خراب يَبَاب ، لا زرع فيها ولا ثمر ؛ جزاء وفاقًا لما بيّتوه ، وهذا العقاب الدنيوي يشبه ما نزل بكفّار مكّة حين خرجوا إلى بدر عازمين على قتل سيدنا **محمد** ﷺ وشرب الخمور ، وضرب المغنّيات على رءوسهم ، فعاقبهم الله تعالى على ذلك ، بأن خيّب ظنّهم ، فقُتل أشرافهم وصناديدهم ، وأُسر من بقي منهم حيًّا ، ولعذاب الآخرة الذي ينتظرهم أشدّ وأعظم من هذا العقاب الدنيوي ، فلو كانوا يعلمون حقيقته لما كذّبوا سيدنا **محمدًا** ﷺ ولأسرعوا إلى الإيمان به .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿أَكْبَرُ ۚ﴾ ، وذلك أنه – عزّ شأنه – يخبر عمّا حدث لأصحاب جنة الفواكه من عقاب على نيّتهم ، بحرق جنّتهم ، وأنه يشبه عقاب كفّار مكّة على نيّتهم حين خرجوا إلى بدر مغرورين بقوّتهم

فقُتلوا وأُسِروا ، وهنا يلزم الوقف على ﴿أَكْبَرُ﴾ والابتداء بجملة ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ ؛ لأنه لو وصل لتوهّم أن كون عذاب الآخرة أكبر معلّقا بشرط علمهم بذلك ، وهذا ليس بمُراد ، فعذاب الآخرة أشقّ عليهم علموا ذلك أو لم يعلموه[1] .

وعليه ، فـ ﴿لَوْ﴾ شرطيّة وجوابها محذوف تقديره : لما خالفوا أمرنا ، أو لما اختاروا الأدنى ، وجملة ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ خبر مقدّم ومبتدأ مؤخّر ، والتقدير : العذاب الذي أنزلناه بأهل مكّة من القَحْط والجَدْب والأسْر مثل العذاب الذي أنزلناه بهؤلاء[2] .

****

(١) انظر : منار الهدى ص٤٠١ .

(٢) انظر : حاشية الجمل ٣٨٨/٤ ، وانظر تعليقي على نظيرتها في سورة الشعراء – الآية ١١٣ ، وسورة الزمر – الآية ٢٦ ، الوقفين ٥٣ ، ٦٦ .

الوقف الحادي والسبعون

﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(سُورَةُ نُوحٍ – الآيتان ٣ ، ٤)

المعنى العام :

لما اشتدّ إيذاء المشركين لرسول الله ﷺ ومن آمن معه من المؤمنين ذكّرهم الله تعالى بقصص الأنبياء السابقين ، وما لاقوه من أممهم من التكذيب والاستهزاء ، ومن هؤلاء : أمّة سيدنا نوح عليه السلام فقد ظلّ يدعوهم إلى عبادة الواحد الديّان ، وترك عبادة الأوثان ، ألف سنة إلا خمسين عامًا ، ومع هذا لم يؤمن معه إلا قليل ، وكان كثيرًا ما يَعِدهم إن آمنوا واتّقوا وأطاعوه فيما يأمرهم به بأن يدعو الله تعالى أن يغفر لهم ذنوبهم ، ويتجاوز عن سيئاتهم قبل إسلامهم ، ويؤخّرهم إلى أجل محدّد في الدنيا بلا عذاب ولا عقاب ، مع التمتّع بالحياة السعيدة ، والمعيشة الهنيئة ، ولو كانوا يعلمون حقيقة ذلك لبادروا إلى طاعته والإيمان به ، ولكنّهم لم يفعلوا فدعا الله تعالى عليهم ، فأجاب دعاءه ، وأغرقهم ، وأدخلهم النار .

موضع الوقف وسرّه :

موضعه ، قوله : ﴿لَا يُؤَخَّرُ ۖ﴾ ، وذلك لأنه ﷻ بعد أن ذكر ما قاله

سيدنا نوح عليه السلام لقومه ، من أنّهم إن آمنوا واتّقوا غفر الله تعـالى مـن ذنوبهم ، ومدّ في آجالهم من غير عذاب ، ومتّعهم بلذائذ الحياة الدنيا إلى أجل قد حدّده ، وميعاد قد وقّته ، فأجَل الله تعالى إذا حضر لا يـؤخّر ، وهـنا يلزم الوقف على ﴿لَا يُؤَخَّرُ﴾ ثـم الابتـداء بجملـة ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ؛ لأنه لو وصل لكان تقرير أن أجل الله تعالى إذا حضر لا يؤخّر مشروطًا بكونهم يعلمون ذلك ، وهذا لا يصح ، فأجل الله تعـالى إذا حضر لا يؤجّل ولا يؤخّر ، علموا ذلك أو لم يعلموه .

وعليه ، فـ ﴿لَوْ﴾ شرطيّة وجوابها محذوف تقديره : لو كنتم تعلمون لبادرتم إلى عبادته وتقواه وطاعتي فيما جئتكم به من عنده تعالى[1] .

****

(1) انظر : البحر المحيط ٢٨١/١٠ ، ومنار الهدى ص٤٠٥ ، وحاشية الجمل ٤٠٩/٤ ، ٤١٠ .

الخاتمة

الحمد لله في الأولى والآخرة ، والصلاة والسلام على المشفّع في الآخرة سيدنا **محمد بن عبد الله** ﷺ أفضل الأوّلين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

وبعد ؛ فهذا كتاب **(الوقوف اللازمة في القرآن الكريم وعلاقتها بالمعنى والإعراب)** ، بذلت فيه غاية جهدي ، وقصارى طاقتي ، حيث بيّنت بعض أسرار الوقوف في الآيات الكريمات ، ومدى ما يحدث من لبس ، أو توهّم غير المراد إن لم يلزم الوقف ، كما وضّحت كثيرًا من الأعاريب التي ترتّبت على لزوم الوقف ، وهذا وذاك من خلال تَطْوافي بين أُمّهات كتب الوقف والابتداء ، والتفاسير ، ومعاني القرآن وإعرابه ، وكتب النحو والصرف ، وغيرها من المصادر التي أعانتني على هذا البحث ؛ قاصدًا بذلك الإدلاء بدَلْوٍ في خدمة القرآن الكريم ، وبيان وجه من وجوه إعجازه ، وتوضيح سرّ من أسراره التي اشتمل عليها ، وتحدّى بها العرب وغيرهم – ومازال التحدّي قائمًا – فلم يستطع أحد على مجابهة التحدّي ، ولن يستطيع فرد مهما أوتي من فصاحة وبيان أن يأتي بآية من مثله .



وقد حاولت الوصول بالبحث إلى درجة قريبة من الكمال ؛ لأن الكمال لله تعالى وحده ، والعصمة لأنبيائه ورسله عليهم السلام فإذا كنت قد أصبت فبفضل من الله تعالى وتوفيقه ، وإن كان غير ذلك فحسبي أن اجتهدت في البحث عن الصواب ، حيث قرأت واطّلعت ، وفتّشت ونقّبت ، وسألت واستفسرت ، ويشفع لي حينئذ أنني من جنس البشر الذين يجوز عليهم السهو والنسيان .

وما أُبرِّئُ نَفْسِي إِنَّنِي بَشَرٌ ∴ أَسْهُو وأُخطِئُ ما لم يَحْمِنِي قَدَرُ

ولا تَرَى عُذْرًا أولى بِذِي زَلَلٍ ∴ من أنْ يَقُولَ مُقِرًّا إِنَّنِي بَشَرُ

وتعميمًا للفائدة من هذا البحث أقترح أن يكون في طبعات المصحف الشريف هنا (في مصر الأزهر) إشارة واضحة تدل على موضع الوقف اللازم ؛ لأن الإشارة الموجودة الآن وهي (م) صغيرة ، غير ظاهرة ، وكثيرٌ من القرّاء يظن أنّها من الرسم العثماني ، أو جاءت لتزيين الخط .

لذا أرى أن يكتب في الحاشية مقابلاً للعلامة السابقة للوقف اللازم عبارة (**وقف لازم**) وهذا ليس بغريب ؛ فمواضع السجدة يشار إليها بالعلامة المعروفة ، ثم يكتب في الحاشية مقابلاً لها عبارة (**سجدة**) .



وقد رأيت طبعة للمصحف الشـريف بدولة باكستان الإسـلاميّة نُفِّذ فيها مثل هذا الاقتراح ، وهاك نموذجين مصوّرين[1] عن هذه الطبعة ، **الأوّل** : في سـورة البقرة – الآية ٢٦ ، **والثاني** : في سورة يس – الآية ٧٦ .

وآخر دعوانا ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2] .

وصلى الله تعالى على سيدنا **محمد** وعلى آله وصحبه وسلّم .

القاهرة في : يوم الأحد ٣ من صفر سنة ١٤٢٩هـ

المـوافق : ١٠ من فبراير سنة ٢٠٠٨م

وكتبه

الأستاذ الدكتور

حمدي عبد الفتّاح مصطفى خليل

الأستاذ في كلية اللغة العربيّة بالقاهرة

جامعة الأزهر الشريف

---

(١) النماذج بعد الخاتمة مباشرة .

(٢) سورة يونس – جزء من الآية ١٠ .

مِّثْلِهٖ ۠ وَادْعُوْا شُهَدَآءَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ

إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوْا وَلَنْ

تَفْعَلُوْا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِيْ وَقُوْدُهَا النَّاسُ

وَالْحِجَارَةُ ۚۖ أُعِدَّتْ لِلْكٰفِرِيْنَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِيْنَ

اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ ؕ كُلَّمَا رُزِقُوْا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ

رِّزْقًا ۙ قَالُوْا هٰذَا الَّذِيْ رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ۙ

وَأُتُوْا بِهٖ مُتَشَابِهًا ؕ وَلَهُمْ فِيْهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۙۗ

وَّهُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللّٰهَ لَا يَسْتَحْيٖٓ

أَنْ يَّضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوْضَةً فَمَا فَوْقَهَا ؕ

فَأَمَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا فَيَعْلَمُوْنَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ

رَّبِّهِمْ ۚ وَأَمَّا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فَيَقُوْلُوْنَ مَاذَآ

أَرَادَ اللّٰهُ بِهٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهٖ كَثِيْرًا

وَمَنْ نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ۚ أَفَلَا
يَعْقِلُوْنَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنٰهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْۢبَغِيْ
لَهٗ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَّقُرْاٰنٌ مُّبِيْنٌ ﴿٦٩﴾
لِّيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَّيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى
الْكٰفِرِيْنَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ
مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيْنَآ أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مٰلِكُوْنَ ﴿٧١﴾
وَذَلَّلْنٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوْبُهُمْ وَمِنْهَا
يَأْكُلُوْنَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيْهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ ۚ
أَفَلَا يَشْكُرُوْنَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ
اٰلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنْصَرُوْنَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيْعُوْنَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُوْنَ ﴿٧٥﴾ فَلَا
يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ
وَمَا يُعْلِنُوْنَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنٰهُ

المصادر

١ - إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ، للشيخ/ أحمد البنّا ، تحقيق د/ شعبان إسماعيل – عالم الكتب – بيروت – ط/ أولى – سنة ١٩٨٧م .

٢ - الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، تحقيق أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم – نشر دار التراث – القاهرة .
ونسخة أخرى – نشر المكتبة الثقافيّة – بيروت – لبنان[١] .

٣ - ارتشاف الضرَب من لسان العرب ، لأبي حيّان الأندلسيّ ، تحقيق أستاذنا أ.د/ مصطفى النماس – مطبعة المدني – القاهرة – ط/ أولى – سنة ١٩٨٤م .

٤ - أسباب النزول ، لأبي حسن الواحدي النيسابوري – طبع مصطفى الحلبي – ط/ ثانية – سنة ١٩٦٨م .

٥ - الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ، لابن النكزاوي – الجزء الأوّل (رسالة دكتوراه) بكلّيّة اللغة العربيّة بالقاهرة تحت رقم (٢٦٥٤) إعداد د/ محمد سعد المرسي البغدادي ، والجزء الثاني تحت رقم (٢٧٣٥) إعداد د/ نعيم عطوة عوض .

٦ - ألفاظ من القرآن الكريم ، إعداد أ.د/ محمود محمد علي أبو الروس – دون اسم المطبعة أو تاريخ الطبع .

---

(١) فرّقت بين الطبعتين بأن ذكرت اسم المحقق في الأولى ، وتركت الثانية غفلاً .

٧ - أمالي ابن الحاجب ، تحقيق د/ فخر صالح قدارة - دار الجيل - بيروت - لبنان - سنة ١٩٨٨م

٨ - الأمالي الشجريّة ، تحقيق د/ محمود الطناحي - نشر الخانجي - ط/ أولى - سنة ١٩٩٢م .

٩ - إملاء ما منّ به الرحمن ، للعكبري ، مطبوع بهامش حاشية الجمل على الجلالين - ط/عيسى الحلبي - القاهرة - دون تاريخ .

١٠ - إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله ﷻ ، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق د/ محيي الدين عبد الرحمن رمضان - ط/ دمشق - سنة ١٩٧١م .

١١ - البحر المحيط في تفسير القرآن الكريم ، لأبي حيّان الأندلسيّ ، بعناية عرفات حسّونة وآخرين - دار الفكر - بيروت - سنة ١٩٩٢م .

١٢ - بُغْية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، للشيخ/ عبد المتعال الصعيدي - مكتبة الآداب - درب الجماميز - القاهرة - دون تاريخ .

١٣ - البيان في غريب إعراب القرآن ، لأبي البركات الأنباري ، تحقيق د/ طه عبد الحميد - الهيئة المصريّة العامة للكتاب - سنة ١٩٨٠م .

١٤ - تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، تحقيق أ/ السيد صقر -



نشر دار التراث – ط/ ثانية – سنة ١٩٧٣م .

١٥ – التصريح بمضمون التوضيح ، للشيخ/ خالد الأزهري ، وبهامشه حاشية الشيخ/ يس العُلَيْمي – ط/ عيسى الحلبي – دون تاريخ .. ونسخة ثانية ، تحقيق أ.د/ عبد الفتّاح بحيري – نشر دار الزهراء – ط/ أولى – سنة ١٩٩٢م(١) .

١٦ – تفسير القرآن الحكيم ، تأليف أ.د/ محمد عبد المنعم خفاجي – مكتبة النجاح – العراق – دون تاريخ .

١٧ – تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير الدمشقيّ – دار التراث – القاهرة – دون تاريخ .

١٨ – التفسير الكبير ، للإمام الفخر الرازي – دار إحياء التراث – ط/ ثالثة .. ونسخة أخرى – نشر دار الغد العربي – ط/ أولى – سنة ١٤١٢هـ(٢) .

١٩ – تقويم اللسان والتعليم بالقرآن ، للعارف بالله تعالى السيد بن أحمد خليل – نشر دار الإنسان – القاهرة – ط/ أولى – سنة ١٩٨٤م .

٢٠ – الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي – دار الكتب العلميّة – بيروت – ط/ أولى – سنة ١٩٨٨م .. ونسخة أخرى – ط/

(١) وهي التي حدّدتها دائمًا بقولي : تحقيق د/ عبد الفتّاح .
(٢) فرقت بين الطبعتين بأن ذكرت الأولى غفلاً غالبًا ، والثانية حدّدت فيها اسم الناشر .



دار الكتب المصريّة – القاهرة – سنة ١٩٤٢م[1] .

٢١ – الجدول في إعراب القرآن وصرفه ، إعداد/ محمود صافي ، مراجعة/ لينة الحمصي – مؤسسة الإيمان ودار الرشيد – بيروت ودمشق – ط/ أولى – سنة ١٩٨٦م .

٢٢ – جمال القرّاء وكمال الإقراء ، لعلم الدين السخاوي ، تحقيق د/ علي البواب – نشر الخانجي – القاهرة ، ودار التراث – مكّة المكرّمة – ط/ أولى – سنة ١٩٨٧م .

٢٣ – الجنى الداني في حروف المعاني ، للمرادي ، تحقيق د/ فخر الدين قباوة ومحمد نديب فاضل – دار الآفاق – بيروت – ط/ ثانية – سنة ١٩٨٣م .

٢٤ – حاشية الجمل على الجلالين – ط/ عيسى الحلبي – دون تاريخ .

٢٥ – حاشية الخُضري على شرح ابن عقيل على الألفيّة – ط/ عيسى الحلبي – دون تاريخ .

٢٦ – حياة الحيوان الكبرى ، للدَّمِيري – ط/ مصطفى الحلبي – سنة ١٩٨٧م .

٢٧ – الخصائص ، لابن جنّي ، تحقيق الشيخ/ محمد عليّ النجّار – الهيئة المصريّة العامة – ط/ ثالثة – سنة ١٩٨٦م .

٢٨ – الخلاصة الألفيّة في النحو والصرف ، لابن مالك – ط/ محمد علي صبيح – دون تاريخ .

(١) فرقت بينهما بأن تركت الأولى غفلاً ، ونصصت على الثانية .



٢٩ - الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي ، تحقيق د/ أحمد الخرّاط - دار القلم - دمشق - ط/ أولى - سنة ١٩٨٦م .

٣٠ - دلائل الإعجاز ، للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق الشيخ/ محمود شاكر - نشر الخانجي - دون تاريخ .

٣١ - ديوان كُثَيِّر عَزّة ، بعناية (هنري بريس) - ط/ الجزائر - سنة ١٩٢٨م .

٣٢ - السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ، تحقيق د/ شوقي ضيف - دار المعارف - القاهرة - ط/ ثالثة - دون تاريخ .

٣٣ - سنن الإمام الترمذي ، تحقيق الشيخ/ إبراهيم عطوة - نشر دار الحديث - القاهرة - دون تاريخ .

٣٤ - شرح الأبيات المُشْكَلة الإعراب ، للفارسيّ ، ويُسمّى أيضًا (كتاب الشعر) ، تحقيق د/ محمود الطناحي - نشر الخانجي - ط/ أولى - سنة ١٩٨٨م .

٣٥ - شرح الألفيّة ، للأشموني ، المُسمّى (منهج السالك إلى ألفيّة ابن مالك) وبهامشه (حاشية الصبان) - ط/ عيسى الحلبي - دون تاريخ .

٣٦ - شرح الألفيّة ، لابن عقيل - ط/ خاصّة بالمعاهد الأزهريّة - سنة ١٩٧٦م .

٣٧ - شرح الألفيّة ، للمرادي ، المُسمّى (توضيح المقاصد



والمسالك) ، تحقيق د/ عبد الرحمن عليّ سليمان – مكتبة الكلّيّات الأزهريّة – دون تاريخ .

٣٨ – شرح الألفيّة ، للمكودي – ط/ مصطفى الحلبي – ط/ ثالثة – سنة ١٩٥٤م .

٣٩ – شرح الألفيّة ، لابن هشام الأنصاري ، المُسمّى (أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك) ، تحقيق الشيخ/ محمد محيي الدين – المكتبة العصريّة – بيروت – لبنان – دون تاريخ .

٤٠ – شرح التسهيل ، لابن مالك ، تحقيق د/ عبد الرحمن السيّد ود/ محمد بدوي المختون – دار هجر – القاهرة – ط/ أولى – سنة ١٩٩٠م .

٤١ – شرح الجمل الكبير ، لابن عصفور ، تحقيق د/ صاحب أبو جناح – نشر وزارة الأوقاف العراقيّة – سنة ١٤٠٠هـ .

٤٢ – شرح شذور الذهب ، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق الشيخ/ محمد محيي الدين – المكتبة العصريّة – بيروت – سنة ١٩٨٨م .

٤٣ – شرح شواهد ابن عقيل ، للشيخ/ عبد المنعم الجرجاوي – ط/ عيسى الحلبي – دون تاريخ .

٤٤ – شرح الكافية ، للتبريزي ، المُسمّى (مبسوط الأحكام مما يتعلّق بالكلم والكلام) – الجزء الثاني (رسالة دكتوراه) بكلّيّة اللغة العربيّة بالقاهرة – تحت رقم (٢٦٠٣) ، إعداد د/ توفيق



الوحيدي .

٤٥ - شرح الكافية ، لابن الحاجب (شرحه على كافيته) (رسالة دكتوراه) بكلّيّة اللغة العربيّة بالقاهرة تحت رقم (١٧٠٤) إعداد د/ جمال عبد العاطي مخيمر .

٤٦ - شرح الكافية ، للرضى - نشر دار الكتب العلميّة - بيروت - سنة ١٩٨٥م .. ونسخة أخرى ، تحقيق أ.د/ يوسف عمر - منشورات جامعة قاريونس - ليبيا - سنة ١٩٧٨م[١] .

٤٧ - شرح المفصل ، لابن يعيش - مكتبة المتنبّي - القاهرة - دون تاريخ .

٤٨ - صحيح الإمام البخاري ، تحقيق د/ مصطفى ألبغا - دار ابن كثير ودار اليمامة - دمشق وبيروت - ط/ ثالثة - سنة ١٩٨٧م .

٤٩ - صحيح الإمام مسلم ، تحقيق أ/ محمد فؤاد عبد الباقي - نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - دون تاريخ .

٥٠ - صفوة التفاسير ، للشيخ/ محمد عليّ الصابوني - نشر حسن عبّاس الشربتلي - دون تاريخ .

٥١ - القاموس المحيط ، لمجد الدين الفيروزآبادي - دار الجيل - بيروت - دون تاريخ .

(١) فرقت بين الطبعتين في أثناء البحث بأن حذدت الأخيرة بقولي : تحقيق د/ يوسف عمر ، وتركت الأولى غفلاً .



٥٢ - قصص الأنبياء ، لابن كثير الدمشقي - ط/ فيصل عيسى الحلبي - نشر دار الحرم للتراث - القاهرة - دون تاريخ .

٥٣ - القطع والائتناف ، لابن النحّاس ، تحقيق د/ عبد الرحمن المطرودي - نشر دار عالم الكتب - الرياض - السعوديّة - ط/ أولى - سنة ١٩٩٢م .

٥٤ - الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للزمخشري - نشر دار الريّان للتراث - ط/ ثالثة - سنة ١٩٨٧م .. ونسخة أخرى - ط/ دار المعرفة - بيروت - لبنان[1] .

٥٥ - الكتاب ، لسيبويه ، تحقيق أ/ عبد السلام هارون - نشر الخانجي - ط/ ثالثة - سنة ١٩٨٨م .

٥٦ - الكنز الثري في مناقب سيّدي صالح الجعفري ، للشيخ/ عبد الغني صالح الجعفري - نشر دار جوامع الكلم - القاهرة - سنة ١٩٩٠م .

٥٧ - لسان العرب ، لابن منظور المصري - دار المعارف - القاهرة - دون تاريخ .

٥٨ - مجاز القرآن ، لأبي عبيدة مَعْمَر بن المثنى البصري ، تحقيق د/ محمد فؤاد سزكين ، نشر الخانجي - مصر - ط/ ثالثة - سنة ١٩٧٠م .

(١) فرقت بين الطبعتين باسم الناشر .



٥٩ - مَجْمَع البيان في تفسير القرآن ، للإمام أبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي - منشورات مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - دون تاريخ .

٦٠ - المجيد في إعراب القرآن المجيد ، للسفاقسي (النصف الأوّل من : الفاتحة إلى الأعراف) (رسالة دكتوراه) بكلّيّة اللغة العربيّة بالقاهرة تحت رقم (١٢٧٧) إعداد د/ عبد العزيز أحمد .

٦١ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطيّة - نشر المجلس العلمي - فاس - سنة ١٩٩٢م .. ونسخة ثانية ، تحقيق أ/ عبد السلام عبد الشافي - دار الكتب العلميّة - بيروت - ط/ أولى - سنة ١٩٩٣م[١] .

٦٢ - مختصر في شواذ القراءات[٢] من كتاب البديع ، لابن خالويه ، تعليق (برجستراسر) - نشر مكتبة المتنبّي - القاهرة - دون تاريخ .

٦٣ - المساعد على تسهيل الفوائد ، لابن عقيل ، تحقيق د/ محمد كامل بركات - نشر جامعة أم القرى - مكّة المكرّمة - سنة ١٩٨٠م .

٦٤ - المستدرك على الصحيحين ، للإمام النيسابوري ، وبذيله

(١) حدّدتها دائمًا بقولي : تحقيق أ/ عبد السلام .
(٢) هكذا نسبه إليه أبو حيّان في البحر المحيط ٥٠١/٧ ، ٣٦/٨ ، وهو الصواب .

التلخيص ، للحافظ الذهبي ، تحقيق د/ يوسف المرعشلي – دار المعرفة – بيروت – دون تاريخ .

٦٥ – المستطرف من كل فن مستظرف ، للأبشيهي – مكتبة الحياة – بيروت – سنة ١٩٩٢م .

٦٦ – مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وبالهامش (منتخب كنز العمال ، للمتقي الهندي) – نشر المكتب الإسلامي – بيروت – ط/ خامسة – سنة ١٩٨٥م .

٦٧ – مشكل إعراب القرآن ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق د/ حاتم صالح الضامن – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط/ ثانية – سنة ١٩٨٤م .

٦٨ – معاني القراءات ، لأبي منصور الأزهري ، تحقيق الشيخ/ أحمد فريد المزيدي – نشر دار الكتب العلميّة – بيروت – ط/ أولى – سنة ١٩٩٩م .

٦٩ – معاني القرآن ، للأخفش ، تحقيق د/ عبد الأمير الورد – نشر عالم الكتب – بيروت – ط/ أولى – سنة ١٩٨٥م .

٧٠ – معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، تحقيق د/ عبد الجليل شلبي – عالم الكتب – بيروت – ط/ أولى – سنة ١٩٨٨م .

٧١ – معاني القرآن ، للفراء ، الجزء الأوّل تحقيق أحمد نجاتي ومحمد عليّ النجّار – الهيئة المصريّة – سنة ١٩٨٠م ، والجزء الثاني تحقيق الشيخ/ محمد عليّ النجّار – الدار



المصريّة للتأليف والترجمة – دون تاريخ ، والجزء الثالث تحقيق د/ عبد الفتاح شلبي – الهيئة المصريّة – سنة ١٩٧٢م .

٧٢ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق د/ مازن المبارك ومحمد عليّ حمد الله – دار الفكر – بيروت – ط/ سادسة – سنة ١٩٨٥م .

٧٣ - المفردات في غريب القرآن ، للحسين بن محمد الراغب الأصفهاني – ط/ مصطفى الحلبي – دون تاريخ .

٧٤ - المفصّل في علم العربيّة ، للزمخشري – دار الجيل – بيروت – لبنان – ط/ ثانية – دون تاريخ .

٧٥ - المقتضب ، للمبرد ، تحقيق أ.د/ محمد عبد الخالق عضيمة – القاهرة – سنة ١٣٩٩هـ .

٧٦ - المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله ﷻ ، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ، تحقيق د/ يوسف المرعشلي – مؤسّسه الرسالة – ط/ ثانية – سنة ١٩٨٧م .

٧٧ - منار الهدى في الوقف والابتداء ، لأحمد بن عبد الكريم الأشموني – ط/ مصطفى الحلبي – ط/ ثانية – سنة ١٩٧٣م .

٧٨ - المنصف شرح ابن جني لتصريف المازني ، تحقيق أ/ إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين – وزارة المعارف المصريّة – سنة ١٩٥٤م .

٧٩ - المنهل الصافي في شرح الوافي في النحو ، للدماميني ،



(رسالة دكتوراه) بمكتبة كلّيّة اللغة العربيّة بالقاهرة تحت رقم (٢٨٤٣) ، تحقيق د/ حمدي عبد الفتّاح مصطفى .

٨٠ - نتائج الفكر في النحو ، للإمام السهيلي ، تحقيق أ.د/ محمد إبراهيم البنّا - دار الرياض - السعودية - ط/ ثانية - دون تاريخ .

٨١ - النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، تصحيح الشيخ/ عليّ الضباع - دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان - دون تاريخ .

٨٢ - نهاية القول المفيد في علم التجويد ، للشيخ/ محمد مكي نصر ، تصحيح الشيخ/ عليّ الضباع - ط/ مصطفى الحلبي - سنة ١٣٤٩هـ .

٨٣ - همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، للسيوطي ، تحقيق بدر الدين النعساني - ط/ الخانجي - سنة ١٣٢٧هـ .

****



فهرس آيات الوقف

مسلسل	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
١	٢٦	البقرة	٢٧
٢	٣٤	البقرة	٣٥
٣	١٠٢	البقرة	٣٧
٤	١٠٣	البقرة	٣٧
٥	١١٦	البقرة	٤٣
٦	١١٨	البقرة	٤٦
٧	١٨٤	البقرة	٥١
٨	٢١٢	البقرة	٥٣
٩	٢١٧	البقرة	٥٧
١٠	٢٥٣	البقرة	٦٢
١١	٢٧٥	البقرة	٦٥
١٢	٢٨٠	البقرة	٦٧
١٣	٧	آل عمران	٦٨
١٤	٢٩	آل عمران	٧٨
١٥	٥٥	آل عمران	٨٠
١٦	١١٣	آل عمران	٨٣
١٧	١١٨	آل عمران	٨٨



مسلسل	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
١٨	١٨١	آل عمران	٩١
١٩	١١	النساء	٩٤
٢٠	١١٨	النساء	٩٧
٢١	١٥٧	النساء	١٠٢
٢٢	١٧١	النساء	١٠٥
٢٣	٢	المائدة	١٠٨
٢٤	٤١	المائدة	١١١
٢٥	٥١	المائدة	١١٥
٢٦	٦٤	المائدة	١١٧
٢٧	٧٣	المائدة	١٢١
٢٨	٢٠	الأنعام	١٢٦
٢٩	٣٦	الأنعام	١٣١
٣٠	٨١	الأنعام	١٣٦
٣١	١٢٤	الأنعام	١٣٨
٣٢	١٤٨	الأعراف	١٤٣
٣٣	١٨٤	الأعراف	١٤٦
٣٤	١٥	التوبة	١٥٠
٣٥	٧٢	التوبة	١٥٣
٣٦	٦٥	يونس	١٥٥



مسلسل	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
٣٧	٦٨	يونس	١٥٨
٣٨	٢٠	هود	١٦١
٣٩	١١٩	هود	١٦٥
٤٠	٢٤	يوسف	١٦٨
٤١	١٨	الرعد	١٧٣
٤٢	٤١	النحل	١٧٥
٤٣	٨	الإسراء	١٧٩
٤٤	٩١	الكهف	١٨١
٤٥	٢٦	الأنبياء	١٨٣
٤٦	٨٤	المؤمنون	١٨٥
٤٧	٨٨	المؤمنون	١٨٦
٤٨	١١٤	المؤمنون	١٨٧
٤٩	٢٩	الفرقان	١٨٩
٥٠	٣٢	الفرقان	١٩١
٥١	٢٤	الشعراء	١٩٣
٥٢	٢٨	الشعراء	١٩٥
٥٣	١١٣	الشعراء	١٩٧
٥٤	٣٤	النمل	١٩٩
٥٥	٦٨	القصص	٢٠٢

مسلسل	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
٥٦	٨٨	القصص	٢٠٤
٥٧	١٦	العنكبوت	٢٠٦
٥٨	٢٦	العنكبوت	٢٠٨
٥٩	٤١	العنكبوت	٢١٠
٦٠	٤٥	العنكبوت	٢١٢
٦١	٦٤	العنكبوت	٢١٤
٦٢	٨	الروم	٢١٧
٦٣	٤٦	سبأ	٢١٩
٦٤	٧٦	يس	٢٢٢
٦٥	١٣٨	الصافات	٢٢٤
٦٦	٢٦	الزمر	٢٢٦
٦٧	٣٥	الزخرف	٢٢٨
٦٨	٧	الدخان	٢٣١
٦٩	٦	القمر	٢٣٣
٧٠	٣٣	القلم	٢٣٥
٧١	٤	نوح	٢٣٧



التعريف بالمؤلّف واستجابة(*)

الاسم واللقب العلمي : الأستاذ الدكتور/ **حمدي بن عبد الفتاح بن مصطفى بن محمد بن أحمد خليل** ، المالكي مذهبا ، اللغوي تخصّصًا ، الأزهري تعلّمًا وتعليمًا .

مكان الميلاد وتاريخه : وُلد المؤلّف في الثاني من ذي الحجة من عام ثلاثة وثمانين وثلاثمائة وألف من الهجرة الشريفة (١٣٨٣هـ) الموافق الخامس عشر من شهر إبريل لعام أربعة وستين وتسعمائة وألف من الميلاد (١٩٦٤م) ، وذلك بقرية (منشأة العمار) ، إحدى قرى محافظة القليوبيّة ، وتقع هذه القرية على الضفّة الشرقيّة للريّاح التوفيقي – أحد فروع نهر النيل – وتطل عليه مباشرة ويحدها غربًا ، ويحدها شرقًا الطريق الزراعي الرابط بين مدينتي : القناطر الخيريّة وبنها .

القبيلة والأسرة : ينتسب المؤلّف لقبيلة (خليل) – وهي إحدى القبائل العريقة بقريتي : منشأة العمار والعمار الكبرى ، وتنحدر من جذور عربيّة أصيلة – وقد كان أحد أجداد المؤلّف ، وهو (الشيخ/ خليل) تلميذًا ومحبًّا للشيخ عبد الوهاب العفيفي ، العالم الأزهري ، والولي الصالح ، صاحب الكرامات الظاهرة ، والعلوم النافعة ، المترجَم له في (تاريخ عجائب الآثار للجبرتي)(1) المتوفى سنة ١١٧٢هـ ،

(*) استجابة لما وصى به أ.د/ المتولي الدميري في كتابه (العقد البهي في ظواهر التصنيف النحوي) ص٣٧ – ط/ دار الشروق للطباعة بالمنصورة – ط/ أولى – سنة ١٩٩٣م .

(1) انظر : تاريخ عجائب الآثار للجبرتي ٣٠٢/١ – ٣٠٤ – نشر دار الجيل – بيروت =



والمدفون بجامع (العفيفي) بالقرافة الكبرى بقرب جامع (السلطان قايتباي) بالقاهرة[1] ، ومازال – إلى الآن – أعمام المؤلّف وأقاربه يحتفلون بميلاد الشيخ/ عبد الوهاب العفيفي مع أسرته وأحفاده .

وقد صار للشيخ (خليل) جد المؤلّف ، شأن طيب بعد أن أتم دراسته بالأزهر ، حيث عُيّن قاضيًا شرعيًّا بالمحاكم المصريّة ، كما كان يعظ الناس ، ويفتيهم في مديريّة القليوبيّة .

كما يشغل أحد أعمام المؤلّف وهو الأستاذ/ عبد العليم رضوان خليل[2] منصب (العمدة) لقرية منشأة العمار منذ أكثر من عشرين سنة إلى الآن .

النشأة التعليميّة : نشأ المؤلّف في قريته ، وحين بلغ السادسة من عمره ألحقه والده بكُتّاب القرية ، حيث أتم حفظ القرآن الكريم كاملاً قبل أن يبلغ العاشرة من عمره على يد الشيخ/ سلامة شريف رحمه الله وقد فاز آنذاك بالمرتبة الثانية في حفظ القرآن الكريم في المسابقة التي كانت تجريها وزارة الأوقاف المصريّة على مستوى الجمهوريّة ، وكانت لجنة الامتحان برئاسة الشيخ/ محمود خليل الحصري رحمه الله شيخ عموم المقارئ المصريّة آنئذ .

= ط/ ثانية – سنة ١٩٧٨م .

(١) انظر : الخطط التوفيقيّة لعلي باشا مبارك ٥/٥٠ ، ٥١ – ط/ بولاق بمصر – سنة ١٣٠٥هـ .

(٢) الأستاذ/ عبد العليم ، حاصل على (ليسانس الآداب قسم التاريخ) من (جامعة القاهرة) سنة ١٩٦٦م ، وعمل بوزارة التربية والتعليم حتى وصل إلى درجة (مدير إدارة) ، وقد تولّى منصب العمدة من سنة ١٩٨٧م إلى الآن ، متّعه الله بالصحة والعافية .



ثم انتقل من التعليم العام إلى رحاب الأزهر الشريف ، بعد أن اجتاز امتحان القرآن الكريم ، فانتقل من الصف الرابع الابتدائي إلى الصف الأوّل الإعدادي بمعهد بنها الأزهري ، وظلّ به حتى حصل على الإعداديّة الأزهريّة سنة ١٩٧٧م ، ثم حصل على الثانويّة الأزهريّة من المعهد نفسه سنة ١٩٨١م ، وكان ترتيبه الرابع على مستوى أوائل الجمهوريّة بالقسم الأدبي ، ثم التحق بكلّيّة اللغة العربيّة بالقاهرة – إحدى الكلّيّات العريقة بالأزهر الشريف – فتفوّق فيها ، حيث حصل على تقدير (جيّد جدًّا) في السنوات الثلاث الأُوَل ، مع الترتيب الأوّل على دفعته ، وفي السنة الرابعة ١٩٨٥م حصل على تقدير (ممتاز) فنال شهادة الإجازة العالية (الليسانس) بتقدير (ممتاز مع مرتبة الشرف) مع الترتيب الأوّل أيضًا على دفعته .

التدرّج الوظيفي والمؤهّلات العلميّة : بعد تخرجّه كلّفته الجامعة (معيدًا) في قسم اللغويّات بكلّيّة اللغة العربيّة بالقاهرة بتاريخ ١٤/١٢/١٩٨٥م ، فالتحق بالدراسات العليا في العام نفسه ، حيث حصل على (الدبلوم الأوّل) في الدراسات العليا عام ١٩٨٦م ، ثم على (الدبلوم الثاني) عام ١٩٨٧م ، ثم حصل على درجة التخصّص (الماجستير) في اللغويّات عام ١٩٨٩م بتقدير (جيد جدًّا) عن موضوع [(حتى) في الأساليب العربيّة واستعمالاتها في القرآن الكريم] بإشراف أ.د/ عبد العظيم الشنّاوي ﷺ ، فرقّته الجامعة (مدرّسًا مساعدًا) بتاريخ ٣٠/٤/١٩٨٩م ثم حصل على درجة العالميّة (الدكتوراه) في اللغويّات

عام ١٩٩٢م بتقدير (ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى) عن موضوع (المنهل الصافي في شرح الوافي في النحو للدماميني – دراسة وتحقيق) بإشراف أ.د/ مصطفى أحمد النماس ، فرقّته الجامعة مدرّسًا بتاريخ ١٩٩٢/١١/٤م ، ثم تقدّم ببحوثه إلى اللجنة العلميّة ، فتمّت ترقيته إلى درجة (أستاذ مساعد) بتاريخ ١٩٩٧/١٢/٣م ، ثم تقدّم ببحوث جديدة إلى اللجنة العلميّة الدائمة للغويّات ، فتمّت ترقيته إلى درجة (أستاذ) بتاريخ ٢٠٠٦/٦/١م ، كما حصل أيضًا على (المعهد العالي للدراسات الإسلاميّة والعربيّة) التابع لجامعة الدول العربيّة بالقاهرة عام ١٩٨٩م .

النشاط الديني والعلمي : للمؤلّف دور بارز – ولله الحمد – في الخطابة الدينيّة ، والوعظ والإرشاد ، حيث انتدبته وزارة الأوقاف المصريّة لإلقاء خطبة الجمعة بأحد المساجد العريقة بالقاهرة ، وهو مسجد (مصطفى فاضل باشا) عم الخديوي توفيق – الشهير بمسجد الشيخ/ محمد رفعت رحمه الله القارئ الذائع الصيت ؛ لأنه كان يقرأ فيه القرآن الكريم – ويقع هذا المسجد الآن بدرب الجماميز بحي السيدة زينب رضي الله عنها بالقاهرة ، ثم انتُدِب إلى مسجد (الإخلاص) بشارع شبرا مصر بالقاهرة ، ويقع هذا المسجد بجوار مجمع الأحياء ، ويعمل الآن خطيبًا بالمسجد (الأحمدي) بميدان المحطة بأرض نوبار بشبرا الخيمة بالقليوبيّة .

وقد أعير للتدريس بكلّيّة (اللغة العربيّة والعلوم الاجتماعيّة) بجامعة الملك خالد بمدينة أبها بالمملكة العربيّة السعوديّة لمدة ست سنوات (من ١٩٩٦م إلى ٢٠٠١م) ، وناقش عددًا من الرسائل العلميّة المتعلّقة

بتخصّصه هناك ، وناقش كثيرًا هنا في كلّيّته ، وأشرف ويشرف – ولله الحمد – على عدد من الرسائل العلميّة في كلّيّته .

وللمؤلّف مؤلّفات علميّة متنوّعة – أكثرها متعلّق بتخصّصه – وتحقيقات لكتب تراثيّة نَشَر كثيرًا منها في سلسلة سمّاها (فتح الفتّاح)[*] صدر منها حتى الآن ما يلي :

١ – **الشواهد الشعريّة في حياة الحيوان للدميري** – نشر بحوليّة كلّيّة اللغة العربيّة بالقاهرة – سنة ١٩٩٣م .

٢ – **شذرات الذهب في نحو العرب** ، سنة ١٩٩٥م .

٣ – **الوقوف اللازمة في القرآن الكريم وعلاقتها بالمعنى والإعراب** – الطبعة الأولى – سنة ١٩٩٦م – والطبعة الثانية سنة ٢٠٠٩م .

٤ – **البَلَطِيُّ النحوي وقصيدته الحِرْباوية** – سنة ١٩٩٦م .

٥ – **الدُّرر في إعراب أوائل السُّور للسجاعي** ، دراسة وتحقيق – سنة ١٩٩٧م .

٦ – **تأمّلات في سورة الحشر** – سنة ١٩٩٨م .

٧ – **قراءة أبي السّمّال العدوي** ، جمعًا وتوثيقًا وتوجيهًا – سنة ٢٠٠٠م .

٨ – **الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي** ، دراسة وتحقيق – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩م – والطبعة الثانية سنة ٢٠٠١م – والطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٧م – والطبعة الرابعة سنة ٢٠٠٩م .

(*) هذه المؤلّفات موجودة في المكتبات الآتية : الآداب بميدان الأوبرا ، والمجلد العربي بالدرّاسة ، والأزهريّة للتراث بالأزهر ، بالقاهرة ، ومكتبة الرشد بالرياض بالسعودية .



٩ – **الشرح الكبير على أبيات السّجاعي في (ولاسيّما) للعلامة/ محمد الأمير الكبير** ، دراسة وتحقيق – سنة ٢٠٠١م .

١٠ – **خلاصة الأقوال في تصريف الأفعال** – سنة ٢٠٠٢م .

١١ – **من التناوب بين المصدر والمشتقّات في القرآن الكريم** – سنة ٢٠٠٢م .

١٢ – **الضعف اللغوي** ، أسبابه.مظاهره.علاجه – سنة ٢٠٠٢م .

١٣ – **اعتراضات السّهيلي على النحويّين** – سنة ٢٠٠٢م .

١٤ – **التوجيهات النحويّة والصرفيّة لقراءة ابن أبي إسحاق الحضرمي** – سنة ٢٠٠٣م .

١٥ – **دفاع السّمين الحلبي عن القراءات المتواترة ضد المعترضين من النحاة** – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م – والطبعة الثانية سنة ٢٠٠٨م .

١٦ – **الفوائد المحرّرة في شرح مسوغات الابتداء بالنكرة للإمام/ إسماعيل الجرّاحي العجلوني** ، دراسة وتحقيق – سنة ٢٠٠٤م .

١٧ – **النعت المؤكّد في القرآن الكريم** ، دراسة قرآنيّة – سنة ٢٠٠٤م .

١٨ – **التوجيهات النحويّة والصرفيّة لقراءة الجَحدري** – سنة ٢٠٠٥م.

١٩ – **اختيارات أبي عليّ الشّلَوْبين في شرح المقدّمة الجُزوليّة الكبير** ، عرض وتحليل ومناقشة – سنة ٢٠٠٦م .

٢٠ – **من الإعجاز اللغوي في سورة القصص** .



الفهرس العام



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

